

منشورات الشريف الرضي

تذكرة الخواص

للعلامة سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ



منشورات الشريف الرضي

هوية الكتاب

الكتاب: تذكرة الخواص
المؤلف: العلامة سبط ابن الجوزي
الناشر: الشريف الرضي
المطبعة: امير ـ قم
عدد المطبوع: ۱۰۰۰ نسخة
الطبعة: ١٣٧٦ ـ ١٤١٨

شماره شابک
۹-۲۰-۹۶۰-۶-۹۶۴

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف:

بقلم: السيد محمد صادق بحر العلوم

شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي[1] بن عبد الله البغدادي- سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي- الحنفي[2].

ولد سنة ٥٨١هـ ببغداد، وقد أورد له محمد عبد الحي اللكنوي الهندي في كتابه (الفوائد البهية) في تراجم الحنفية (ص ٢٣٠) ترجمة مفصلة، قال: (تفقه وبرع وسمع من جده لأمه ابن الجوزي، وكان بتربيته في صغره حنبلياً ثم رحل الى الموصل ودمشق وتفقه على جمال الدين محمود الحصيري فصار حنفياً وكان عالماً فقيهاً واعظاً، حسن المجالسة، مليح المحاورة، فارساً في البحث مفرطاً في الذكاء، له تصانيف، منها شرح الجامع الكبير، وكتاب إيثار الإنصاف وتفسير القرآن، ومنتهى السؤول في سيرة الرسول، واللوامع في أحاديث المختصر والجامع، ومرآة الزمان[3] مات ليلة الحادي

---

(١) فرغلي: بضم الفاء ثم الراء ثم الغين المعجمة بعدها اللام والياء ويضبط هذه اللفظة بعض المترجين قزاغلي: بالقاف ثم الزاي بعدها الألف ثم الغين المعجمة بعدها اللام والياء.

(٢) ابن الجوزي هذا هو أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد البكري الحنبلي الفاضل المتبع المولود سنة ٥٠٨هـ، كان له اليد الطولى في التفسير والحديث وصناعة الوعظ وفي كل العلوم، صنف في فنون عديدة، يقال إنه جمعت براعة أقلامه التي كتب بها الحديث فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته فكفت وفضل منها، وكان رأس الاذكياء وله حكايات طريفة (منها) ما يحكى انه وقع النزاع بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر (رض) وأمير المؤمنين علي (ع) فرضي الكل بما يجيب به أبو الفرج عن ذلك فاقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه فقال: أفضلهما بعد النبي (ص) من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. وله ثلاثمائة مصنف ذكر بعضها الزركلي في الاعلام وغيره، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ؛ والجوزي: بفتح الجيم وسكون الواو نسبة الى فرضة الجوز؛ وهو موضع مشهور.

(٣) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان. طبع القسم الأول من الجزء الثامن منه في وقائع سنة ٤٩٥هـ الى سنة ٥٨٩هـ؛ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند سنة ١٣٧٠هـ، في (٤٣٦) صفحة، وطبع القسم الثاني من الجزء المذكور في وقائع سنة ٥٩٠هـ الى سنة ٦٥٤هـ بالمطبعة المذكورة سنة ١٣٧١هـ من صفحة (٤٣٧) الى صفحة (٧٩٥)، ولم يطبع غيرهما حتى الآن.

والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٥٤هـ، وتفقه عليه ابنه عبد العزيز ودرس بعده، مات في شوال سنة ٦٦٦هـ (ثم قال اللكنوي): «ذكر ابن خلكان في ترجمة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة المتوفى سنة ٥٧٠هـ: أن فرغلي كان مملوك عون الدين بن هبيرةوتزوج بنت الشيخ جمال‌الدين ابن‌الجوزي‌فولد له شمس الدين ابو المظفر يوسف بن فرغلي بن عبد الله‌ سبط ابن الجوزي صاحب التاريخ الذي سماه مرآة الزمان رأيته بدمشق في أربعين مجلداً، وجمعه بخطه، ثم قال: «وفي مرآة الجنان. العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين يوسف التركي ثم البغدادي، سبط الشيخ جمال الدين ابن الجوزي، أسمعه جده منه ومن جماعة؛ ووطن دمشق من سنة بضع وستمائة، وحصل له القبول التام، وله تفسير في تسعة وعشرين مجلداً وشرح الجامع الكبير، ومجلد في مناقب أبي حنيفة» ثم قال: «وفي طبقات مجد الدين الشيرازي[1]: كان والده مملوكاً للوزير عون الدين بن هبيرة بمنزلة الولد فاعتقه، وخطب له ابنة الشيخ جمال الدين فلم يمكنه إلا إجابته فولدت له يوسف المذكور فاشغله جده وفقهه وطلع أوحد زمانه في الوعظ، ترق له القلوب وتذرف لسماع كلامه العيون، وفاق فيه من عاصره وكثيراً ممن تقدم، وكانت مجالسته نزهة للقلوب والأبصار، يحضرها الصلحاء والملوك والأمراء والوزراء ولا يخلو مجلس من مجالسه من جماعة يتوبون، وفي كثير من مجالسه يسلم أهل الذمة، وكان الناس يبيتون في مسجد دمشق من ليلة يعظ من غدها يتسابقون إلى مواضع الجلوس، وكان حنبلي المذهب فلما تكرر اجتماعه بالملك المعظم عيسى اجتذبه اليه ونقله الى مذهب أبي حنيفة، وكان الملك المعظم شديد التغالي في المذهب».

وذكر (المترجم له) أيضاً محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري في كتابه (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) ص ٢٣٠ ـج ـ٢ـ فقال: «روى عن جده ببغداد وسمع من أبي الفرج بن كليب وأبي حفص بن طبرزد،

---

(١) مجد الدين ـ هذا ـ هو أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي ـ الفيروزآبادي صاحب القاموس في اللغة، برع في العلوم كلها سيما الحديث والتفسير واللغة، دخل بلاد الروم واتصل بخدمة مراد خان ونال عنده رتبة وجاهاً وأعطاه السلطان المذكور مالا؛ ثم جال البلاد شرقاً وغرباً، وله تصانيف تنيف على أربعين، وأجلها اللامع العباب، وكان تمامه في ستين مجلداً ثم لخصه وسماه (القاموس) وهو المطبوع طبعات عديدة؛ وله أيضاً تفسير القرآن وشرح البخاري؛ وشرح المشارق، كانت ولادته بكازرون من بلاد إيران سنة ٧٢٩هـ وتوفي ـ قاضياً ـ بزبيد سنة ٨١٧هـ أو سنة ٨١٦هـ، وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن على رأس القرن الثامن.

سمع بالموصل ودمشق وحدث بها وبمصر، وأعطي القبول من الملوك والامراء والعلماء والعامة في الوعظ وغيره، ذكر في (مرآة الزمان) له: «أن الشيخ موفق الدين ابن قدامة الحنبلي حضر مجلس وعظه»، وله تصانيف شرح الجامع الكبير، وله إيثار الإنصاف، مات ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٥٤هـ بجبل قاسيون، وصلى عليه بباب جامع جبل قاسيون الشمالي، السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد ابن الملك الطاهر غازي بن يوسف بن أيوب».

(وذكره أيضاً) الذهبي في ميزان الاعتدال (ج ٣- ص ٣٣٣) فقال: «روى عن جده وطائفة، والف كتاب مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يبخس ويجازف ثم أنه يترفض، وله مؤلف في ذلك[1] نسأل الله العافية (ثم قال): «قال الشيخ محيي الدين السوسي: لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لا رحمه الله كان رافضياً».

وأورد ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان)- ج ٦- ص ٣٢٨- طبع حيدر آباد كلام الذهبي وزاد قوله: «وقد عظم شأن مرآة الزمان القطب موسى فقال في الذيل الذي كتبه بعده- بعد أن ذكر التواريخ- قال: «فرأيت أجمعها مقصداً، وأعذبها مورداً، وأحسنها بياناً، وأصحها رواية، تكاد جنة ثمرها تكون عياناً، مرآة الزمان».

وذيل مرآة الزمان- هذا- هو لقطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ، يقع في أربع مجلدات، طبع المجلد الأول منه- الذي هو من وقائع سنة ٦٥٤هـ إلى أثناء سنة ٦٦٢هـ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٤هـ في (٥٥٧) صفحة، عن نسختين قديمتين محفوظتين في مكتبة أيا صوفيا باستانبول، رقم (٣١٤٦) و(٣١٩٩)، وطبع المجلد الثاني منه من وقائع سنة ٦٥٨هـ الى سنة ٦٧٠هـ بالمطبعة المذكورة سنة ١٣٧٥هـ في (٤٩٠) صفحة وقد صحح عن النسختين القديمتين المحفوظتين في اكسفورد واستانبول، تحت إعانة وزارة معارف الحكومة العالية

---

(١) هذه هي سيرة الذهبي- المنحرف عن أهل البيت (ع)- في الطعن على من يشم منه رائحة المحبة لمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولعله أراد بقوله (وله مؤلف في ذلك) هو هذا الكتاب الذي مثل للطبع لأنه في فضائل أهل البيت (ع)، ولم يشأ أن يذكر اسمه ولا يروق للذهبي وأضرابه المنحرفين- طبعاً- مثل هذه المؤلفات، وكل أمرئ مجزي بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

الهندية، وطبع المجلد الثالث منه من وقائع سنة ٦٧١هـ الى سنة ٦٧٧هـ؛ في «٤٤٣» صفحة، وطبع المجلد الرابع منه من وقائع سنة ٦٧٨ هـ الى ٦٨٦هـ، في «٣٣٣» صفحة وكلاهما في المطبعة المذكورة سنة ١٣٨٠هـ وقد جاء في أول المجلد الأول «الحمد لله مصرف الدهور» الخ، قال ما ملخصه: «رأيت أن أجمع التواريخ مقصداً، وأعذبها مورداً (مرآة الزمان) فشرعت في اختصاره فوجدته قد انقطع الى سنة ٦٥٤هـ، وهي التي توفي المصنف في أثنائها، فآثرت أن أذيله بما يتصل به سببه الى حيث يقدره الله تعالى من الزمان، ولعل بعض من يقف عليه ينتقد الإطالة في بعض الأماكن والاختصار في بعضها، وانما جمعت هذا لنفسي، وذكرت ما اتصل بعلمي وسمعته من أفواه الرجال، ونقلته من خطوط الفضلاء والعهدة في ذلك عليهم لا عليّ».

وذكر الجلبي صاحب كشف الظنون لمرآة الزمان ـ هذا ـ ذيولا واختصارات أخرى عديدة فراجعها في (ج٢) حرف الميم.

(وترجم له أيضاً) ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) ـ ج ٥ ـ ص ٢٦٦ في حوادث سنة ٦٥٤هـ فقال: «وفيها توفي سبط ابن الجوزي العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي[1] التركي ثم البغدادي الهبيري الحنفي سبط الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، أسمعه جده منه ومن ابن كليب وجماعة، وقدم دمشق سنة بضع وستمائة فوعظ بها وحصل له القبول العظيم للطف شمائله، وعذوبة وعظه، وله تفسير في تسعة وعشرين مجلداً وشرح الجامع الكبير، وكتاب مرآة الزمان، وهو كتاب كاسمه؛ وجمع مجلداً في مناقب أبي حنيفة، ودرس وأفتى، وكان في شبيبته حنبلياً؛ وكان وافر الحرمة عند الملوك؛ نقله الملك المعظم الى مذهب أبي حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال ـ وهو على المنبر ـ: إذا كان الرجل كبيراً ما يرجع عنه إلا بعيب ظهر له فيه فأي شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه؟ فقال له: اسكت؛ فقال الفقير: أما أنا فسكت وأما

---

(١) جاء في هامش (ص ٢٦٦) من الشذرات ما هذا نصه: (في الأصل (قز علي) وفي كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزري (قز أو غلي) وكلاهما وما يتصحف منها خطأ، ويسعى بعضهم لتعليله تعليلا أعجميا فاسداً والصواب (فرغلي) ـ أي بالفاء ثم الراء والغين المعجمة بعدها اللام والياء ـ كما في نسخة قديمة من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرهما من كتب الثقات).

أنت فتكلم فرام الكلام فلم يستطع فنزل عن المنبر؛ ولو لم يكن له إلا كتابه مرآة الزمان لكفاه شرفاً، فانه سلك في جمعه مسلكاً غريباً، ابتدأه من أول الزمان الى أوائل سنة أربع وخمسين وستمائة التي توفي فيها؛ مات رحمه الله ليلة الثلاثاء العشرين من ذي الحجة بمنزله بجبل الصالحية ودفن هناك، وحضر دفنه الملك الناصر سلطان الشام رحمه الله تعالى رحمة واسعة».

(وترجم له أيضاً) اسماعيل باشا البغدادي في (هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين)- ج ٢- ص ٥٥٤؛ وعد من تصانيفه الانتصار لإمام أئمة الأمصار- يعني أبا حنيفة- وإيثار الإنصاف، والإيضاح لقوانين الاصطلاح، وتذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة (وهو كتابنا هذا) وتفسير القرآن في سبعة وعشرين مجلداً، وتلخيص الجامع الكبير للشيباني في الفروع، وجوهرة الزمان. وشرح صحيح مسلم؛ وكنز الملوك في كيفية السلوك، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان في أربعين مجلداً، ومعادن الابريز في التاريخ في تسعة عشر مجلداً والمقتصر اللامع في أحاديث المختصر والجامع، ومنتهى السؤول في سيرة الرسول (ص) ونهاية الصنائع في شرح المختصر والجامع؛ شرح آخر.

كما أن البغدادي المذكور أورد كتابه (تذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة) في كتابه ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون (ج ١ - ص ٢٧٤).

(وترجم له أيضاً) يوسف إليان سركيس في (معجم المطبوعات)- ج ١- ص ٦٨؛ ص ٦٩، وأورد من مؤلفاته المطبوعة (تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة) ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان، وقال طبع من هذا التاريخ بالفوتوغراف الجزء الثامن فقط، يبتدىء من حوادث سنة ٤٩٥ الى سنة ٦٥٤هـ في شيكاغو سنة ١٩٠٧م باعتناء جامس ريشار جويت مدرس اللغات الشرقية في كلية شيكاغو. وفي هذه النسخة ينسب الكتاب الى أبي الفرج ابن الجوزي فصححه الناشر بالمقدمة الانجليزية التي وضعها للكتاب المذكور، وطبع منه منتخبات مع ترجمة فرنساوية للاستاذ باربيار دي مينار في الجزء الثالث من مجموعة تواريخ الحروب الصليبية (باريس ١٨٧٢).

(وترجم له أيضاً) جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣- ص ٨٢) واحد من أهم مؤلفاته (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان) وقال: «هو تاريخ عام من الخليقة الى سنة ٦٥٤هـ في أربعين مجلداً... وهو مرتب على السنين يذكر دخول

السنة وخلاصة ما جرى فيها يوماً يوماً ثم يترجم من توفي فيها، ويرتبهم على أحرف الهجاء نحو ما فعل جده ابن الجوزي المحدث في كتاب المنتظم، ثم عد من مؤلفاته أيضاً (تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة) وهو تاريخ الإمام علي والأئمة الاثني عشر. طبع في فارس سنة ١٢٨٨هـ، وعد من مؤلفاته أيضاً (الجليس الصالح والأنيس الناصح) كتبه لموسى بن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٣٥، بعضه في مدحه والبعض الآخر في أخباره ومناقبه، وقال يوجد في غوطا.

وبعد أن ذكر له من مؤلفاته (كنز الملوك في كيفية السلوك) عرف الكتاب بانه مجموع حكايات وعظات مرتبة في خمسة أبواب، التفويض والتأسي والصبر، والرضا، والزهد، وقال يوجد في باريس.

(وقد ذكر المترجم له) في كثير من المعاجم، واليك أسماء بعضها ومؤلفيها: ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة؛ والذهبي في ميزان الاعتدال وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر؛ والمقريزي في السلوك، وابن حجر في لسان الميزان، وابن كثير في البداية والنهاية؛ واليافعي في مرآة الجنان، والنعيمي في الدارس؛ وابن العماد في شذرات الذهب؛ والقرشي في الجواهر المضية؛ وابن قطلوبغا في تاج التراجم؛ وطاش كبرى في مفتاح السعادة، وحاج خليفة في كشف الظنون، واللكنوي الهندي في الفوائد البهية، والبغدادي في هدية العارفين والبغدادي أيضاً في إيضاح المكنون، والجلبي في فهرس مخطوطات الموصل، وكوركيس عواد في المخطوطات التاريخية؛ وعباس العزاوي في التعريف بالمؤرخين، وكوبرلي زادة محمد باشافي كتبخانة سنده، ولطفي عبد البديع في فهرس المخطوطات المصورة، والكتاني في فهرس الفهارس، وسيد في فهرس المخطوطات المصورة والمكتبة البلدية في فهرس الطب، وأصحاب فهرس الخديوية، وجعفر الحسني في مجلة المجمع العلمي العربي، وصلاح الدين المنجد في مجلة معهد المخطوطات وصاحب التبر المسبوك، وصاحب تاريخ علماء بغداد، وابن خلكان في وفيات الاعيان، وصاحب الفهرس التمهيدي، وجرجي زيدان في آداب اللغة العربية وفي دائرة المعارف الإسلامية؛ والزركلي في الاعلام، وكحالة في معجم المؤلفين ويعقوب إليان سركيس في معجم المطبوعات، والخوانساري في روضات الجنات وشيخنا الامام الطهراني في الذريعة، والمحدث الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب.

يروي المترجم له في (كتابنا هذا) عن جملة من الاعلام اجازة وقراءة وسماعاً؛ نوردهم هنا حسب ترتيب ذكرهم في الكتاب:

١ـ عبد الله بن أبي المجد الحربي، سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦هـ(ص ٤)
٢ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي (ص ٨)
جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ١١)
٣ـ العلامة زيد بن الحسن بن زيد الكندي (ص ١١)
٤ـ أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز (ص ٢٣)
٥ـ شيخه عمرو بن صافي الموصلي (ص ٣٣)
٦ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦ (ص ٤٩)
٧ـ أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد الطوسي (ص ٤٩)
٨ـ عبد الوهاب (بن عبد الله) المقري (ص ٩٢)
٩ـ أبو محمد البزاز أيضاً (ص ١٠٤)
١٠ـ أبو طاهر الخزيمي (ص ١١٠)
١١ـ عبد الملك بن مظفر بن غالب الحزي (ص ١١٢)
١٢ـ احمد بن جعفر (ص ١١٣)
١٣ـ عبد الوهاب بن علي الصوفي (ص ١١٦)
١٤ـ عبد الرحمان بن أبي حامد الحربي (ص ١١٧)
١٥ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً(ص ١١٨)
١٦ـ السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني (ص ١٢٠)
١٧ـ أبو حفص عمر بن معمر الدارقطني قراءة عليه (ص ١٢٠)
١٨ـ علي بن الحسين (ص ١٢٢)
١٩ـ شيخه أبو القاسم النفيس الأنباري (ص ١٢٤)
٢٠ـ عبد الله بن أبي المجد الحربي أيضاً(ص ١٢٧)
٢١ـ أبو طاهر الخزيمي أيضاً(ص ١٢٨)
٢٢ـ عبد الوهاب بن عبد الله المقري أيضاً (ص ١٤٠)
٢٣ـ عبد الوهاب بن علي الصوفي أيضاً (ص ١٤١)
٢٤ـ أبو الحسن بن النجار المقري (ص ١٥٠)

٢٥ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ١٧٣)
٢٦ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٢١٣)
٢٧ـ أبو محمد الجوهري (ص ٢٣٣)
٢٨ـ القاضي الاسعد أبو البركات عبد القوي بن أبي المعالي بن الجبار السعدي سماعاً في جمادى الاولى سنة ٦٠٩هـ بالديار المصرية (ص ٢٦٣)
٢٩ـ زيد بن الحسن اللغوي (ص ٢٦٨)
٣٠ـ أبو عبد الله محمد بن البنديجي البغدادي (ص ٢٧٢)
٣١ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٣٠٨)
٣٢ـ أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق سنة ٦٢٢ (ص ٣١٣)
٣٣ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً سماعاً ببغداد سنة ٥٩٦هـ (ص ٣١٧)
٣٤ـ عمر بن معمر الكاتب أيضاً (ص ٣٢٦)
٣٥ـ عبد الوهاب بن علي الصوفي أيضاً (ص ٣٤٤)
٣٦ـ أبو محمد البزاز أيضاً (ص ٣٤٨)
٣٧ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٣٦٢)
٣٨ـ عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزي أيضاً (ص ٣٦٧)
٣٩ـ أبو محمد عبد الوهاب المقري أيضاً (ص ٣٦٨)
٤٠ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٣٦٩)
٤ـ عبد الله بن أحمد المقدسي؛ قراءة عليه سنة ٦٠٤هـ (ص ٣٧٠)
٤٢ـ عبد الله بن أحمد المقدسي أيضاً، قراءة عليه سنة ٦٠٤ (ص ٣٧١)
٤٣ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٣٧١)
٤٤ـ جده أبو الفرج ابن الجوزي أيضاً (ص ٣٧٣)

ويروي المترجم له عن مشايخه الآخرين في بقية مؤلفاته، فراجعها.

وقد أورد المحدث أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري في (الجواهر المضية)ـ ج ٢ـ ص ٢٣١) أبيات شعرية للمترجم له، قال: أنبأني الإمام شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد الحلبي؛ قال قرأت على شيخنا الإمام الحافظ كمال الدين أبي حامد محمد بن علي بن محمود المحمودى الصابوني أنشدكم الامام بقية السلف أبو المظفر يوسف بن قزاغلي بن عبد الله البغدادي لنفسه في يوم الخميس

العشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بزاويته ببرج الرجراج ظاهر دمشق المحروسة:

عليك اعتمادي يا مفرج كربتي	ويا مؤنسي في وحدتي عند شدتي
ويا من نقضت العهد بيني وبينه	مراراً فلم يظهر علّي فضيحتي
أغثني فاني قد عصيتك جاهلا	أغثني فقد طالت بذنبي بليتي
فلو أن لي عيناً تسح بأدمع	لنحت على نفسي وطالت نياحتي
ولكن ذنوبي أرهقتني جراحها	فقلت دموعي من شقائي وقسوتي
فاصبحت ماسوراً بذنبي مقيداً	فواسوء حالي من بلائي وغفلتي

وولد المترجم له عبد العزيز بن يوسف بن فرغلي درس مكان أبيه من بعده بالمدرسة العربية التي تعرف بالميدان الكبير، ومات في سلخ شوال سنة ٦٦٦هـ ودفن عند أبيه، ترجم له محيي الدين القرشي في الجواهر المضية «ج ١ ـ ص ٣٢٢».

محمد صادق بحر العلوم




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

اللهم صلّ على سيدنا محمد وسلم؛ قال الشيخ الإمام العالم العلّامة الفاضل الفهامة وحيد عصره وفريد دهره جمال الدنيا والدين بقية العلماء العاملين بركة الملوك والسلاطين يوسف سبط الشيخ الامام العالم الزاهد الكامل لسان العرب وترجمان أهل الادب سيد المتكلمين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه. الحمد لله الواهب من النعم كل كثير وجزيل. الدافع من النقم كل حقير وجليل. الذي خلق الانسان وعدله فاحسن منه التعديل. وفضله على سائر الحيوان بالتكريم والتفضيل ومنحه بفصاحة اللسان وحسن التنزيل وخصه بعرفان ظواهر الكلم وخفيات مشكلات الحكم ولطايف التأويل وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد الهادي الى اعدل طريق والداعي الى خير فريق واوضح سبيل المرشد الى كلمة الحق الناصح لكافة الخلق باعظم برهان وأنور دليل المنعوت قديماً في التوراة الموصوف في الانجيل المرسل كريماً الى كافة الناس بالتوقير والتعظيم والتبجيل وعلى آله واصحابه وعترته والمصطفين من أهل ملته المخصوصين بالغرة والتحجيل القائمين بنصرة دينه في كل زمن وعصر وحين ما أقبلت غداة واصيل.

وبعد: فهذا كتاب في فضل الإمام العليم والحبر الحليم والسيد الكريم أخي الرسول وبعل البتول وسيف الله المسلول سيد الحنفاء ورابع الخلفاء وابن عم المصطفى وامام الدين وعالمه وقاضي الشرع وحاكمه، ومنصف كل مظلوم من ظالمه والمتصدق في الصلاة بخاتمه مفرق الكتائب ومظهر العجائب ليث بني غالب أبي الحسنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن زوجته وصلى على ابيها وحشرنا في زمرته ورضي الله عن بقية الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم اجمعين.

ذكر نسب
علي بن أبي طالب (ع)

فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعمود النسب الى عدنان متفق على صحته، وما بعده الى آدم (ع) مختلف فيه فلهذا اقتصرنا عليه واسم أبي طالب عبد مناف وهو أخو عبد الله والد رسول الله (ص) لأبيه وأمه وامهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ وعبد المطلب لقبه شيبة الحمد لشيبة كانت في رأسه وكنيته أبو البطحاء لانهم استسقوا به سقياً فكنوه بذلك وانما سمي عبد المطلب لأنّ عمه المطلب كان بمكة اليه السقاية والرفادة وكان المطلب أخا هاشم وكان هاشم قد تزوج بالمدينة الى بيت النجار امرأة يقال لها سلمى بنت عمرو فولدت شيبة بالمدينة وتوفي هاشم بمكة ونشأ شيبة بالمدينة فمر به رجل من أهل مكة وهو يناضل الصبيان ويقول أنا ابن سيد قريش أنا ابن أبي البطحاء فسئل عنه فقيل هذا ابن هاشم فلما قدم مكة اخبر المطلب فركب من وقته الى المدينة فوجده يلعب مع الصبيان فأردفه على راحلته وقدم به مكة فقال الناس هذا عبد المطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخي هاشم فغلب عليه هذا الاسم ولما مات المطلب قام مكانه عبد مناف .. واما هاشم فاسمه عمرو وهاشم لقبه لأن مكة اجدبت واصاب أهلها ضر عظيم وكان يهشم الثريد ويطعمهم اياه وفيه يقول:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وعبد مناف اسمه المغيرة؛ وقصي اسمه زيد، وانما سُمّي قصياً لتقصي أمه به الى الشام ويسمى مجمعاً وله اسامي كثيرة وفيه يقول الشاعر:

همام له اسماء صدق ثلاثة ... قصي وزيد والندى ومجمع

وأم قصي فاطمة بنت سعد تزوجها كلاب بن مرة ثم مات وقصي صغير فتزوجها ربيعة بن حزام بن ضبة وسار بها الى الشام وقصي بها فلما كبر قصي عاد الى مكة واستولى عليها وجمع قبايل قريش اليها واما كلاب فامه هند بنت سويد بن ثعلبة وأما مرة فامه مخشية بنت شيبان واما كعب فامه ماوية بنت كعب وأما لوي فاسم أمه عاتكة بنت خالد بن النضر بن كنانة وأما غالب فامه ليلى بنت الحرث وأما فهر فامه جندلة بنت عامر الجرهمية وفهر هو جماع قريش بعد قصي وقيل النضر بن كنانة هو قريش فمن لم يكن من ولد النضر لم يكن قرشياً وعلى القول الأول من لم يكن من ولد قصي لم يكن قرشياً والقرش اصله الجمع والاكتساب وكانت هذه وتجمع فسميت به وقيل ان قريش دابة تسكن البحر تأكل دواب البحر فسميت قريش بها وفيه أقوال اخر وأما مالك فامه عرابة بنت سعد بن قيس غيلان وأما خزيمة فأمه سلمى بنت اسلم قضاعية وأما مدركة فاسمه عمرو وانما سمي مدركة لأن لأبيه ابلا شردت فأدركها فردها وأمه خندف وقيل ليلى بنت حلوان قضاعية وأما الياس فامه الرباب بنت جيدة بن معد واما مضر فاسم امه سودة بنت عسك وأما نزار فامه معانته بنت حوشم وأما معد فامه هوزة سلمية.

فصل

واختلف العلماء في تسميته بعلي (ع) فقال مجاهد هو اسم سمته به أمه عند ولادته وقال عطاء إنما سمته أمه حيدرة بدليل قوله يوم خيبر (انا الذي سمتني أمي حيدرة) فلما علا على كتفي الرسول (ص) وكسر الاصنام سمي علياً من العلو والرفعة والشرف وقال ابن عباس كانت أمه اذا دخلت على هبل لتسجد له وهي حامل به علا بطنها فيتقوس فيمنعها من السجود فسمي علياً لهذا وقول مجاهد اظهر لأنه ثبت المستفيض به ولا يمنعها من تسميتها علياً ان تسميه حيدرة لأن حيدرة اسم من اسامي الأسد لغلظ عنقه وذراعيه وكذلك كان أمير المؤمنين (ع) فيكون على اسمه الأصلي وحيدرة وصفاً له وقد سماه رسول الله (ص) ذا القرنين اخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة قال أنبأنا هبة الله ابن محمد بن عبد الواحد الشيباني وكنيته أبو القاسم ويعرف بابن الحصين قال أبو علي الحسن بن علي بن المذهب التميمي قال أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي حدثنا عبد الله بن الامام أبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني

قال حدثني أبي حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك الكندي حدثنا أبو حازم المدني وقال أحمد بن حنبل بن مسلم حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن ابراهيم التميمي عن سلمة بن الطفيل عن علي (ع) قال قال لي رسول الله (ص) ان لك في الجنة قصراً وانك ذو قرنيها وهذا الحديث اخرجه احمد بن حنبل في المسند واخرجه احمد أيضاً في كتاب جمع فيه فضائل أمير المؤمنين رواه النسائي مسنداً ويسمى البطين لأنه كان بطيناً من العلم وكان يقول لو ثنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم حمل بعير ويسمى الانزع لأنه كان انزع من الشرك وقيل لأنه كان اجلح ويسمى أسد الله وأسد رسوله ويسمى يعسوب المؤمنين لأن اليعسوب أمير النحل وهو أحزمهم يقف على باب الكوارة كلما مرت به نحلة شم فاها فان وجد منها رائحة منكرة علم انها رعت حشيشة خبيثة فيقطعها نصفين ويلقيها على باب الكوارة ليتأدب بها غيرها وكذا علي (ع) يقف على باب الجنة فيشم افواه الناس فمن وجد منه رائحة بغضه القاه في النار.

قال في الصحاح اليعسوب ملك النحل ومنه قيل للسيد يعسوب والمؤمنون يتشبهون بالنحل لأن النحل تأكل طيباً وتضع طيباً وعلي (ع) أمير المؤمنين ويسمى الولي والوصي والتقي وقاتل الناكثين والقاسطين وشبيه هارون وصاحب اللوى وخاصف النعل وكاشف الكرب وأبو الريحانتين وبيضة البلد في القاب كثيرة.

فصل

فاما كنيته فابو الحسن والحسين وأبو القاسم وأبو تراب وأبو محمد والنبي (ص) كناه أبا تراب والحديث في المسند والصحيحين قال احمد وقد تقدم اسناد المسند حدثنا ابن نمير عن عبد الملك الكندي عن ابي حازم قال جاء رجل الى سهل بن سعد فقال هذا فلان يذكر علياً بن أبي طالب عند المنبر فقال ما يقول قال يقول أبو تراب ويلعن أبا تراب فغضب سهل وقال والله ما كناه به إلا رسول الله (ص) وما كان اسم احب اليه منه.

دخل علي (ع) على فاطمة رضي الله عنها فاغضبته في شيء[1] فخرج الى المسجد فاضطجع على التراب وفي لفظ فسقط رداؤه على التراب وخلص التراب على ظهره

(١) الشيعة تنكر هذه الدعوى وفاطمة الزهراء (ع) معصومة وهي أجل من أن تغضب زوجها.

فجاء رسول الله (ص) فمسح التراب عن ظهره وقال اجلس أبا تراب متفق عليه.

وقال الزهري والذي سب علياً في تلك الحالة مروان بن الحكم لأنه كان أميراً في المدينة من قبل معاوية.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري كان بنو أمية تنقص علياً (ع) بهذا الاسم الذي سماه به رسول الله (ص) ويلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدة ولايتهم وكانوا يستهزئون به وانما استهزؤا بالذي سماه به وقد قال الله تعالى قل ابا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم الآية والذي ذكره الحاكم صحيح فانهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص انه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له ما منعك أن تسب أبا تراب الحديث وسنذكره فيها بعد ان شاء الله تعالى.

واستمر الحال الى زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجعل مكان ذلك السب ان الله يأمر بالعدل والإحسان فلما ولى بعده يزيد بن عبد الملك لم يتعرض لسبه فقيل له في ذلك فقال ما لنا ولهذا واستمر الحال وقيل ان الوليد بن يزيد اعاد السب وقيل ان بعض بني أمية كان يقول اللهم صلّ على معاوية وحده لقد لقينا من علي جهده.

وروي عنه (ع) انه كان يقول أنا أبو الحسن القرم والقرم السيد المكرم واصله البعير الذي لا يحمل عليه ولا يذلل.

فصل في صفته (ع)

ذكر الحافظ من مسنده انه كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين غليظ الساعدين اقرب الى القصر من الطول عريض اللحية[1] لم يصفه احد بالخضاب سوى سواد بن حنظلة والصحيح انه لم يخضب وروي انه كان يصفّر لحيته بالحناء ثم ترك.

فصل في ذكر والده (ع)

قد ذكرنا نسبه وانه ابن عبد المطلب ولما احتضر عبد المطلب اوصى الى أبي طالب وعهد اليه في أمر رسول الله (ص) وقد اشار محمد بن سعد في كتاب الطبقات عن جماعة من العلماء منهم ابن عباس ومجاهد وعطاء والزهري وغيرهم فذكر طرفاً من

٢٥

(١) اصلع: ابيض الرأس واللحية.

ذلك فقالوا توفي عبد المطلب في السنة الثانية ولرسول الله (ص) ثمان سنين وكانت قد أتت على عبد المطلب مائة وعشرون سنة ودفن بالحجون.

قالت ام ايمن انا رأيت رسول الله (ص) يمشي تحت سريره وهو يبكي وقيل كان لعبد المطلب يوم مات ثمانون سنة والأول اظهر.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال قوم من القافه من بني مذحج لعبد المطلب لما شاهدوا قدمي رسول الله (ص) يا أبا البطحاء احتفظ بهذا فانا لم نرقد ما اشبه بالقدم الذي في المقام من قدميه فقال عبد المطلب لابي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فان لابني هذا ملكا ثم ان أبا طالب قام بنصرة رسول الله (ص) وكفالته احسن القيام فكان معه لا يفارقه وكان يحبه حباً شديداً و يقدمه على أولاده ولا ينام الا وهو الى جانبه وكان يقول له انك لمبارك النقيبة ميمون الطلعة.

وذكر ابن سعد في الطبقات قال خرج أبو طالب الى ذي المجاز ومعه رسول الله (ص) فعطش فقال يا ابن اخي عطشت ولا ماء فنزل رسول الله (ص) فضرب بعقبه الارض فنبع الماء فشرب وذكر أهل السير أن أبا طالب لما قام بنصرة رسول الله (ص) وذب عنه احسن الذب اجتمعت اليه قريش وقالوا ان ابن أخيك قد سب إلهنا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما ان تسلمه الينا أو يقع الحرب بيننا فقال بفيكم الحجر والله لا اسلمه اليكم ابداً فقالوا هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة اجمل فتى في قريش واحسنه فخذه واتخذه ولداً عوضه وسلمه الينا نقتله ورجل برجل فقال ابو طالب قبح الله هذه الوجوه ويحكم والله بئس ما قلتم تعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه بئس والله الرجل انا ثم قال افرقوا بين النوق وفصلانها فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم ثم قال:

والله لن يصلوا اليـك بجمعهم	حتى أوسد في التراب رهينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك عيونا
وعرضت دينا لا محالة انه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك ضنينا

ثم قام أبو طالب يذب عن رسول الله (ص) من سنة ثمان من مولده الى السنة العاشرة من النبوة وذلك اثنان وأربعون سنة.

وقال الواقدي اصاب أبا طالب سهم عام الفجار فكان يتوجع منه.

واخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال أنبأنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري قال أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري أنبأنا أبو عمرو محمد بن العباس بن حياته أنبأنا أبو الحسن احمد بن معروف أنبأنا الحسن بن الفهم أنبأنا محمد ابن سعد انبأنا محمد بن عمرو بن واقد الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن محمد ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما مرض أبو طالب مرض الموت دخل عليه رسول الله (ص) فقال له يا عم قل كلمة اشهد لك بها غداً عند الله فقال له ياابن أخي لولا رهبة ان تقول قريش دهورني الجزع فتكون سبة عليك وعلى بني أبيك لاقررت بها عينك لما أرى من نصحك لي وبه قال ابن سعد حدثنا الواقدي قال دعا أبو طالب قريشاً عند موته فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ابن أخي وما اتبعتم أمره فاتبعوه واعينوه فارشدكم فقال له رسول الله (ص) أتامرهم بها وتدعها بنفسك يا عم فقال يا ابن أخي اما انك لو سألتني الكلمة وانا صحيح لتابعتك على ما تقول ولكني أكره ان يقال جزع عند الموت ثم مات.

وقال ابن سعد بالاسناد المتقدم حدثني الواقدي قال قال علي (ع) لما توفي أبو طالب أخبرت رسول الله (ص) فبكا بكاءاً شديداً ثم قال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه فقال له العباس يا رسول الله انك لترجو له فقال اي والله اني لارجو له وجعل رسول الله (ص) يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته وقال الواقدي قال ابن عباس عارض رسول الله (ص) جنازة أبي طالب وقال وصلت رحمك وجزاك الله يا عم خيراً. وذكر ابن سعد أيضاً عن هشام بن عروة قال ما زالوا كافين عن رسول الله (ص) حتى مات ابو طالب يعني قريشاً. وقال السدي مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة ودفن بالحجون عند عبد المطلب وقال علي (ع) يرثيه:

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ	فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه	فقد كنت للطهر من خير عم

وقال أيضاً:

أرقت لطير آخر الليل غردا	يذكرني شجواً عظيماً مجددا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى	جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردا
فأمست قريش يفرحون بموته	ولست أرى حياً يكون مخلدا

أرادوا أمـوراً زينتهـا حلومـهـم | سنوردهم يـومـاً من الغي مـوردا
يـرجـون تكـذيب النبي وقتـله | وان يفتـري قدمـاً عليـه ويجحـدا
كـذبتم وبيت الله حتى نـذيقكم | صـدور العـوالي والحسـام المهنـدا
فـامـا تبيـدونـا وامـا نبيـدكم | واما تـروا سلم العشيـرة ارشـدا
وإلا فـان الحـي دون محـمـد | بني هـاشم خير البـريـة محمـدا

فصل في ذكر والدته

وهي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف اسلمت وهاجرت الى المدينة وتوفيت بها سنة أربع من الهجرة وشهد رسول الله (ص) جنازتها وصلى عليها ودعى لها ودفع لها قميصه فألبسها اياه عند تكفينها.

قال الزهري وكان رسول الله (ص) يزورها ويقيل عندها في بيتها وكانت صالحة.

قال ابن عباس: وفيها نزلت (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال: وهي أول امرأة هاجرت من مكة الى المدينة ماشية حافية وهي أول امرأة بايعت محمداً رسول الله (ص) بمكة بعد خديجة؛ قال الزهري سمعت رسول الله (ص) يقول: يحشر الناس يوم القيامة عراة فقالت واسوأتاه فقال لها رسول الله (ص) فاني اسأل الله ان يبعثك كاسية قال وسمعته يقول أو يذكر عذاب القبر فقالت واضعفاه فقال اني اسأل الله ان يكفيك ذلك.

وذكر احمد بن الحسين البيهقي باسناده الى أنس ان رسول الله (ص) نزل في حفرتها؛ وقال أهل السير هي أول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً ولا يعرف خليفة أبواه هاشميان سوى أمير المؤمنين علي (ع) ومحمد بن زبيدة ولد هارون الرشيد الملقب بالأمين، وكذا لم يل الخلافة من اسمه علي سوى أمير المؤمنين وعلي بن المعتضد ويلقب بالمكتفي.

وروي ان فاطمة بنت اسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعلي (ع) فضربها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعته فيها وكذا حكيم بن حزام ولدته أمه في الكعبة.

قلت وقد أخرج لنا أبو نعيم الحافظ حديثاً طويلا في فضلها إلا انهم قالوا في اسناده روح بن صلاح ضعفه ابن علي فلذلك لم نذكره.

فصل في ذكر أولادها

وجميعهم من أبي طالب وهم ستة: أربع ذكور وبنتان فالذكور طالب وعقيل وجعفر وعلي وبين كل واحد وبين الآخر عشر سنين فطالب أكبر ولد ابي طالب وبه كان يكنى وبين طالب وعقيل عشر سنين وبين عقيل وجعفر عشر سنين وبين جعفر وعلي عشر سنين فعلي (ع) أصغر ولده وطالب أكبرهم وكنيته أبو يزيد وكان عالماً بانساب قريش اخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله (ص) كرهاً فقال:

اللهم أما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانب
وليكن المغلوب غير غالب وليكن المسلوب غير السالب

فلما انهزم المشركون يوم بدر لم يوجد لا في القتلى ولا في الاسرى ولا رجع الى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب.

وأما عقيل فقال ابن سعد انه اخرج يوم بدر مع من اخرج مكرهاً واسر يومئذ ولم يكن له مال ففداه عمه العباس.

وقال ابن سعد أنبأنا علي بن عيسى النوفلي أنبأنا أبان بن عثمان عن معاوية بن عمار قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول قال رسول الله (ص) يوم بدر أنظروا من ها هنا من أهل بيتي من بني هاشم فجاء علي (ع) فنظر الى العباس ونوفل وعقيل ثم رجع فناداه عقيل يا ابن أم والله لقد رأيتنا فجاء علي الى الرسول (ص) فاخبره فجاء رسول الله (ص) فوقف على رأس عقيل فقال أبا زيد قتل أبو جهل فقال اذاً لا تنازعوا في تهامة فان كنت أثخنت القوم وإلا فاركب اكتافهم وفي رواية الآن صفا لك الوادي ثم رجع عقيل الى مكة فاقام بها الى سنة ثمان من الهجرة ثم خرج مهاجراً الى المدينة فشهد غزاة موتة واطعمه رسول الله (ص) من خيبر مائة وأربعين وسقاً كل سنة.

قال الواقدي اصاب عقيل يوم موتة خاتماً عليه تماثيل فنفله إياه رسول الله (ص) فكان في يده.

وقال الواقدي وعاش الى سنة خمسين من الهجرة وتوفي فيها بعدما ذهب بصره وأخبرنا جدي أبو الفرج محمد بن علي الجوزي وشيخنا العلامة زيد بن الحسن بن زيد الكندي قال جدي اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري سماعاً وقال زيد بن الحسن الكندي اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري اجازة قال

اخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري اخبرنا أبو عمر ومحمد بن العباس بن حيويه اخبرنا أبو الحسن احمد بن معروف اخبرنا الحسن بن فهم حدثنا محمد بن سعد كاتب الواقدي أنبأنا الفضل بن دكين أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن أبي اسحق ان رسول الله (ص) قال لعقيل يا أبا يزيد اني أحبك حبين حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمي اياك وكان له عقب بالمدينة وله بها دار ومن أولاده يزيد وبه كان يكنى وسعيد وامهما أم سعيد بنت عمرو من بني صعصعة وجعفر الاكبر وأبو سعيد وهو اسمه وكان أحول وامهما أم البنين كلابية ومسلم وهو الذي بعثه الحسين (ع) الى الكوفة فقتله ابن زياد وعبد الله، وعبد الرحمن، وعلي، وجعفر، وحمزة، ومحمد، ورملة، وأم هاني، وفاطمة، وأم القاسم، وزينب، وأم النعمان، وجعفر الاصغر. أولاد لامهات شتى وكان عقيل قد باع رباع بني هاشم بمكة وهو الذي قال فيه رسول الله (ص) وهل ترك لنا عقيل من منزل وكان طالب وعقيل قد ورثا أبا طالب ولم يرثه جعفر وعلي لانهما كانا مسلمين وأما البنتان فأم هاني قال ابن سعد اسمها جعدة وقيل فاختة وقيل هند وهي التي صلى رسول الله (ص) صلاة الضحى في بيتها يوم الفتح ثمان ركعات وقد أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عنها قالت ذهبت الى النبي (ص) عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هاني بنت أبي طالب فقال مرحباً فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فلما انصرف قلت يا رسول الله زعم ابن امي علي انه قاتل رجلا قد اجرته فلان أي هبيرة زوجها فقال رسول الله (ص) قد اجرنا من اجرت قالت وذلك منحى وفي بعض الروايات الصحيحة ان ذلك كان في بيتها قال الزهري الذي اجرته زوجها أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عايد المخزومي وتوفي بنجران مشركا وقيل غيره واما ام هاني فهاجرت الى المدينة ولما افضت الخلافة الى علي (ع) استعمل فيها جعدة بن هبيرة والابنة الأخرى اسمها جمانة تزوجها أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهاجرت الى المدينة وتوفيت في حياة رسول الله (ص).

وأما سيرة جعفر بن أبي طالب فسنذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى؛ وذكر ابن سعد لأبي طالب ابنة أخرى وقال اسمها ريطة وقيل اسماء وأم الجميع فاطمة بنت أسد وذكر أيضاً لأبي طالب ابناً آخر وقال اسمه طليق واسم أمه وعلة والله أعلم بالصواب.

الباب الثاني في ذكر فضائله(ع)

وهي أشهر من الشمس والقمر واكثر من الحصى والمدر وقد اخترت منها ماثبت واشتهر وهي قسمان: قسم مستنبط من الكتاب؛ والثاني: من السنة الظاهرة التي لا شك فيها ولا ارتياب. وقد روى مجاهد قال سأل رجل عن ابن عباس فقال ما أكثر فضايل علي بن أبي طالب واني لاظنها ثلاثة آلاف فقال له ابن عباس هي الى الثلاثين الفاً أقرب من ثلاثة آلاف ثم قال ابن عباس لو ان الشجر اقلام والبحور مداد والانس والجن كتاب وحساب ما احصوا فضائل أمير المؤمنين علي (ع) وروى عكرمة عن ابن عباس قال ما انزل الله في القرآن آية الا وعليٌ رأسها وأميرها فاما نصوص الكتاب فآيات منها قوله تعالى في البقرة ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ روى مجاهد عن ابن عباس انه قال أول من ركع مع النبي (ص) علي بن أبي طالب (ع) فنزلت فيه هذه الآية ومنها قوله تعالى في البقرة أيضاً ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ روى عكرمة عن ابن عباس قال كان مع علي (ع) أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزلت فيه هذه الآية ومنها قوله تعالى في آل عمران ﴿قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم﴾ الآية. قال جابر بن عبد الله فيما رواه عنه أهل السير قدم وفد نجران على رسول الله (ص) وفيهم السيد والعاقب وجماعة من الاساقفة فقالوا من أبو موسى فقال عمران قالوا فانت قال أبي عبد الله بن عبد المطلب قالوا فعيسى من أبوه فسكت ينتظر الوحي فنزل قوله تعالى «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» قالوا لا نجدها فيما أوحي الى انبيائنا فقال كذبتم فنزل قوله تعالى ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم﴾ الآية قالوا انصفت فمتى نباهلك قال غداً ان شاء الله فانصرفوا وقال بعضهم لبعض ان خرج في عدة من أصحابه فباهلوه لانه غير نبي وان خرج في أهل بيته فلا تباهلوه فانه نبي صادق ولئن باهلتموه لتهلكن ثم بعث رسول الله (ص) الى

أهل المدينة ومن حولها فلم يبق بكر ولا عانس إلا وخرجت؛ وخرج رسول الله (ص) وعلي (ع) بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله وفاطمة (ع) خلفه ثم قال هلموا فهؤلاء أبنائنا واشار الى الحسن والحسين وهذه نسائنا يعني فاطمة وهذه انفسنا يعني نفسي واشار الى علي (ع) فلما رأى القوم ذلك خافوا وجاؤا الى بين يديه فقالوا اقلنا اقالك الله فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده لو خرجوا لامتلأ الوادي عليهم ناراً.

وروي عن جعفر الصادق (ع) انه قال: في تفسير هذه الآية إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ان معناه ان مثل عيسى عند الله في الخلق كمثل آدم خلقه من تراب من غير أب فالهاء الاولى وهي قوله خلقه عائدة الى آدم والهاء الثانية في قوله ثم قال له كن عائدة الى عيسى (ع).

وذكر أبو اسحق الثعلبي في تفسيره ان رسول الله (ص) غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي (ع) خلفهم وقال رسول الله (ص) اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معاشر النصارى اني لارى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض إلا مسلم فرجعوا الى بلادهم وصالحوا رسول الله (ص) على ألفي حلة.

ومنها في المائدة قوله تعالى ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الى قوله وهم راكعون﴾ ذكر الثعلبي في تفسيره عن السدي وعتبة بن أبي الحكيم وغالب بن عبد الله قالوا نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب (ع) مر به سائل وهو في المسجد راكع فأعطاه خاتمه.

وذكر الثعلبي القصة مسندة الى أبي ذر الغفاري فقال صليت يوماً صلاة الظهر في المسجد ورسول الله (ص) حاضر فقام سائل فسأل فلم يعطه احد شيئاً قال: وكان علي (ع) قد ركع فأومى الى السائل بخنصره فأخذ الخاتم من خنصره والنبي (ص) يعاين ذلك فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري الآية الى قوله واشركه في أمري فانزل عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلوا اليكما اللهم وانا محمد صفيك ونبيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ازري أو قال ظهري قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى نزل

جبريل (ع) من عند الله تعالى فقال يا محمد اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الى قوله وهم راكعون، وفي رواية اخرى خرج رسول الله (ص) وعلي قائم يصلي وفي المسجد سائل معه خاتم فقال له رسول الله (ص) هل أعطاك احد شيئاً فقال نعم ذلك المصلي هذا الخاتم وهو راكع فكبر رسول الله (ص) ونزل جبرئيل (ع) يتلو هذه الآية فقال حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك روحي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الذي اعطيت اذ كنت راكعاً	فدتك نفوس الخلق يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد	ويا خير شار ثم يا خير بايع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبينها في محكمات الشرايع

وقال أيضاً:

من ذا بخاتمه تصدق راكعاً	واسرها في نفسه اسرارا
من كان بات على فراش محمد	ومحمد اسرى يؤم الغارا
من كان في القرآن سمي مؤمناً	في تسع آيات تلين غزارا

اشار الى قول ابن عباس ما انزل الله آية في القرآن إلا علي (ع) أميرها ورأسها.

فان قيل فالقاء الخاتم عبث في الصلاة ولا يليق ذلك بعلي (ع) فالجواب من وجهين أحدهما ما ذكرناه انه اشار الى السائل فأخذه من خنصره والثاني ان الكلام والافعال كان مباحاً عندهم حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فانتهوا عنه.

ومنها في براءة قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ قال علماء السير معناه كونوا مع علي (ع) وأهل بيته؛ قال ابن عباس علي (ع) سيد الصادقين ومنها في هود قوله تعالى ﴿افمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ ذكر الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس انه علي (ع) ومعنى ويتلوه شاهد منه انه اقرب الناس الى رسول الله (ص).

وذكر الثعلبي أيضاً باسناده الى علي (ع) من رواية زاذان قال سمعته (ع) يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثنيت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا وأنا اعرف له آية

تسوقه الى الجنة أو تقوده الى النار فقال له رجل يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أنزلت فيك فقال أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فرسول الله على بينة وأنا شاهد منه ومنها في آخر مريم قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ قال ابن عباس هذا الود جعله الله لعليّ في قلوب المؤمنين.

وقد روى أبو اسحق الثعلبي هذا المعنى مسنداً في تفسيره الى البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص) لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية ومنها في الاحزاب قوله تعالى ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر﴾ قال عكرمة الذي ينتظر أمير المؤمنين فاما قوله تعالى في هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ فسنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى؛ ومنها في الصافات قوله تعالى ﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾ قال مجاهد عن حب علي (ع) ومنها في الجاثية قوله تعالى ﴿أم حسب الذين أجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء﴾ عن ابن عباس نزلت في علي (ع) يوم بدر فالذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة والوليد بن المغيرة والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي (ع) ومنها في الواقعة قوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس أول من صلى مع رسول الله (ص) علي (ع) وفيه نزلت هذه الآية ومنها في المجادلة قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ قال علماء التأويل نزلت في علي (ع) تصدق بدينار ثم ناجى الرسول (ص) فاقتدى به المسلمون ثم نزلت الرخصة وقد اشار الى القصة أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره.

فقال: عن ابن عباس سأل الناس رسول الله واحفوه في المسألة فادبهم الله بهذه الآية. حكى الثعلبي عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي (ص) حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب (ع) قدم ديناراً فتصدق به.

قال: وقال علي (ع) ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وتلا هذه الآية وفي رواية عنه لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله (ص) فقال ما ترى؛ ترى ديناراً قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد، أي قليل المال قال فنزلت ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية.

قال علي (ع): فبي خفف الله عن هذه الأمة.

وكان ابن عمر يقول كانت لعلي (ع) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى، والزهيد قليل المال.

ومنها في سورة لم يكن قوله تعالى ﴿اولئك هم خير البرية﴾ قال مجاهد هم علي (ع) وأهل بيته ومحبوهم، وفي القرآن آيات كثيرة اختصرنا على هذه الجملة لأنها عزيزة وسنذكر بعضها في غضون الأبواب مما لا يخرج عن مقصود الكتاب كقوله تعالى في السجدة ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون﴾ واما السنة فبأخبار نبدأ منها بما ثبت في الصحيح والمشاهير من الآثار.

﴿حديث في اخبار رسول الله (ص) لعلي (ع)﴾

قال احمد في المسند: وقد تقدم اسناده حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال خلف رسول الله (ص) علياً (ع) في غزوة تبوك في أهله فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال: ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي اخرجاه في الصحيحين واتفقا عليه وقد أخرج مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً وقال له ما منعك ان تسب أبا تراب فقال سعد أما ما ذكرت ثلاثاً سمعت رسول الله (ص) قالهن له فلن اسبه أبداً لأن يكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم وذكر منها حديث الراية وسنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى، والثانية لما نزل قوله تعالى ﴿ندع ابناءنا وابناءكم﴾ الآية دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة والحسن والحسين (ع) وقال اللهم هؤلاء أهلي والثالثة سمعت رسول الله (ص) وقد خلفه في بعض مغازيه فقال يا رسول الله تركتني مع النساء والصبيان فقال ألا ترضى وذكر الحديث.

وقد ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر أن سعداً لما قال لمعاوية هذه المقالة قال له معاوية ما كنت عندي ألأم منك الآن فلما لم تنصره ولم قعدت عن بيعته وكان سعد قد تخلف عن بيعته (ع) ثم قال معاوية اما اني لو سمعت من رسول الله (ص) ما سمعت في علي بن أبي طالب لكنت له خادماً ما عشت.

وقد اخرج احمد بن حنبل هذا الحديث في كتاب الفضائل الذي صنفه لأمير

المؤمنين (ع) اخبرنا به أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال: أخبرنا ابو الفضل محمد بن ناصر السلمي، اخبرنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف أخبرنا أبو بكر احمد بن جعفر بن حمداني القطيعي حدثنا عبد الله بن احمد حدثني أبي حدثنا وكيع عن الاعمش عن سعد بن عبيدة بن أبي بردة قال خرج علي (ع) مع النبي (ص) الى ثنية الوداع وهو يبكي ويقول خلفتني مع الخوالف ما أحب ان تخرج في وجه إلا وأنا معك فقال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة وأنت خليفتي وفي رواية ان رسول الله (ص) لما توجه الى تبوك خلف علياً (ع) في أهله وأزواجه لأن المدينة خلت من الرجال فخاف عليها وتحدث المنافقون وقالوا كره مسيره معه فبلغ ذلك علياً (ع) فلحق رسول الله (ص) بالثنية وهو يبكي وذكره.

﴿الكلام على الحديث﴾

قال محمد بن شهاب الزهري: انما خلفه رسول الله (ص) في أهله كما فعل موسى بأخيه هارون عليهما السلام لما ذهب موسى الى الميقات وإنما قال لا نبي بعدي لأنه نسخ بشرعه جميع الشرائع واتفق علماء السير ان علياً (ع) لم يفته مع رسول الله (ص) مشهد سوى تبوك واتفقوا على انه لم يجر فيها قتال وسئل عدي عن هذا فقال فقدت الحرب الشجاع من يقاتل وأما قول معاوية لسعد ما منعك ان تسب أبا تراب فان معاوية لما سب علياً (ع) وأمر الناس بذلك تورع سعد عن مسبته ولم يأخذه في الله لومة لائم. قال علماء السير ولما استشهد علي (ع) واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال[1] يا أبا اسحق ما يضرك لو قلت يا أمير المؤمنين قال والله لا اقولها ابداً أتقولها يا معاوية جذلان ضاحكا والله ما احب اني وليتها بما وليتها به، والجذلان الفرح.

وقال الشعبي: كان سعد قد اعتزل الناس أيام فتنة عثمان رضي الله عنه ولم يخض فيما خاض فيه غيره وكان صاحب كرامات ودعوة مستجابة، ومن كراماته ما ذكره مسلم في صحيحه أنه كان بالبادية في أبله فجاء اليه ابنه عمر بن سعد فلما رآه من بعيد قال: اعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فسلم عليه وقال يا أبت تركت

---

(١) وفي نسخة: يا أبا اسحاق ما ضرك لو قلتها. يعني ان تسلم عليّ بأمرة المؤمنين. فقال سعد الخ.

الناس يتنازعون الملك ونزلت في إبلك وغنمك وباديتك فضرب سعد في صدره وقال له مه أواسكت سمعت رسول الله (ص) يقول ان الله يحب العبد الغني التقي الخفي وهذا عمر بن سعد هو الذي قتل الحسين (ع) وفعل به وبأهله ما فعل فانظر الى فراسة سعد فيه حيث قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب.

قلت: وقد روى احمد بن حنبل في الفضائل حديثاً في المواخاة فقال حدثنا الحسن ابن علي البصري انبأنا أبو عبد الله الحسين بن راشد الطفاوي انبأنا الصباح بن عبد الله أبو بشر أنبأنا قيس بن الربيع انبأنا سعد الخفاف عن عطية عن محدوج بن زيد الباهلي قال آخى رسول الله بين المهاجرين والانصار فبكى علي فقال رسول الله ما يبكيك فقال لم تواخ بيني وبين أحد فقال انما ادخرتك لنفسي ثم قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى الحديث ثم قال يا علي اماعلمت انه أول من يدعى به يوم القيامة أنا فأقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على اثر بعض فيقومون سماطين على يمين العرش ويساره ويلبسون حللا خضراء من الجنة وان أمتي أول من تدعى يوم القيامة للحساب ثم أنت أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي ويدفع اليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين آدم ومن دونه وجميع خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة حمراء وقصبته درة خضراء وله ثلاث ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب على كل ذوابة سطر فعلى احدى الذوايب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وعلى الثانية ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وعلى الثالثة ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم (ع) في ظل العرش وتكسى حلة خضراء من حلل الجنة وينادي مناد من تحت العرش نعم الأب أبوك ابراهيم ونعم الاخ أخوك علي أبشر يا علي فانك ستكسى اذا كسيت وتدعى اذا دعيت وتحيّى اذا حييت وتقف على عقر حوضي تسقي من عرفت فكان علي (ع) يقول والذي نفسي بيده لاذودن عن حوض رسول الله (ص) اقواماً من المنافقين كما تذاد غريبة الابل عن الحوض ترده فان قيل قد اخرج طرف من هذا الحديث في الموضوعات قلنا الذي اخرج في الموضوعات من طريق الدارقطني عن ميسرة بن حبيب الهندي والحكم بن ظهير ولفظه عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) أول خلق الله يوم

القيامة يكسى ابراهيم (ع) يكسى ثوبين ابيضين ثم يقام عن يمين العرش ثم يدعى بي فاكسى ثوبين اخضرين ثم اقام عن يمين العرش ثم تدعى أنت فتكسى ثوبين أخضرين ثم تقام عن يميني فما ترضى يا علي انك تدعى اذا دعيت وتكسى اذا كسيت وتشفع اذا شفعت ثم ضعف الدارقطني ميسرة بن حبيب والحكم.

ونحن نقول الحديث الذي رواه احمد في الفضائل ليس فيه ميسرة ولا الحكم واحمد مقلد في الباب متى روى حديثاً وجب المصير الى روايته لأنه امام زمانه وعالم أوانه والمبرز في علم النقل على اقرانه والفارس الذي لا يجارى في ميدانه وهذا هو الجواب عن جميع ما يرد في الباب وفي احاديث الكتاب.

وقد أخرج احمد في الفضائل عن جابر قال قال رسول الله (ص) يا علي والذي نفسي بيده ان على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أخو رسول الله (ص) قبل أن يخلق الله السموات والارض بألفي سنة.

فان قيل هذا الحديث مخرج في الموضوعات قلنا جملة ما ذكر في الموضوعات وقال المتهم به زكريا بن يحيى ضعفه ابن معين وغيره واحمد رواه من غير طريق زكريا ولو كان حديثا مطعوناً فيه لبينه.

وقال احمد في الفضائل: أنبأنا غنام وفي رواية كتب الينا يذكر ان عبادة بن يعقوب حدثهم عن علي بن عابس عن الحرث بن حصين عن القاسم قال سمعت رجلا من خثعم يقول سمعت اسماء بنت عميس تقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم اني أقول كما قال أخي موسى واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ازري واشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، الآية.

وقال احمد: أنبأنا زيد بن الحباب حدثني الحسين بن واقد حدثني مظفر الوراق عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان رسول الله (ص) قال وقد آخى بين أصحابه أين علي بن أبي طالب فجاء فقال يا علي أنت أخي وأنا أخوك فان ناكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب.

وهذا الحديث: قد أخرجه جدي في كتاب الاحاديث الواهية.

وحكى عن ابن معين انه قال: في اسناده عمرو بن عبد الله ليس بشيء والجواب ما تقدم، وعمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة من أولاد التابعين؛ وكان يعلى بن مرة من

الصحابة واحمد أرسله عن ابن المسيب وذكر احمد في الفضائل فقال حدثنا احمد بن جعفر أنبأنا محمد بن الحسن أنبأنا أبو الحسين بن محمد السعدي أنبأنا عبد المؤمن بن عباد العبدي أنبأنا يزيد بن معن عن عبد الله بن أبي أوفى قال دخلت على رسول الله (ص) في مسجده فقال لي أين فلان وأين فلان فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث اليهم حتى توافوا عنده فحمد الله واثنى عليه وآخى بينهم فقال له علي بن أبي طالب لقد ذهبت روحي يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فان كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة فقال رسول الله (ص) والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي ووارثي فقال يا رسول الله وما أرث منك قال ما ورث الأنبياء قبلي قال وما ورثوا قال كتاب الله وسنن أنبيائه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي والحسن والحسين ابني وأنت رفيقي ثم تلا رسول الله (ص) ﴿اخواناً على سرر متقابلين﴾.

فان قيل ففي اسناده عبد المؤمن بن عباد وكان ضعيفاً والجواب الحديث الذي يرويه عبد المؤمن حديث طويل أخرجه أبو محمد بن عدي الحافظ من حديث زيد بن أبي أوفى وقد أخرجه جدي أبو الفرج في الأحاديث الواهية اما هذا الحديث فأخرجه احمد في الفضائل من غير رواية عبد المؤمن ورجاله ثقات وهو من حديث عبد الله بن أبي أوفى فهذا حديث وذاك آخر والدليل على صحته انه أخرج الترمذي بمعناه في جامعه.

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود البزاز قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكرخي أخبرنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الازدي وأبو بكر احمد بن عبد الصمد الغورجي قالا أخبرنا محمد بن عبد الجبار بن محمد الجراحي أنبأنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي أنبأنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أنبأنا سفيان بن وكيع أنبأنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدي عن عبد الله بن عمر قال آخى النبي (ص) بين أصحابه فجاء علي بن أبي طالب تدمع عيناه فقال يا رسول الله صلى الله عليك آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله (ص) أنت أخي في الدنيا والآخرة.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقبل ان احمد أخرج الحديث الماضي في الفضائل عن زيد بن أبي أوفى.

﴿حديث الراية﴾

قال احمد في المسند: أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد وأخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين واتفقا عليه من حديث سهل بن سعد قال قال رسول الله (ص) يوم خيبر لأعطين الراية أو هذه الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله (ص) يرجو كل أن يعطاها فقال اين علي بن أبي طالب فقيل يا رسول الله هو ارمد أو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فجاء فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يا رسول الله على ما أقاتلهم فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالذي نفسي بيده لان يهتدي بهداك أو لان يهدي الله بهداك رجلا واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم، وفي رواية يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله (ص) انزل بساحتهم وذكره، ولمسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في ذلك اليوم ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها رجاء أن ادع لها فدعا رسول الله (ص) علياً فدفعها إليه وقال له امش حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت فسار قليلا ثم وقف ولم يلتفت وصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتلهم فقال حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله.

تفسير غريب، معنى يدوكون أي يختلطون والدوك الإختلاط وانما مثل بحمر النعم لانها من أعز أموال العرب وقول تساورت أي تطلعت وانما لم يلتفت علي (ع) امتثالا لأمر رسول الله (ص) واستعمالا للأدب ولئلا يرجع في حاجة بعثه فيها رسول الله (ص) ولم يقضها وقد اخرج احمد بن حنبل هذا الحديث في الفضائل وزاد فيه فاخذ رسول الله (ص) الراية فهزها ثم قال من يأخذها بحقها فقال فلان أنا فقال أمط ثم جاء آخر فقال أنا فقال امط فعل ذلك مراراً بجماعة ثم قال (ص) والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لا يفر: هاك يا علي فانطلق بها وفتح الله خيبر على يديه، وقوله امط معناه اذهب واماطه دفعه وزجره وقيل اعطاه وفي رواية فجاء علي (ع) وهو ارمد لا يبصر موضع قدميه قال علي (ع) فما رمدت عيني بعد ذلك اليوم وما وجدت الم البرد ولا شدة الحر منذ دعالي رسول الله (ص) وكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف.

وقال احمد في الفضائل حدثنا الحسن بن علي البصري حدثنا الحسين بن راشد الطفاوي حدثنا الصباح بن عبد الله حدثنا قيس بن الربيع عن سعد الخصاف عن عطية عن ابن بريدة قال حاصرنا خيبر فاخذ اللواء أبو بكر رضي الله عنه فلم يفتح له ثم أخذه عمر رضي الله عنه من الغد فرجع ولم يفتح له واصاب الناس شدة وجهد فقال رسول الله (ص) اني دافع اللواء غداً الى رجل يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح أو يفتح الله على يديه قال فبتنا طيبة أنفسنا ان الفتح غداً فلما صلى رسول الله (ص) الفجر قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم ثم دعا علياً (ع) وذكر بمعنى ما تقدم قال فبرز اليه من خيبر مرحب وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب ... اطعن أحياناً وحيناً أضرب

فاجابه علي (ع) وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة
عبل الذراعين شديد القصورة ... أضرب بالسيف وجوه الكفرة
ضرب غلام ماجد حزورة ... أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ثم ضرب رأس مرحب بالسيف ففلقه.

قال علي (ع) وجئت برأس مرحب الى بين يدي رسول الله (ص) فسر بذلك. ودعا لي كذا وقعت هذه الرواية شديد القصورة بالصاد والصحيح عبل الذراعين شديد قسورة بالسين وهي من اسماء الأسد والسندره مكيال ضخم.

وذكر احمد في الفضائل ايضاً انهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلا يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله (ص) أن ينشد شعراً فاذن له فقال:

جبريل نادى معلنا ... والنقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد احدقوا ... حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

فان قيل قد ضعفوا لفظة لا سيف إلا ذو الفقار قلنا الذي ذكروه ان الواقعة كانت

في يوم احد ونحن نقول انها كانت في يوم خيبر وكذا ذكر احمد بن حنبل في الفضائل ولا كلام في يوم احد فان ابن عباس قال لما قتل علي (ع) طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صايح من السماء (لا سيف إلا ذو الفقار) قالوا في اسناد هذه الرواية عيسى بن مهران تكلم فيه وقالوا كانْ شيعياً.

أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء وقيل إنّ ذلك كان يوم بدر والأول أصح.

وقال جابر بن عبد الله حمل علي (ع) باب خيبر وحده فدحاه ناحية ثم جاء بعده أناس يحملونه فلم يحمله إلا أربعون رجلا.

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التأريخ فيه عن أبي رافع مولى رسول الله (ص) قال لما نزلنا بحصن خيبر وكانت حصون فتقدم علي (ع) فقاتل فخرج اليه رجل فضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي (ع) باباً عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه قال أبو رافع فلقد رأيتني في نفر سبعة انا ثامنهم نجتهد على ان نقلب الباب فلم نقدر عليه.

وقيل هذا الحصن اسمه قموص وهو الذي اخذ علي (ع) منه صفية وجاء بها الى رسول الله (ص).

﴿حديث في ارتقائه (ع) على كتفي رسول الله (ص)﴾

قال احمد في اسناده حدثنا اسباط حدثنا نعيم بن حكيم عن أبي مريم عن علي (ع) قال انطلقت أنا ورسول الله (ص) حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (ص) اجلس فجلست فصعد على كتفي فذهبت لانهض به فلم اطق ورأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي رسول الله (ص) ثم قال اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه فنهض بي وانه ليخيل لي اني لو شئت ان أنال افق السماء لنلته حتى صعدت على البيت وعليه تمثال أصفر ونحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لي رسول الله (ص) اقذف به فقذفته فتكسر كما تكسر القوارير ثم نزلت فانطلقنا نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية ان يلقانا أحد من الناس.

قال سعيد بن المسيب فلهذا كان علي (ع) يقول سلوني عن طرق السموات فاني اعرف بها من طرق الأرضين، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

قال ابن المسيب لم يكن احد من اصحاب رسول الله (ص) يقولها إلا علي بن أبي طالب.(ع).

﴿حديث في محبته﴾

قال احمد في المسند حدثنا ابن نمير الاعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي (ع) انه قال والله عهد الي رسول الله (ص) انه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق انفرد باخراجه مسلم.

وأخرج الترمذي عن أم سلمة انها قالت سمعت رسول الله (ص) يقول لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وقال الترمذي أيضاً كان أبو الدرداء يقول ما كنا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلا ببغضهم علي بن أبي طالب (ع).

وروى احمد في الفضائل: عن المطلب بن عبد الله بن حنطبة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) في خطبته أوصيكم بحب ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فانه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وفي رواية فمن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن احبني ادخله الله الجنة ومن أبغضني ادخله الله النار.

﴿حديث في قوله (ع) من كنت مولاه فعلي مولاه﴾

قال احمد بن حنبل في المسند: حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحيم الكندي عن زاذان قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول في الرحبة وهو ينشد الناس يقول: انشد الله رجلا سمع رسول الله (ص) يقول في يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه فقام ثلاثة عشر رجلا من الصحابة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله (ص) يقول ذلك وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب السنن وقال حديث حسن وزاد فيه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأدر الحق معه كيفما دار وحيث دار واخرجه احمد أيضا في الفضائل فقال حدثنا وكيع عن الاعمش عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) من كنت مولاه أو وليه فعلي وليه.

وفي رواية لما انشد علي (ع) الناس في الرحبة قام خلق كثير فشهدوا له بذلك وفي لفظ فقام ثلاثون رجلا فشهدوا وقال احمد في الفضائل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا

حبيش بن الحرث بن لقيط النخعي عن رياح بن الحرث قال جاء رهط الى أمير المؤمنين (ع) فقالوا السلام عليك يا مولانا وكان بالرحبة فقال كيف اكون مولاكم وأنتم قوم عرب قالوا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، قال رباح فقلت من هؤلاء فقيل نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله (ص).

وقال أحمد في الفضائل: حدثنا ابن نمير بن عبد الملك بن عطية العوفي قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له ان ختناً لي حدثني عنك بحديث في شأن علي (ع) يوم الغدير وانا أحب أن أسمعه منك فقال: إنكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم فقلت: ليس عليك مني بأس فقال: نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله (ص) علينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي بن أبي طالب فقال: أيها الناس الستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقالوا: بلى فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه قالها: اربع مرات

وقال احمد في الفضائل: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله (ص) فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله (ص) بين شجرتين فصلى الظهر واخذ بيد علي (ع) وقال اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك فقال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب اصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وفي رواية اللهم فانصر من نصره واخذل من خذله واحب من احبه وابغض من أبغضه وكل هذه الروايات خرجها احمد بن حنبل في الفضائل بزيادات فان قيل فهذه الرواية التي فيها قول عمر رضي الله عنه أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ضعيفة فالجواب ان هذه الرواية صحيحة وانما الضعيف حديث رواه أبو بكر احمد بن ثابت الخطيب عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشر عن علي بن عمر والدارقطني عن أبي نضر خيشون بن موسى بن أيوب الخلال رفعه الى أبي هريرة وقال في آخرلماقال النبي(ص)من كنت مولاه فعلي مولاه نزل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ الآية قالوا وقد انفرد بهذا الحديث خيشون ونحن نقول نحن ما استدللنا بحديث خيشون بلْ بالحديث الذي رواه احمد في الفضائل عن البراء بن عازب واسناده صحيح ورواية حديث خيشون مضطربة لانه قد ثبت في الصحيحين ان قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية نزلت عشية عرفة في

حجة الوداع على ان الأزهري قد روى عن خيشون ولم يضعفه فان سلمت رواية خيشون احتمل ان الآية نزلت مرتين مرة بعرفة ومرة يوم الغدير كما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والله الموفق للصواب.

﴿الكلام على الحديث﴾

اتفق علماء السير على ان قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (ص) من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة جمع الصحابة[1] وكانوا مائة وعشرين الفاً وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث، نص (ص) على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والاشارة.

وذكر أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره باسناده ان النبي (ص) لما قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والامصار فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم عقلها وجاء فدخل في المسجد فجثا بين يدي رسول الله (ص) فقال يا محمد انك امرتنا ان نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله فقبلنا منك ذلك؛ وانك امرتنا ان نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ونحج البيت ونزكي أموالنا فقبلنا منك ذلك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو من الله فقال رسول الله (ص) وقد احمرت عيناه والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني قالها ثلاثاً فقام الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل من السماء علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم قال فوالله ما بلغ ناقته حتى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وانزل الله تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع﴾.

فاما قوله من كنت مولاه فقال علماء العربية لفظة المولى ترد على وجوه احدها بمعنى المالك ومنه قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا عبداً مملوكا لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه﴾ أي على مالك رقه والثاني بمعنى المولى المعتق بكسر التاء والثالث بمعنى المعتق بفتح التاء والرابع بمعنى الناصر ومنه قوله تعالى ﴿ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم﴾ أي لا ناصر لهم والخامس بمعنى ابن العم قال الشاعر:

---

(١) وفي نسخة وكان معه من الصحابة ومن الاعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة مأة وعشرون ألفا وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة.

مهـلا بني عمنا مهـلا موالينـا لا تنبشوا بيننا ما كان مـدفـونـا

وقال آخر:

هـم المـوالي حـنـفـوا عـلـيـنـا وإنـا مـن لـقـائـهـم لـزور

وحكى صاحب الصحاح عن أبي عبيدة ان قائل هذا البيت عني بالموالي بني العم قال وهو كقوله تعالى ﴿ثم يخرجكم طفلا﴾ والسادس الحليف قال الشاعر:

مـوالي حلف لا مـوالي قـرابـة ولكن قـطينا يسـألون الاتـاويا

يقول هم حلفاء لا ابناء عم قال في الصحاح وأما قول الفرزدق:

ولـو كان عبـد الله مولى هجوته ولكن عبـد الله مـولى المـواليـا

فلان عبد الله بن أبي اسحاق مولى الحضرميين وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى وانما نصب المواليا لأنه رده الى أصله للضرورة وانما لم ينون مولى لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذي لا ينصرف والسابع المتولي لضمان الجريرة وحيازة الميراث وكان ذلك في الجاهلية ثم نسخ بآية المواريث والثامن الجار وانما سمي به لما له من الحقوق بالمجاورة والتاسع السيد المطاع وهو المولى المطلق قال في الصحاح كل من ولي أمر أحد فهو وليه والعاشر بمعنى الأولى قال الله تعالى ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم﴾ أي أولى بكم واذا ثبت هذا لم يجز حمل لفظة المولى في هذا الحديث على مالك الرق لأن النبي (ص) لم يكن مالكا لرق علي (ع) حقيقة ولا على المولى المعتق لأنه لم يكن معتقاً لعلي ولا على المعتق لان علياً (ع) كان حراً ولا على الناصر لأنه (ع) كان ينصر من ينصر رسول الله (ص) ويخذل من يخذله ولا على ابن العم لأنه كان ابن عمه ولا على الحليف لأن الحلف يكون بين الغرماء للتعاضد والتناصر وهذا المعنى موجود فيه ولا على المتولي لضمان الجريرة لما قلنا انه انتسخ ذلك ولا على الجار لانه يكون لغواً من الكلام وحوشي منصبه الكريم من ذلك ولا على السيد المطاع لأنه كان مطيعاً له يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه والمراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة فتعين الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن السعيد الثقفي الأصبهاني في كتابه المسمى بمرج البحرين فانه روى هذا الحديث باسناده الى مشايخه وقال فيه فاخذ رسول الله (ص) بيد علي

(ع) فقال من كنت وليه وأولى به من نفسه فعلي وليه فعلم ان جميع المعاني راجعة الى الوجه العاشر ودل عليه أيضاً قوله (ع) الست أولى بالمؤمنين من انفسهم وهذا نص صريح في اثبات امامته وقبول طاعته وكذا قوله (ص) وادر الحق معه حيث ما دار وكيف ما دار فيه دليل على انه ما جرى خلاف بين علي (ع) وبين أحد من الصحابة الا والحق مع علي (ع) وهذا باجماع الأمة ألا ترى ان العلماء إنما استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين وقد اكثرت الشعراء في يوم غدير خم فقال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم فاسمع بالرسول مناديا

وقال فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ومالك منا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي اماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له انصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معاديا

ويروى ان النبي (ص) لما سمعه ينشد هذه الابيات قال له يا حسان لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا او نافحت عنا بلسانك.

وقال قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وأنشدها بين يدي علي (ع) بصفين:

قلت : لما بغي العدو علينا ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل

وعلي امامنا وامام ... لسوانا به أتى التنزيل

يوم قال النبي من كنت مولاه ... فهذا مولاه خطب جليل

وان ما قاله النبي على الأمة ... حتم ما فيه قال وقيل

وقال الكميت:

نفى عن عينك الارق المجوعا ... وهما تمتري عنه الدموعا

لدى الرحمن يشفع بالمثاني ... فكان له أبو حسن شفيعا

ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو اطيعا

ولكن الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً منيعا

ولهذه الأبيات قصة عجيبة! حدثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي رحمه الله تعالى قال انشد بعضهم هذه الأبيات وبات مفكراً فرأى علياً (ع) في المنام فقال له أعد عليّ أبيات الكميت فانشده اياها حتى بلغ الى قوله: (خطراً منيعا) فانشده علي (ع) بيتاً آخر من قوله زيادة فيها:

فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً اضيعا

فأنتبه الرجل مذعوراً. وقال السيد الحميري:

يا بايع الدين بدنياه ليس بهذا أمر الله
من اين ابغضت علي الرضا واحمد قد كان يرضاه
من الذي احمد من بينهم يوم غدير الخم ناداه
أقامه من بين أصحابه وهم حواليه فسماه
هذا علي بن أبي طالب مولى لمن قد كنت مولاه
فوال من والاه يا ذا العلا وعاد من قد كان عاداه

وقال بديع الزمان أبو الفضل احمد بن الحسين الهمداني:

يا دار منتجع الرسالة وبيت مختلف الملائك
يا ابن الفواطم والعواتك والترايك والأرايك
أنا حايك ان لم اكن مولى ولائك وابن حايك

﴿حديث ليلة الهجرة﴾

قال احمد بن حنبل في الفضائل حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بكر ابن محمد عن عمرو بن ميمون قال: اني لجالس الى ابن عباس إذ أتاه رهط يقعون في علي بن أبي طالب (ع) فرد عليهم ابن عباس قال لما هاجر رسول الله (ص) لبس علي (ع) ثوبه ونام على فراشه وكان المشركون يؤذون رسول الله (ص) فجاء أبو بكر رضي الله عنه وهو نائم فحسبه رسول الله (ص) فصاح يا نبي الله فقال له علي (ع) ان رسول الله (ص) قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه فانطلق أبو بكر رضي الله عنه حتى لحق رسول الله (ص) وبات الكفار يرمون علياً (ع) بالحجارة وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب الى الصباح.

وذكر أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: لما أراد رسول الله (ص) ان يهاجر الى المدينة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده وأمره تلك الليلة ان ينام على فراشه وقال له إتشح ببردي الحضرمي الأخضر فانه لا يخلص اليك منهم أحد ولا يصيبونك بمكروه والقوم قد أحاطوا بالدار قال فاوحى الله الى جبرئيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة فاوحي الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا: جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه والملائكة تنادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك ملائكته؛ ثم توجه رسول الله (ص) الى المدينة فانزل الله تعالى عليه في شأن علي (ع) ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾.

قال ابن عباس: أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب وقال ابن عباس انشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الإله خاف ان يمكروا به ... فنجاه ذو الطول العلي من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يثبتونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

﴿حديث في التضحية﴾

قال احمد في المسند: وقد تقدم اسناده، حدثنا اسود بن عامر حدثنا شريك أنبأنا أبو الحسن عن الحكم عن جيش عن علي (ع)؛ وقال أحمد أيضاً في الفضائل بهذا الاسناد عن علي (ع) قال أمرني رسول الله (ص) ان اضحي عنه ابداً فكان يضحي عنه الى ان استشهد بكبشين أملحين، قال محمد بن شهاب الزهري إنما خص علياً (ع) بذلك دون اقاربه وأهله لقربه منه فكأنه (ص) فعل ذلك بنفسه والله الموفق للصواب.

﴿حديث في دعاء النبي (ص) له بالسلامة وانه مغفور له﴾

قال الترمذي: بالاسناد المتقدم حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن ابراهيم قالا

حدثنا أبو عاصم عن أبي الجراح قال حدثني جابر بن صبيح قال حدثتني أم شراحيل عن أم عطية قالت بعث رسول الله (ص) جيشاً فيهم علي (ع) قالت فسمعته وهو رافع يديه يقول اللهم لا تمتني حتى ترني علياً (ع) وقد اخرج احمد في الفضائل بمعناه من رواية زيد بن ارقم.

وقال احمد في الفضائل: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله (ص) في المسجد فقال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، أو قال يدخل فدخل علي (ع) قال جابر فهنيناه بعد ذلك.

﴿حديث في قراءته البراءة على الناس وقوله (ع) علي منّي﴾

قال الترمذي: بالأسناد المتقدم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن يزيد الرشك[1] عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن الحصين قال بعث رسول الله (ص) جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب (ع) فمضى في السرية فاصاب جارية من السبي فتعاقد أربعة منهم اذا قدموا على رسول الله (ص) أخبروه فلما قدموا عليه قام الأول فقال يا رسول الله ألا ترى الى علي بن أبي طالب فعل كذا وكذا فاعرض عنه ثم قام الثاني فقال كذلك فأعرض عنه وقام الثالث والرابع فقالا كذلك فأعرض عنها ثم أقبل عليهم (ص) والغضب يعرف في وجهه وقال ما تريدون من علي؟ قالها ثلاثاً علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا علي (ع).

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد اخرج احمد في الفضائل بمعناه وفيه ولا يقضي ديني إلا علي (ع).

﴿تفسير معنى قوله ولا يؤدي عني إلا علي﴾

ذكر أهل السير: ان النبي (ص) بعث أبا بكر رضي الله عنه يحج بالناس سنة تسع من الهجرة وقال له ان المشركين يحضرون الموسم ويطوفون بالبيت عراة ولا أحب احج حتى لا يكون ذلك واعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم[2] فلما سار دعا رسول الله (ص) علياً فقال له اخرج بهذه الآيات من صدر براءة

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) وفي نسخة فلما سار دعا رسول الله (ص) علياً (ع) وقال أدرك أبا بكر فخذ منه الآيات واقرأها على الناس بالموسم ودفع اليه ناقته العضباء.

فاذا اجتمع الناس الى الموسم فاذن بها ودفع اليه ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فاخذ منه الآيات فرجع ابوبكر الى رسول الله (ص) فقال بأبي أنت وأمي هل نزل فيَّ أو في شاني شيء فقال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني.

وذكر احمد في الفضائل: ان رسول الله (ص) قال له ان جبرئيل جاءني فقال ابعث علياً فلما كان يوم النحر قام علي (ع) في الناس فأذن بصدر براءة كما أمره رسول الله (ص).

وذكر أحمد في الفضائل؛ باسناده الى أبي سعيد الخدري: ان علياً (ع) لما قرأ صدر براءة الآيات التي أخذها من أبي بكر في الطريق نادى ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يقرب المسجد بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فأجله مدته؛ فقال بعض الكفار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

فقال علي (ع): لولا ان رسول الله (ص) امرني ان لا احدث شيئاً حتى آتيه لقتلتك.

وقال: الزهري انما أمر النبي (ص) علياً (ع) ان يقرأ براءة دون غيره لان عادة العرب ان لا يتولى العهود الاسيد القبيلة وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخ أو عم أو ابن عم فأجراهم على عادتهم، وقد ذكر احمد في الفضائل بمعناه.

وقال ابن عباس: هذا العهد المذكور في القصة هو الذي ذكره الله في أول سورة براءة ﴿فسيحوا في الارض أربعة أشهر﴾ أي مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين ولم يعاهد رسول الله (ص) بعد هذه الآية احداً من الناس.

وقيل: انما قال رسول الله (ص) علي مني وانا منه في يوم احد، فذكر احمد في الفضائل قال لما قصد صاحب لواء المشركين يوم احد رسول الله (ص) فداه علي (ع) بنفسه وحمل على صاحب اللواء فقتله فنزل جبرئيل (ع) فقال يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال رسول الله (ص) علي مني وأنا منه فقال جبرئيل (ع) وانا منكما.

وذكره محمد بن اسحاق في المغازي أيضاً، قال الزهري: انما قال جبرئيل ان هذه لهي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله (ص) يوم احد حتى عثمان بن عفان

رضي الله عنه فانه أول من فر ودخل المدينة وفيه نزل ﴿ان الذين تولوا يوم التقى الجمعان﴾ الآية وروي ان النبي (ص) قال ذلك في حجة الوداع.

فقال احمد في الفضائل اخبرنا يحيى بن أبي بكر وابن آدم قالا حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حبشي بن جنادة عن السلوي وكان قد شهد حجة الوداع قال سمعت رسول الله (ص) يقول في ذلك اليوم علي مني وأنا منه ولا يقضي ديني سواه وقيل قاله يوم نزل عليه ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾.

﴿حديث الطائر﴾

وقد اخرجه احمد في الفضائل؛ والترمذي في السنن؛ فاما احمد فاسنده الى سفيان مولى رسول الله (ص) وأسمه مهران قال أهدت امرأة من الانصار الى رسول الله (ص) طيراً بين رغيفين فقدمته الى رسول الله (ص) وفي رواية طيرين بين رغيفين فقال رسول الله اللهم إيتني باحب خلقك اليك فاذا الباب يفتح فدخل علي (ع) فاكل معه.

واما الترمذي فقال: حدثنا سفيان عن وكيع عن عبيد الله بن موسى عن عيسى ابن عمر عن السدي عن أنس بن مالك قال كان عند النبي (ص) طير فقال اللهم إيتني باحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطائر فجاء علي (ع) فأكل معه.

قال الترمذي: السدي إسمه اسماعيل بن عبد الرحمن سمع من أنس بن مالك، وروى الحسن بن علي ووثقه سفيان الثوري وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم.

قلت: انما ذكر الترمذي هذا في تعديل السدي لان جماعة تعصبوا عليه ليبطلوا هذا الحديث فعدله الترمذي.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري حديث الطائر صحيح يلزمه البخاري ومسلم أخرجاه في صحيحهما لان رجاله ثقاة وهو من شرطهما.

فان قيل: فلم لم يخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين فالجواب إنما لم يخرجه لان محمد بن طاهر المقدسي والدارقطني تعصبا عليه واخرجا لحديث الطائر طرقاً ضعيفة فانه لما صنف المستدرك بلغ الدارقطني فقال لعله يستدرك عليهما حديث الطائر فتركه ثم رموا الحاكم بالتشيع لأجل هذا وكيف يسمع قول محمد بن طاهر مع العلم بحاله وقول الدارقطني في عصبيته على الحاكم والترمذي واحمد بن حنبل

خصوصاً مع شهادة من سلف بعدالة السدي فلا يلتفت الى جرح غيرهم فان قيل فقد تكلم البخاري وابن معين في السدي قلنا انما تكلموا فيه لانه كان يكثر الرواية كما فعلت الصحابة في أبي هريرة لالشيء آخر.

﴿حديث في خصف النعل﴾

أخرجه في الفضائل، والترمذي في السنن، فاما احمد فقال: أنبانا يحيى بن آدم حدثنا يونس عن أبي اسحاق عن زيد بن تبيع عن أنس قال: قال رسول الله (ص) لينتهين بنو وليعة، أو لأبعثن اليهم رجلا كنفسي يمضي فيهم أمري ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية.

قال أبو ذر فما راعني الا برد كف عمر رضي الله عنه من خلفي فقال من تراه يعني؟ قال فقلت ما يعنيك وانما يعني خاصف النعل علي بن أبي طالب.

وبنو وليعة: قوم من العرب. وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه والله ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ جعلت انصب له صدري رجاء ان يقول هذا فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال هذا هو هذا هو مرتين وفي رواية فانتشل بيد علي (ع) أي نفضها.

وأما الترمذي فقال حدثنا سفيان بن وكيع عن أبي شريك عن منصور عن ربعي ابن حراش قال حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة فقال لما كان يوم الحديبية خرج الينا سهيل بن عمرو في جماعة من رؤساء الكفار فقال يا محمد خرج اليك ناس من ابنائنا وإخواننا وارقائنا وليس لهم فقه في الدين وانما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فازودهم علينا او الينا فقال رسول الله (ص) سنفقههم في الدين ان لم يكن لهم فقه، ثم قال يا معاشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين فقالوا ومـــن ذلك؟ فقال من امتحن الله قلبه للايمان وهو خاصف النعل.

قال علي: وكنت جالساً اخصف نعل رسول الله ـ وخصف النعل: خرزها ـ

قلت: ووقفت على جزء بخط جدي ابو الفرج رحمه الله فيه ابيات من نظمه في ماكان، وكان منها[1]:

قالوا علي قلت حبي ربي على شاهدي ما قول قط تصنع وباطني قد بان

---

(١) الابيات مشوشة ومصحفة ولم نعثر على الاصل فتأمل.

هو خاصف النعل نعلي على قفا من يبغضه | هذا سهيم البغض ودع يكون من كان
الشط ينقصه احبه يزيد ما اقدر ابصره | لمي يزيد ومات الحسين وهو عطشان

﴿حديث في سد الابواب﴾

أخرجه احمد في الفضائل والترمذي في السنن فاما احمد فقال: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله (ص) سدوا هذه الابواب إلا باب علي بن أبي طالب فتكلم الناس في ذلك فقام رسول الله (ص) فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني امرت بشيء فاتبعته.

قال ابن عباس بمعناه: ان الله أمرني بشيء فاتبعت أمره.

وأما الترمذي فقال: حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا ابراهيم بن المختار حدثنا شعبة عن أبي ثلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب إلا باب علي (ع).

قال الترمذي: يعني الأبواب الشارعة في المسجد اعترضوا على هذه الجملة وذلك من وجوه احدها انهم قالوا في اسناد الحديث الأول ميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة ضعفه يحيى بن سعيد واما الحديث الثاني ففيه أبو ثلج واسمه يحيى بن سليم ضعفه احمد وابن حبان والثاني انه قد رواه جماعة من الصحابة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وجابر وطرقهم ضعيفة والثالث ان في الصحيحين ان النبي (ص) أمر بسد الأبواب إلا باب أبي بكر (رض) والجواب أما أبو ثلج فقد روى عنه احمد ووثقه فكيف يسمع قول القائل انه ضعفه وكذا ميمون فان احمد اخرج عنه في الفضائل واما روايات الصحابة فنحن ما استدللنا بشيء منها بل اعتمدنا على رواية احمد والترمذي وأما قولهم ان النبي (ص) أمر بسد أبواب المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه فنقول قد اخرج احمد والترمذي ان الواقعة كانت لعلي (ع) وروى أبو سعيد ان الواقعة كانت لأبي بكر (رض) وليس احدى الروايتين باولى من الاخرى فتوقف الامر على التاريخ غاية ما في الباب ان يقال حديث ابي سعد في الصحيحين.

فنقول احمد والترمذي مقلدان في الباب أيضاً، وقد روى الترمذي عن علي بن منذر عن فضيل بن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال

رسول الله (ص) يا علي لا يحل لأحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

قال الترمذي: ومعناه لا يحل لأحد ان يستطرق هذا المسجد جنباً إلا أنا وأنت، فان قيل فعطية ضعيف قالوا: والدليل على ضعف الحديث ان الترمذي قال: حدثت بهذا الحديث أو سمع مني هذا الحديث محمد بن اسماعيل يعني البخاري فاستطرفه والجواب ان عطية العوفي قد روى عن العباس والصحابة وكان ثقة، وأما قول الترمذي عن البخاري فانما استطرفه لقوله (ع) لا أحله إلا لطاهر لا لحائض ولا جنب وعند الشافعي يباح للجنب العبور في المسجد، وعند أبي حنيفة لا يباح حتى يغتسل للنص ويحمل حديث علي (ع) على انه كان مخصوصاً بذلك كما كان رسول الله (ص) مخصوصا بأشياء.

﴿حديث في النجوى والوصية﴾

قال الترمذي: حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال دعا رسول الله (ص) علي بن أبي طالب يوم الطائف فانتجاه طويلا فقال الناس لقد طالت نجواه مع ابن عمه فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال ما انتجيته ولكن الله انتجاه.

قال الترمذي: ومعناه ان الله أمرني ان اناجيه أو انتجي معه.

وقال أهل اللغة: التناجي السر يكون بين اثنين يقال نجوته نجوى أي ساررته وكذا ناجيته وانتجى القوم وتناجوا إذا تساروا، والإسم النجوى.

وقال احمد في الفضائل: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا جرير ابن عبد الحميد عن المغيرة عن أم موسى عن ام سلمة (رض) قالت والذي نحلف به ان كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) مرض رسول الله (ص) مرض موته فلما كان اليوم الذي قبض فيه دعا علياً فناجاه طويلا وساره كثيراً ثم قبض في يومه ذلك فكان أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) فان قيل قد روي عن عائشة (رض) عنها قالت يزعمون ان رسول الله (ص) أوصى الى علي بن أبي طالب متى كان ذلك ما قبض إلا بين سحري ونحري، والجواب ان هذا الحديث رواه احمد بن حنبل في الفضائل ولم يطعن فيه احد وهو حديث صحيح، ولو كان معلولا لتكلموا فيه، ومعنى قول عائشة يزعمون يشير الى أم سلمة وأم سلمة مثل

عائشة؛ ثم قول أم سلمة مثبت وقول عائشة نافي ومتى اجتمع المثبت والنافي قدم المثبت باجماع الامة، على ان قول عائشة ما قبض إلا بين سحري ونحري لا ينافي الوصية لأن في تلك الحالة لا يقدر الإنسان على الكلام وانما يكون قبيل ذلك فيحمل على انه أوصى اليه في ذلك الوقت فلما ثقل قبض بين سحرها ونحرها توفيقاً بين الاقوال.

وقال احمد في الفضائل: حدثنا الهيثم بن خلف حدثنا محمد بن أبي عمر الدوري حدثنا شاذان حدثنا جعفر بن زياد عن مطر عن أنس قال: قلنا لسلمان الفارسي سل رسول الله (ص) من وصيه؟ فسأل سلمان رسول الله (ص) فقال من كان وصي موسى بن عمران؟ فقال يوشع بن نون قال: ان وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب (ع) فان قيل فقد ضعفوا حديث الوصية فالجواب ان الحديث الذي ضعفوه في اسناده اسماعيل بن زيادة تكلم فيه الدارقطني وانما تكلم فيه لأنه روى في الحديث زيادة بعد قوله منجز وعدي وهو خير من اترك بعدي والحديث الذي ذكرناه رواه احمد في الفضايل وليس في اسناده ابن زياد ولا هذه الزيادة فذاك حديث وهذا آخر.

﴿حديث في قوله (ع)[1] من آذى علياً فقد آذاني﴾

قال احمد في الفضايل: حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن الفضل ابن معقل بن سنان عن عبيد الله بن دينار الأسلمي عن عمرو بن شاس قال خرجت مع علي (ع) الى النمير فجفاني جفوة فلما قدمت المدينة اظهرت شكايته في المسجد فبلغ رسول الله (ص) فدخلت يوماً الى المسجد وهو جالس في جماعة من أصحابه فجعل يحد بي النظر ثم قال اما والله لقد آذيتني فقلت أعوذ بالله ان اوذيك يا رسول الله فقال أما علمت ان من اذى علياًفقدآذاني وهذا حديث سالم من الطعن وقد روى سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يذكر علياً (ع) بشر فقال ويلك تعرف من في هذا القبر واشار الى قبر رسول الله (ص) فسكت الرجل فقال عمر فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اذا آذيت علياً فقد آذيته.

---

(١) وكذا في جميع النسخ.

﴿حديث في قضائه (ع)﴾

قال احمد في الفضائل: حدثنا نمير حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة حدثنا أبو البحتري عن علي (ع) قال بعثني رسول الله (ص) الى النمير وانا شاب فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم لأقضي بينهم وأنا شاب لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنوت منه فضرب في صدري وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين، وأخرجه في المسند أيضاً، وذكره ابن اسحاق وغيره في المغازي وفيه اذا جلس بين يديك خصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر مثل ماسمعت منه فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء.

وقال احمد في المسند: حدثنا أبو سعيد عن اسرائيل عن سماك بن حنش عن علي ابن أبي طالب (ع) قال بعثني رسول الله (ص) الى النمير فانتهينا الى قوم حفروا زبية للأسد فبينا هم يتدافعون اذ سقط رجل منهم في الزبية فتعلق بآخر ثم تعلق آخر بآخر حتى صاروا فيه اربعة وكان فيها اسد فجرح الكل فابتدر اليه رجل بحربة فقتله ومات الاربعة من جراحتهم فقام أولياء الأول الى أولياء الثاني بالسلاح ليقتتلوا مع أولياء الثاني فقال علي (ع) علي باولياء الأول فجاؤا فقال أتريدون ان تقتلوا رسول الله (ص) بين اظهركم إني اقضي بينكم بقضاء فان رضيتموه وإلا فتحاجزوا حتى تذهبوا الى رسول الله (ص) فيقضي بينكم فقالوا نعم قال اجمعوا من قبايل حافر البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة فلأولياء الاول الربع لأنه أهلك من فوقه ولأولياء الثاني الثلث ولأولياء الثالث النصف ولأولياء الرابع الدية الكاملة فلم يرضوا بذلك واتوا رسول الله (ص) واخبروه بالقصة فاجتبى وقال سأقضي بينكم فقال رجل منهم يا رسول الله ان علي بن أبي طالب قضى بكذا وكذا فأجاز قضاء علي عليه السلام.

قلت: وهذا المذكور مذهب علي (ع) وللفقهاء فيه كلام معروف.

﴿حديث الناقة﴾

قال احمد في الفضائل: حدثنا علي بن الحسين الفامي أو القمي حدثنا محمد بن عبد الله بن عقيل حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا عيسى عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر عن رجل عن أنس قال قال رسول الله (ص) لعلي (ع) تؤتى يوم القيامة

بناقة من نوق الجنة فتركبها وركبتك مع ركبتي حتى ندخل الجنة جميعاً فان قيل جهالة الراوي عن أنس توجب ضعفاً في الحديث قلنا الحديث مشهور ولم يطعن فيه احد وهذه عادة الرواة يروون عن رجل ولم يسمّوه ، وقد فعل ذلك جماعة من المحدثين منهم الحميدي فانه ذكر في آخر الجرح من الصحيحين مثل هذا فقال عن رجل .

﴿حديث في الحدائق﴾

قال احمد في الفضائل : حدثنا علي بن المنذر عن حربي بن عمارة عن أبي عثمان النهدي عن علي (ع) قال كنت أمشي مع رسول الله (ص) في بعض طرق المدينة فمررنا على حديقة فقلت يا رسول الله ما أحسن هذا فقال لك مثلها في الجنة حتى أتينا على سبع حدائق فان قيل قدتكلموا بهذا الحديث فالجواب ان الحديث الذي تكلموا فيه زيادة وله طريقان اما الزيادة قال فبكى رسول الله (ص) فقلت ما يبكيك قال ضغاين في صدور رجال عليك لم يبدوها لك وسوف يبدوها من بعدي واما الطريقان ففي احدهما الفيض بن وثيق وفي الثاني يوسف بن حباب وهما متروكان قال يحيى بن معين الفيض كذاب خبيث وقال الدارقطني يونس كان يسب عثمان واحمد بن حنبل ما روى الحديث من طريقها بل عن الثقات ولم يذكر الزيادة أيضاً وقد قال ابن عدي انما دخل الخلل في هذا الحديث من الزيادة .

﴿حديث في تسليم الملائكة عليه﴾

قال احمد في الفضائل : حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث حدثنا اسحاق بن ابراهيم النشهلي حدثنا سعيد بن الصلت حدثنا أبو جارود الرحبي عن أبي اسحاق الهمداني عن الحرث عن علي (ع) قال لما كانت ليلة بدر قال رسول الله (ص) من يستقي لنا من الماء فاحجم الناس قال فقمت فاحتضنت قربة ثم أتيت قليباً بعيد القعر مظلمًا فانحدرت فيه فاوحى الله الى جبرئيل وميكائيل واسرافيل تأهبوا لنصرة محمد (ص) وحربه فهبطوا من السماء لهم دوي يذهل من يسمعه فلما حاذوا القليب وقفوا وسلموا عليّ من عند آخرهم اكراماً وتبجيلا وتعظيمًا ؛ وذكره أرباب المغازي .

﴿حديث فيما خلق منه علي (ع)﴾

قال احمد في الفضائل : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال قال رسول الله (ص) كنت أنا وعلي بن أبي طالب

نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم باربعة آلاف عام فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزئين فجزء أنا وجزء علي، وفي رواية خلقت أنا وعلي من نور واحد فان قيل فقد ضعفوا هذا الحديث فالجواب ان الحديث الذي ضعفوه غير هذه الالفاظ وغير الاسناد أما اللفظ خلقت أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة؛ وفي رواية خلقت أنا وعلي من نور وكنا عن يمين العرش قبل ان يخلق الله آدم بالفي عام فجعلنا نتقلب في اصلاب الرجال الى عبد المطلب، واما الاسناد فقالوا في اسناده محمد بن خلف المروزي وكان مغفلا وفيه أيضاً جعفر بن احمد بن بيان وكان شيعياً والحديث الذي رويناه يخالف هذا اللفظ والاسناد رجاله ثقات فان قيل فعبد الرزاق كان يتشيع قلنا هو أكبر شيوخ احمد بن حنبل ومشى الى صنعاء من بغداد حتى سمع منه وقال ما رأيت مثل عبد الرزاق ولو كان فيه بدعة لما روى عنه وما زال الى ان مات يروي عنه ومعظم الأحاديث التي في المسند رواها من طريقه وقد اخرج عنه أيضاً في الصحيح.

﴿حديث في القضيب الأحمر﴾

قال احمد في الفضائل: حدثنا احمد بن جعفر حدثنا ابن راشد عن شريك عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن ارقم قال سمعت رسول الله (ص) يقول من أحب ان يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله بيمينه في جنة عدن فليتمسك بحب علي بن أبي طالب وآله فان قيل فقد ضعفوا هذا الحديث لان الدارقطني رواه عن الحسين بن علي وهو ابن راشد الذي رويتموه عنه والجواب ان هذا الحديث رواه البراء بن عازب وزيد بن ارقم فطريق البراء فيها اسحاق بن ابراهيم النحوي ضعفه الازدي واما طريق زيد فقد ذكر جدي أبو الفرج في الموضوعات عن الدارقطني انه قال ما كتبت هذا الحديث إلا عن ابن راشد ولم يضعفه ثم قال جدي عقيب هذا وابن راشد هو العدوي كان يضع الحديث وقال جدي ولعله سرقه من النحوي قلت وبلعل لا تبطل فضائل أمير المؤمنين وتسقط أخبار الرسول (ص).

﴿حديث مدينة العلم﴾

قال احمد في الفضائل: حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله الرومي

حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي (ع) قال: قال لي رسول الله (ص) انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية أنا دار الحكمة وعلي بابها وفي رواية أنا مدينة الفقه وعلي بابها، فمن اراد العلم فليأت الباب ورواه عبد الرزاق فقال فمن أراد الحكم فليأت الباب فان قيل فقد ضعفوه فالجواب ان الدار قطني قال قد رواه سويد بن غفلة عن الصنابحي ولم يذكر سويد بن غفلة وقول الدار قطني ان ثبت فهو صفة الارسال والمرسل حجة في باب الاحكام فكيف بباب الفضائل فان قيل في هذه الروايات مقال قلنا نحن لم نتعرض لها بل نحتج بما خرجه احمد وهو الرواية الاولى عن علي (ع) واذا ثبتت الروايات كلها لان رواية الحديث بالمعنى جايزة في احكام الشريعة فها هنا أولى فان قيل محمد بن علي الرومي شيخ شيخ أحمد بن حنبل ضعفه ابن حبان فقال: يأتي على الثقات بما ليس من احاديث الأثبات قلنا قد روى عنه ا براهيم بن محمد شيخ احمد ولو كان ضعيفاً لبين ذلك وكذا احمد فانه اسند اليه ولم يضعفه ومن عادته الجرح والتعديل فلما اسند عنه علم انه عدل في روايته.

﴿حديث في قوله (ص) أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة﴾

قال احمد في الفضائل: حدثنا احمد بن عبد الجبار الصوفي حدثنا احمد بن الازهر عن محمد بن ابراهيم عن عطية العوفي عن ابن عباس قال بعثني رسول الله (ص) الى علي بن أبي طالب (ع) فقال قل له: أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن ابغضك فقد أبغضني؛ وقال احمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس رفعه، فان قيل فهذا الحديث ضعيف ويعرف بحديث أبي الأزهر وابو الأزهر كذبه ابن معين والجواب قد أخرجه احمد في الفضائل وأبو الأزهر اسمه احمد بن عدي ولو صح ما قالوا فمعناه صحيح وقد ثبت ان رسول الله (ص) شهد له بالجنة فاي فائدة في وضع حديث ثبت في الصحيح معناه ولا خلاف انه سيد في الدنيا وكذا في الآخرة وان من أحبه أحب رسول الله (ص) ومن ابغضه ابغض رسول الله (ص) فلم يكن ثابتاً لما رووه لأنه لا يخلو عن الفائدة وفي سياقه وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن ابغضك بعدي.

﴿حديث في شهادة النبي (ص) له انه من أهل الجنة﴾

أخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله انه قال: أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن محمد

القاضي الانصاري وأبو القاسم هبة الله بن الحصين قالا أنبأنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري حدثنا أبو احمد محمد بن احمد بن الغطريف الجرجاني سنة احدى وسبعين وثلاثمائة حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي حدثنا عيسى بن مسلم الاحمر حدثنا محمد بن معاوية عن يحيى بن سابق عن زيد بن اسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) يا علي أنت في الجنة قالها ثلاثاً. وهذا الحديث من جزء ابن الغطريف الذي انفرد جدي أبو الفرج رحمه الله بروايته وسمعناه عليه ببغداد سنة ست وتسعين وخمسمائة وهو جزء مشهور بين المحدثين.

﴿حديث قتل العمالقة﴾

قال ابن الغطريف: بهذا الاسناد حدثنا أبو عمير حدثنا المفضل بن محمد بمكة حدثنا عبد الرحمن بن أخت عبد الرزاق عن عمر بن محمد الصاعدي عن ابراهيم بن اسماعيل الكهلي حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) في خطبة خطبها في حجة الوداع لاقتلن العمالقة في كتيبة فقال له جبرئيل (ع) أو علي بن أبي طالب فقال أو علي بن أبي طالب.

﴿حديث في رد الشمس له﴾

اخبرنا أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن احمد الطوسي، حدثنا أبي عبد الله عن أبيه أبي نصر احمد الطوسي، حدثنا أبو الحسين بن النقور انبأنا أبو جبانة حدثنا البغوي حدثنا طالوت بن عباد عن ابراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين (ع) عن اسماء بنت عميس قالت كان رأس رسول الله (ص) في حجر علي (ع) وهو يوحى اليه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) اللهم انه كان في طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه الشمس قالت فردها الله له[1] فان قيل فقد

---

(١) وفي نسخة اخرى وقد ضعف قوم هذا الحديث. وذكره جدي في كتاب الموضوعات. وقال في اسناده جماعة ضعفاء وسماهم. ثم قال وصلاة العصر صارت قضاءاً. فلا يفيد رجوع الشمس. قلت قد حكى القاضي عياض في كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) عن الطحاوي انه ذكره في شرح مشكل الحديث. وقال روى من طريقين صحيحين عن اسماء بنت عميس أن النبي (ص) كان رأسه في حجر علي (ع) وهو يوحى اليه. وذكره وفيه. فقال له رسول الله (ص) أصليت العصر؟ قال لا. فقال رسول الله (ص) اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت اسماء. فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على رؤوس الجبال وذلك بالصهباء في خيبر. قال الطحاوي وهاتان الروايتان ثابتتان ورواتها ثقاة. وقال الطحاوي كان احمد بن صالح يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم

قال جدك في الموضوعات هذا حديث موضوع بلا شك وروايته مضطربة فان في اسناده احمد بن داوذ وليس بشيء وكذا فيه فضل بن مرزوق ضعيف وجماعة منهم عبد الرحمن بن شريك ضعفه أبو حاتم وقال جدك أنا لا اتهم به الا ابن عقدة فانه كان رافضياً فلو سلم فصلاة العصر صارت قضاء بغيبوبة الشمس فرجوع الشمس لا يفيد لأنها لا تصير أداءاً قالوا وفي الصحيح ان الشمس لم تحبس على احد إلا يوشع بن نون والجواب ان قول جدي رحمه الله هذا حديث موضوع بلا شك دعوى بلا دليل لأن قدحه في رواته الجواب عنه ظاهر لأنا ما رويناه إلا عن العدول الثقاة الذين لا مغمز فيهم وليس في إسناده أحد ممن ضعفه. وقد رواه أبو هريرة أيضاً أخرجه عنه ابن مردويه فيحتمل ان الذين أشار اليهم في طريق أبي هريرة؛ وكذا قول جدي أنا لا أتهم به إلا ابن عقدة من باب الظن والشك لا من باب القطع واليقين وابن عقدة مشهور بالعدالة كان يروي فضائل أهل البيت ويقتصر عليها ولا يتعرض للصحابة (رض) بمدح ولا بذم فنسبوه الى الرفض وقوله صارت صلاة العصر قضاءاً؛ قلنا أرباب العقول السليمة والفطر الصحيحة لا يعتقدون انها غابت ثم عادت وانما وقفت عن السير المعتاد فكان يخيل للناظر انها غابت وانما هي سايرة قليلا قليلا والدليل عليه انها لو غابت ثم عادت لاختلت الأفلاك وانسد نظام العالم وقال الله تعالى ﴿كل في فلك يسبحون﴾ وانما نقول انها وقفت على سيرها المعتاد ولو ردت على الحقيقة لم يكن عجباً لأن ذلك يكون معجزة لرسول الله (ص) وكرامة لعلي (ع) وقد

التخلف عن حديث اسماء لأنه من علامات النبوة وقوله صارت صلاة العصر فيها قضاءاً قلت إذا كان رجوع الشمس من علاماته صحة نبوة نبينا (ع) فكذا تصير صلاة العصر أداءاً حكمًا لأن القضاء بحكي الفائت.

والعجب من هذا وقد ثبت في الصحيح ان الشمس حبست ليوشع بن نون ولا يخلو اما ان يكون ذلك معجزة لموسى (ع) أو ليوشع فان كان لموسى فلنبينا (ص) أفضل. وعلي (ع) أقرب اليه من يوشع الى موسى. وان كان معجزة ليوشع فلا خلاف. ان علياً (ع) أفضل من يوشع لأن ادنى أحواله ان يكون كواحد من علماء الأمة. وقد قال (ص) علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل فعلم ان الحديث ثابت.

ثم ذكر في متن الكتاب اشعار الصاحب في رد الشمس وحكاية جلوس أبي منصور مظفر بن اردشير العبادي. وقد اقتصرنا على هذه الجملة التي هي بالنسبة إلى فضائل أمير المؤمنين (ع) كنسبة القطرة إلى المطرة والموجة الى اللجة والثمرة الى الشجرة. والواحد الى العشرة. ولو رمت إسهاباً أتى الفيض بالمد. فان تحذلق علينا متحذلق في تضعيف بعض الأخبار وتعلق بوهن شيء من الآثار فجوابه على من عزيناها اليه واعتمدنا في اسنادها عليه فانهم رووها عن الثقاة واتقنوا الى الطرق والروايات وكفى بروايتهم على هذا الوجه حجة على من حاد عن المحجة وخصوصاً احمد بن حنبل فانه عند الجمهور قدوة وفي علم السنة والكتاب فيقلد في الباب والله أعلم بالصواب منه.

حبست ليوشع بالاجماع ولا يخلو إما ان يكون ذلك معجزة لموسى أو كرامة ليوشع فان كان لموسى فنبينا أفضل منه وان كان ليوشع فعلي (ع) أفضل من يوشع. قال (ص) علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وهذا في حق الآحاد فما ظنك بعلي (ع) والدليل عليه أيضاً ما ذكر احمد في الفضائل فقال حدثنا محمد بن يونس عن الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري عن عمر بن جميع عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه قال قال رسول الله (ص) الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار وهو مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم وحزقيل كان نبياً من أنبياء بني اسرائيل مثل يوشع فدل على فضل علي (ع) على أنبياء بني اسرائيل وفي وقوف الشمس يقول الصاحب كافي الكفاة:

من كمولاي علي والوغى تحمي لظاها
من يصيد الصيد فيها بالظبى حين انتضاها
من له في كل يوم وقعات لا تضاها
كم وكم حرب ضروس سد بالمرهف فاها
أذكروا أفعال بدر لست أبغي ما سواها
أذكروا غزوة أحد إنه شمس ضحاها
أذكروا حرب حنين إنه بدر دجاها
اذكروا الأحزاب قدماً إنه ليث شراها
اذكروا مهجة عمرو كيف أفناها شجاها
اذكروا أمر براءة واصدقوني من تلاها
اذكروا من زوجه الز هراء قد طابت ثراها
حاله حالة هارون لموسى فافهماها
أعلى حب علي لا مني القوم سفاها
أول الناس صلاة جعل التقوى حلاها
ردت الشمس عليه بعدما غاب سناها

وفي الباب حكاية عجيبة: حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا: شاهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية مدرسة بباب أبرز محلة ببغداد. وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي (ع) وطرزه بعبارته ونمقه

بالفاظه ثم ذكر فضائل أهل البيت (ع) فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام أبو منصور على المنبر قائمًا وأومى الى الشمس وأنشد:

لا تغـربي يا شمس حتى ينتهي ... مـدحي لآل المصـطفى ولنجـله
واثني عنانـك ان أردت ثنـاءهم ... أنسيت ان كـان الـوقـوف لأجله
إن كـان للمـولى وقـوفـك فليكن ... هـذا الـوقـوف لخيله ولـرجلـه

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت[1].

﴿حديث في شيعته (ع)﴾

قال ابن الغطريف: بالأسناد المتقدم أنبأنا عمرو الكاغدي أنبأنا احمد بن يحيى الصوفي أنبأنا يحيى بن الحسن بن الفرات أنبأنا عبد الله عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال نظر النبي (ص) الى علي بن أبي طالب فقال هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة اقتصرنا على هذه الأخبار لئلا يخرج كتابنا عما شرطنا وهو الاختصار ولو رمت اسهاباً أتى الفيض بالمد.



(١) قلت: بعد تسليم رد الشمس ليوشع وهو مسلم في الأخبار الصحيحة لا مناص من تسليم رد الشمس لأمير المؤمنين (ع) بشهادة جملة من الاخبار عن النبي (ص) يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني اسرائيل. حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

الباب الثالث في ذكر أولاده (ع)

إتفق علماء السير: على أنه كان له (ع) من الولد ثلاثة وثلاثون منهم أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة انثى الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى أمهم فاطمة بنت رسول الله (ص) وعلى هذا عامة المتأخرين، وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة بنت رسول الله (ص) اسمه محسن مات طفلا وفاطمة (ع) أول زوجاته لم يتزوج عليها حتى توفيت ومحمد الاكبر وهو ابن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر من سبي بني حنيفة وقيل كانت أم ولد وسنذكره في باب مفرد وكذا الحسن والحسين (ع) وعبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد وأمه ليلى بنت مسعود من بني تميم وأبو بكر قتل مع الحسين (ع) أمه أيضاً ليلى بنت مسعود والعباس الأكبر وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين وأمهم أم البنين بنت حزام (وقيل بنت خلة) كلابية تزوجها بعد فاطمة (ع) ومحمد الأصغر قتل مع الحسين (ع) أيضاً أمه أم ولد ويحيى وعون أمهما اسماء بنت عميس وكان جعفر بن أبي طالب قد تزوج اسماء ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر الصديق (رض) فمات عنها فتزوجها علي (ع) بعد أم البنين فأولدها وعمر الأكبر ورقية امهما الصهباء صبية تزوجها بعد اسماء بنت عميس والصهباء يقال لها ام حبيب بنت ربيعة من بني وائل اصابها خالد بن الوليد لما أغار على بني تغلب بناحية عين التمر وهذا عمر الاكبر نذكر سيرته فيها بعد وقد روى عمر الحديث وكان فاضلا وتزوج اسماء بنت عقيل بن أبي طالب وعاش خمساً وثمانين سنة حتى حاز نصف ميراث أبيه أمير المؤمنين (ع)[1] ومحمد الاوسط وأمه امامة بنت العاص بن الربيع وامهازينب بنت رسول الله (ص) تزوجها بعد الصهباء وأم الحسن والحسين ورملة الكبرى وامهن أم سعيد بنت عروة تزوجها أخيراً وأم هاني وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وجمانة ونفيسة وهن لأمهات أولاد شتى قالوا وابنة أخرى صغيرة توفيت ولم

---

(١) هذا غلط واضح.

يضبط اسمها[1] والنسل منهم خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس (ع) وقيل ولمحمد الأصغر أيضاً وسنذكرهم فيما بعد ان شاء الله تعالى.

وذكر ابن جرير الطبري: ان بنات علي (ع) سبع عشرة والصحيح ما ذكرناه.

قال الزبير بن بكار: من أولاد العباس بن علي (ع) عبيد الله بن علي بن ابراهيم ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي (ع) قال علماء السير قدم بغداد وحدث بها ونزل مصر وكان عالماً جواداً وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه أهل البيت (ع) وتوفي بمصر سنة اثني عشرة وثلاثمائة.

وذكر أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وقال: من أولاد العباس بن علي (ع) العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي قدم بغداد في أيام هارون الرشيد وصحبه ثم صحب المأمون بعده وكان عالماً شاعراً فصيحاً وتزعم العلوية انه أشعر ولد أبي طالب دخل يوماً على المأمون فتكلم فاحسن فقال له المأمون والله انك لتقول فتحسن وتشهد فتزين وتغيب فتؤمن. وجاء يوماً الى باب المأمون فنظر اليه الحاجب ثم اطرق فقال له العباس لو اذن لنا لدخلنا ولو اعتذر الينا لقبلنا ولو صرفتنا لانصرفنا فاما القزة[2] بعد النظر الشزر فلا اعرفها وانشد:

وما عن رضى كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

وقال: يذكر إخاء ابي طالب لعبد الله والد النبي (ص):

إنا وان رسول الله يجمعنا ... أب وأم وجد غير موصوم
جاءت بنا وبه من بين اسرته ... غراء من نسل عمران بن مخزوم
فزنا بها دون من يسعى ليدركها ... قرابة من حواها غير مشهوم
رزقاً من الله أعطانا فضيلته ... والناس ما بين مرزوق ومحروم

وقوله غراء: من نسل عمران يريد فاطمة بنت عمرو والدة عبد الله وأبي طالب والمشهور المذعور وكان للعباس هذا اخوة علماء فضلاء محمد وعبيد الله والفضل

---

(١) قال الواقدي توفي أمير المؤمنين عن أربع من الحرائر امامة بنت أبي العاص وليلى التميمية وأم البنين الكلابية واسماء بنت عميس وعن جماعة من الاماء.

(٢) وفي نسخة: فأما النظر الشزر والاطراق. والقزة فلا أدري ما هو فخجل الحاجب.

وحمزة وكلهم بنو الحسن بن عبيد الله بن العباس وسنذكر سيرة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية في الابواب التي رسمناها لذلك.



الباب الرابع في ذكر خلافته (ع)

قال علماء السير: كالطبري والواقدي وهشام بن محمد وغيرهم بويع[1] علي (ع) بالخلافة يوم قتل عثمان (رض) وذلك يوم السبت لثمان عشرة خلت من ذي الحجة وقيل لثلاث عشرة وقيل يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة وذلك سنة خمس وثلاثين واتفق على بيعته المهاجرون والانصار.

وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه أنه كان يقول والله ما زانت الخلافة علياً ولكن هو زانها فأول من بايعه طلحة وكان اشل وقى النبي (ص) يوم احد فشل فلما نظر اليه علي (ع) تطير منه وقال يد شلاء أمر لا يتم ما اخلفه أن ينكث بيعته. ثم بايعه الزبير والصحابة.

وذكر محمد بن سعد في الطبقات قال: بويع علي (ع) بالخلافة بالمدينة في الغد من يوم قتل عثمان (رض) فبايعه طلحة والزبير وسعيد بن زيد من العشرة المبشرين وعمار بن ياسر واسامة بن زيد وسهل بن حنيف وأبو أيوب الانصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من الصحابة وفي بيعة سعد بن أبي وقاص خلاف، قال ابن سعد ولم أر في كتابي ذكر سعد، قال وقد رأيت في كتاب سمع معناه ذكر سعد.

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه، وقال: سأل أصحاب رسول الله (ص) علي بن أبي طالب ان يتقلد لهم وللمسلمين أمرهم فابى عليهم.

قال ابن جرير بلغني عن محمد بن الحنفية أنه قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان (رض) فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا ان هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من امام يقوم بأمرهم ولا نجد اليوم أحداً احق بهذا الامر منك أقدم سابقة

---

(١) وفي نسخة: اتفق علماء السير على أنه بويع بالخلافة في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وانما اختلفوا في أي يوم منه الى أن قال والأولى أي الثمانية عشر أصح.

وأقرب الى رسول الله (ص) فقال لا تفعلوا الآن اكون وزيراً خيراً من ان أكون أميراً قالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك فقال ان كان ولا بد ففي المسجد لأن بيعتي لا تكون إلا عن رضى المسلمين فدخل المسجد فبايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس.

وروى ابن جرير أيضاً: عن أبي بشير العابدي ان علياً (ع) قال لهم لا حاجة لي فيكم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروه؛ وقالوا ما نختار سواك فدخل حايط بني عمرو بن مبذول واغلق الباب فجاؤا وفيهم طلحة والزبير فتسوروا عليه الحائط وقالوا ابسط يدك فبايعه طلحة أولا والزبير بعده فنظر حبيب بن ذويب الى يد طلحة فقال لا يتم هذا الأمر ثم خرج الى المسجد فبايعه الناس.

وقال ابن جرير جاؤا بسعد بن أبي وقاص فقالوا له بايع فقال حتى يبايع الناس فقال الأشتر النخعي دعني اضرب عنقه فقال علي (ع) دعوه أبا جميلة انك ما علمت سيئ الخلق صغيراً وكبيراً.

وقد روى ابن جرير قال: لما بايع الناس علياً تلكأ عليه طلحة والزبير فسل الأشتر سيفه وقال لتبايعان أو لأضربن عنقكما فقال طلحة واين المذهب عنه فبايعاه وقالا له امرّنا على البصرة والكوفة فقال لهما تكونان عندي اتجمل بكما.

قال الزهري وقد بلغنا ان علياً (ع) قال لهما: ان احببتما ان تبايعاني وان احببتما بايعتكما فقالا لا بل نحن نبايعك ثم قالا بعد ذلك انما بايعناه خشية على انفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا.

وقال ابن جرير وممن امتنع من بيعته حسان بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان ابن بشير ورافع بن خديج في آخرين وفي زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة خلاف.

وقال غير ابن جرير لم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن عمر وسعد وصهيب وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وكعب بن مالك وهرب قوم الى الشام وهؤلاء يسمون العثمانية.

قال الزهري: والعجب ان عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص لم يبايعا علياً (ع) وبايعا يزيد بن معاوية، وذكر سيف بن عمر في الفتوح عن جماعة من الصحابة

قالوا بقيت المدينة شاغرة خمسة أيام وأميرها الغافقي يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه فاتى الناس علياً (ع) فاختفى منهم وخرج الى حيطان المدينة وتبرأ من المصريين وباعدهم وطلب الكوفيون الزبير فتباعد منهم وطلب البصريون طلحة فتباعد منهم وتبرأ منهم وأرسلوا الى سعد بن أبي وقاص فتبرأ منهم وقال قد ادخلت فيها ثم اخرجت منها لا حاجة لي فيها ثم تمثل

لا تخلطن الخبيثات بطيبة اخلع ثيابك وانج عريانا

فلقوا عبد الله بن عمر فسألوه فقال ان لهذا الأمر انتقاضاً فأسألوا غيري أو التمسوا غيري فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون فنادوا يا أهل المدينة قد أجلناكم يومكم هذا فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناسي كثيراً فغشى الناس علياً (ع) وقالوا ترى ما نزل بالإسلام والمسلمين فهلم نبايعك فامتنع فقالوا انك مقتول فبايعوه.

وذكر غير سيف وابن جرير ان الناس اختلفوا الى علي (ع) بعدما قتل عثمان (رض) أربعين ليلة في المهاجرين والأنصار يسألونه البيعة وهو يقول لا حاجة لي فيها انظروا لهذا الامر غيري ومن تختارونه اكن معكم وهم يقولون ليس له سواك فقال أصلي بكم ويكون مفتاح بيت المال بيدي وليس لي أمر دونكم فرضوا وقال لا أعطي أحداً دون احد درهما قالوا نعم فبايعوه فنزل من المنبر وأعطى كل ذي حق حقه وسكن الناس فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير فقالا يا أمير المؤمنين ان عيالنا كثير وأرضنا شديدة، فقال: الم أشرط اني لا أعطي أحدا دون أحد فقالوا قد لزمتنا نفقات فقال أئتوني باصحابكم فأن رضوا أن اعطيكما دونهم فعلت وان[1] أبيتما فانا أعطيكما من عطائي فأبيا عليه وقالا ائذن لنا في العمرة فقال والله ما تريدان العمرة وانما تريدان الغدرة والفتنة فقالا كلا والله فقال قد اذنت لكما فافعلا ما شئتما وذلك بعد أربعة أشهر من خلافته.

وذكر سيف بن عمر قال كانوا اذا لقوا طلحة عرضوها عليه فيأبى ويتمثل

ومن عجب الايام والدهر انني بقيت وحيداً لا أمر ولا أحلي

---

(١) وفي نسخة: وان أبوا.

فيقولون له انك لتوعدنا واذا لقوا الزبير أرادوه فيأبى وينشد:

متى أنت عن دار بفيحان راحل وباعثها تحفو عليها الكتائب

فيقولون انك لتوعدنا ثم يلقون علياً (ع) فيسألونه فيأبى ثم ينشد:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمراً يدع الأعاديا

فيقولون انك لتوعدنا والله لئن لم تفعل لنقتلنك، قال الشعبي أول من خرج الاشتر النخعي لما امتنع وهرب الوليد بن عقبة وسعد[1] بن أبي وقاص ومروان بن الحكم الى مكة وبها عائشة وأم سلمة وخرج طلحة والزبير أيضاً الى مكة فدخلا على أم سلمة وشكوا اليها وقالا أكرهنا وسألاها الخروج فنهتهما وقالت انما تريدان الفتنة فخرجا من عندها فدخلا على عائشة وذكرا لها مثل ذلك وقالا لها تخرجين معنا فنقاتل هذا الرجل فاجابتهما.

وفي الباب حكاية ذكرها صاحب بيت مال العلوم وذكرها أيضاً صاحب عقلاء المجانين عن أبي الهذيل العلاف، قال: سافرت مع المأمون الى الرقة فبينا أنا أسير في الفرات إذ مررنا بدير فوصف لي فيه مجنون يتكلم بالحكمة فدخلت الدير واذا برجل وسيم نظيف فصيح وهو مقيد فسلمت عليه فرد السلام ثم قال قلبي يحدثني انك لست من أهل هذه المدينة القليل عقول أهلها يعني الرقة قلت نعم أنا من أهل العراق فقال اني اسألك فافهم ما أقول فقلت سل فقال اخبرني عن النبي (ص) هل أوصى؟ قلت لا قال فكيف ولي أبو بكر (رض) مجلسه من غير وصية فقلت اختاره المهاجرون والأنصار ورضي به الناس فقال كيف أجازه المهاجرون وقد قال الزبير بن العوام لا أبايع إلا علي بن أبي طالب وكذا العباس وكيف اختاره الانصار وقد قالت منا أمير ومنكم أمير وولوا سعد بن عبادة يوم السقيفة وقال عمر (رض) اقتلوا سعداً قتله الله وكيف تقول رضي به الناس وقد قال سلمان الفارسي كردي نكردي أي فعلتموها فوجئت عنقه وقال أبو سفيان بن حرب لعلي (ع) مديدك لأبايعك وان شئت ملأتها خيلا ورجالا ثم قعد بنو هاشم عن بيعة أبي بكر ستة أشهر فأين الاجماع ثم لما ولي أبو بكر الخلافة وحمد الله ثم قال وليتكم ولست بخيركم وكيف يتقدم المفضول على الفاضل.

---

(١) وفي نسخة: وسعيد بن العاص.

ولما ولي عمر (رض) قال: وددت اني كنت شعرة في صدر أبي بكر ثم قال بعد ذلك كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله الأمة شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه ثم ان عمر رد السبي الذي سباه خالد بن الوليد في أيام أبي بكر فان خالداً تزوج امرأة مالك بن نويرة فردها عمر بعدما ولدت منه ثم ولى عمر صهيباً على أصحاب رسول الله (ص) وهو عبد النمر بن قاسط وكل هذا تناقض.

وأخبرني: عن عبد الرحمن بن عوف حين ولى عثمان (رض) الخلافة واختاره هل ولاه إلا وهو يعرفه قلت لا قال فقد قال عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك ما كنت أحب ان أعيش حتى يقول لي عثمان يا منافق فمعرفة عثمان عبد الرحمن حين نسبه الى النفاق كمعرفة عثمان اياه إذ ولاه الخلافة.

وأخبرني عن عائشة لما كانت تحرض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر، فلما ولي علي (ع) الخلافة قالت وددت ان هذه سقطت على هذه تعني السماء على الارض ثم خرجت من بيتها تقاتل علياً (ع) مع طلحة والزبير وتسفك الدم الحرام والله تعالى يقول: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ وهذه مخالفة لله تعالى ولما قتل عثمان جاء المسلمون والصحابة إرسالاً الى علي (ع) ليبايعوه فلم يفعل حتى قالوا له والله لئن لم تفعل لنلحقنك بعثمان فاخبرني ايما آكد من ضرب سعداً ووجأ عنق سلمان كمن جاء الناس يكرهونه على البيعة قال فلم احر جواباً وسقط في يدي قال في كم يجب القطع في السرقة قلت في ربع دينار فقال كم اعطاك هذا الذي جئت معه الى ها هنا فقلت خمسمائة دينار فقال يجب ان يقطع اعضاءك بحساب ما أخذت قلت ولم قال لأنك سرقت مال المسلمين فقلت الخليفة أعطاني من ماله فقال ومن أين ماله المال لله تعالى ولعامة المسلمين والله انك لاحق بهذا السعوط الذي اسعط به كل يوم والقيد مني، قال فخرجت من عنده وأنا خجل فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه وبقي زماناً يستعيده مني.

وذكر أبو حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين) وكشف ما في الدارين الفاظاً تشبه هذا فقال قال رسول الله (ص) لعلي (ع) يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة قال وهذا تسليم ورضاء وتحكيم ثم بعد هذا غلب الهوى حباً للرياسة وعقد البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول في فتح الامصار وأمر الخلافة ونهيها فحملهم على

الخلافة فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون، قال ولما مات رسول الله (ص) قال قبل وفاته بيسير أئتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفوا فيه بعدي فقال عمر دعوا الرجل فانه ليهجر.

وقال: ان العباس وعلياً وولده وبني هاشم لم يحضروا البيعة ثم خالفهم الأنصار يوم السقيفة ودخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته فقال أئت بعمك عمر لاوصي له بالخلافة فقال يا أبي أنت كنت على حق أم على باطل؟ قال على حق قال ان كان حقاً فارض لولدك ما رضيت لنفسك ثم قال أبو بكر على منبر رسول الله (ص) أقيلوني فلست بخيركم فقال ذلك هزلا أو جداً أو امتحاناً فان كان هزلا فالخلفاء منزهون عن الهزل وان كان جداً فهذا نقض للخلافة وان كان امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

قلت: ثم العجب من منازعة معاوية لعلي (ع) الخلافة وقد قطع الرسول (ص) طمع من طمع فيها بقوله اذا ولي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما، والعجب من حق واحد كيف ينقسم بين اثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فيتجزى قال وقال أبو حازم أول حكومة تجري بين العباد في المعاد بين علي (ع) ومعاوية فيحكم الله تعالى لعلي على معاوية والباقون تحت المشية.

وقال (ص) لعمار: تقتلك الفئة الباغية ولا ينبغي للإمام أن يكون باغياً ولأن الامامة تضيق عن شخصين كما ان الربوبية لا تليق بالهين اثنين.

وقال الغزالي أيضاً: وقد زعمت طائفة أن يزيد بن معاوية لم يرض بقتل الحسين (ع) وادعوا أن قتله وقع غلطا قال: وكيف يكون هذا وحال الحسين لا يحتمل الغلط لما جرى من قتاله ومكاتبة يزيد الى ابن زياد بسببه وحثه على قتله ومنعه من الماء وقتله عطشاناً وحمل رأسه وأهله سبايا عرايا على اقتاب الجمال اليه وقرع ثناياه بالقضيب ولما دخل علي بن الحسين زين العابدين (ع) على يزيد قال أنت ابن الذي قتله الله فقال أنا علي ابن من قتلته أنت ثم قرأ ﴿ومن قتل مؤمناً متعمداً﴾ الآية ثم استفاض لعن علي (ع) على المنابر ألف شهر وكان ذلك بأمر معاوية اتراهم أمرهم بذلك كتاب أو سنة أو اجماع هذا صورة كلام الغزالي.

﴿حديث مسير علي (ع) إلى البصرة﴾

قال علماء السير: كان علي (ع) قد تجهز الى الشام لقتال معاوية ولم يبق إلا المسير فبينا هو كذلك إذ أتاه كتاب أمير مكة يخبره ان طلحة والزبير جاءا فاخرجا عائشة ما ندري أين ذهبا بها، وفي رواية وانهم قصدوا البصرة فصعد المنبر فخطب وقال: أيها الناس انِ طلحة والزبير وعائشة سخطوا امارتي وقد قصدوا البصرة فتهيئوا للخروج اليهم.

وذكر سيف بن عمر قال: لما قتل عثمان (رض) كان على مكة عبد الله بن عامر الحضرمي وكانت عائشة مقيمة بمكة تريد العمرة في المحرم وهرب بنو أمية الى مكة فاخبروها بقتل عثمان ولم يخبروها بتأمير علي (ع) فلما قضت عمرتها خرجت الى المدينة فلما انتهت الى سرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد الله بن أبي سلمة فقالت مهيم فهمهم ودمدم فقالت له ويحك علينا أو لنا فقال قتل عثمان وبقوا خمسة أيام بغير امام قالت ثم ماذا قال اجتمع أهل المدينة والقوم الغالبون عليها على علي بن أبي طالب فاسترجعت وعادت الى مكة فبلغ الناس رجوعها فانجفلوا اليها ودخلت المسجد وجاءت الى الحجر فتسترت فيه واجتمع اليها الناس فخطبت وقالت أيها الناس ان الغوغاء اجتمعت على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلمًا فبادروه بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام في الشهر الحرام فاجتماعكم عليهم ينكل بهم غيرهم ويشرد بهم من خلفهم فقال عبد الله بن عامر أنا أول طالب بدمه.

وذكر ابن جرير عن الميداني قال: خرجت عائشة وعثمان محصور الى مكة فقدم عليها رجل يقال له اخضر فقالت ما صنع الناس فقال اجتمع المصريون على عثمان فقتلوه فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون قوم جاؤا يطلبون الحق وينكرون الظلم يقتلون، والله لارضى بهذا ثم قدم آخر فقالت ما صنع الناس فقال: قتل المصريون عثمان فقالت قتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه فقوموا معي فقال عبيد بن أم كلاب. لم تقولين هذا فوالله لقد كنت تحرضين عليه وتقولين اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر فقالت انهم استتابوه ثم قتلوا فقال عبيد بن أم كلاب:

ومنك البكاء ومنك العويل ... ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الامام ... وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء ... يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها ... وما من وفي مثل من قد غدر

ثم اجتمعت بنو أمية الى عائشة وتشاوروا وقالوا: كلنا نطلب بدم عثمان ورأسهم عبد الله بن عامر الحضرمي ومروان بن الحكم والمشار اليهما طلحة والزبير فاتفقوا على البصرة لأن ابن عامر قال قد كفاكم الشام معاوية ولي بالبصرة صنايع لأنه كان واليها وجهزهم ابن عامر بالمال والجمال ولما عزمت عائشة على المسير نهتها أم سلمة وقالت لها يا هذه ان حجاب الله لن يرفع وما أنت يا هذه وهذا الأمر وقد تنازعته الايدي وتهافت فيه الرجال وتسكينه اصلح للمسلمين فاتقي على رسول الله (ص) من الافتضاح في زوجته واتقي دماً لم يبحه الله لك فلما رأتها لا تصغي الى قولها قالت:

نصحت ولكن ليس للنصح قابل ... ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كاني بها قد ردت الحرب رحلها ... وليس لها إلا الترجل راحل

وقيل: ان أم سلمة كانت بالمدينة وانما كتبت الى عائشة تنهاها لأنه لما عزم علي (ع) على المسير قالت له أم سلمة يا أمير المؤمنين لولا اني أخاف أن أعصي الله لخرجت معك ولكن هذا ابني عمر أعز علي من نفسي فخذه معك فخرج معه ولم يزل ملازمه، واستعمله على البحرين.

وذكر الميداني: ان يعلى بن أمية كان والياً على اليمن فقدم على عائشة وهي تجهز الى البصرة فاعانها باربعمائة الف درهم من مال اليمن وحملها على الجمل الذي كانت عليه يوم القتال واسم الجمل عسكر اشتراه من اليمن بثمانين ديناراً وقيل كان جمل لعبد الله بن عامر حملها عليه واشتراه بمائتي دينار ودفع لها عبد الله بن عامر ألف ألف درهم من بيت مال البصرة.

وذكر سيف: ان الجمل كان ليعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار ثم خرجوا من مكة في تسعمائة ثم لحقهم الناس حتى صاروا ثلاثة آلاف ولما بلغ علياً (ع) خروجهم خطب بالمدينة وقال أيها الناس ان طلحة والزبير وعائشة كرهوا امارتي وقد قصدوا البصرة

لشق عصى المسلمين وطلباً للفتنة وتفريقاً للكلمة فتجهزوا للمسير اليهم ثم سار في تسعمائة وروي لما بلغه (ع) مسيرها سار من المدينة في وجوه المهاجرين والأنصار وأمّر على المدينة قثم بن العباس وتوجه في تسعمائة من الصحابة.

وذكر ابن جرير في تاريخه: ان عائشة اشترت الجمل من رجل من عرينة بستمائة درهم وناقة قال ابن جرير فمرت على ماء يقال له الحوءب فنبحتها كلابه فقالت ما هذا المكان فقال لها سائق الجمل العرني هذا الحوءب، فاسترجعت وصرخت باعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت أنا والله صاحبة كلاب الحوءب ردوني الى حرم الله ورسوله قالتها ثلاثاً.

قال ابن سعيد: فيما حكاه عن هشام بن محمد الكلبي استرجعت وذكرت قول رسول الله كيف بك اذا نبحتك كلاب الحوأب فقال لها طلحة والزبير ما هذا الحوأب وقد غلط العرني ثم أحضروا خمسين رجلا فشهدوا معهما على ذلك وحلفوا.

قال الشعبي: فهي أول شهادة زور اقيمت في الإسلام.

وقال ابن جرير في تاريخه: لما سمعت عائشة كلاب الحوءب قالت إنا لله وإنا اليه راجعون اني لهيه، قد سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه ايتكن تنبحها كلاب الحوءب وأرادت الرجوع فمنعها ابن الزبير.

وقال سيف بن عمر: لما خرجت عائشة (رض) من مكة نحو البصرة تبعتها امهات المؤمنين الى ذات عرق فلم ير باكياً على الإسلام أكثر من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب ولما وصلت الى البصرة نزلت بالمربد وكان بالبصرة عثمان بن حنيف أميراً من قبل علي (ع) فجرى بينه وبين القوم قتال فناداها حارثة بن قدامة السعدي يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك فان من يرى قتالك يرى قتلك فان كنت أتيتينا طايعة فارجعي الى منزلك وان كنت مكرهة فاستغيثي بالناس.

وحكى ابن جرير عن سيف بن عمر قال: خرج شاب من بني سعد فقال يا طلحة

---

(١) قال صاحب النهاية: انه قال (ص) لنسائه أيتكن تنبحها كلاب الحوأب. والحوأب منزل بين البصرة ومكة. وهو الذي نزلته عائشة لما جاءت الى البصرة في وقعة الجمل. وقال أيضاً في مادة دبة وفيه انه قال (ص) لنسائه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوءب.

يا زبير أرى معكما أمكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا فانشد:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمري قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها فهوت لحمل النبل والأسياف

ثم اعتزل القوم.

وأخرج البخاري طرفا من هذا الحديث وهذا المعنى عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله (ص) أيام الجمل بعد ما كدت ان الحق باصحاب الجمل فاقاتل معهم قال لما بلغ رسول الله (ص) ان أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

قلت: هذه بنت كسرى اسمها بوران فان أمور الناس اختلت لما وليتهم فكذا كل امرأة تولت امراً يحتاج فيه الى الاستفسار والرأي ولهذا لا تلي المرأة الامارة ولا القضاء ولا الامامة ولا نحو ذلك.

ثم ان طلحة والزبير: اغتالا عثمان بن حنيف في ليلة مظلمة وكان بالمسجد في جماعة فأوطؤه الارجل ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة وارسلوا الى عائشة ليستشيروها فيه فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة ناشدتك الله في عثمان فانه صاحب رسول الله (ص) فقالت احبسوه واضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه واشفار عينيه ففعلوا ونهبوا بيت مال البصرة وقتلوا سبعين رجلا من المسلمين بغير جرم فهم أول من قتل في الاسلام ظلماً.

وحكى ابن سعد: عن هشام بن محمد قال ما منعهم من قتل عثمان بن حنيف إلا غضب الأنصار ولحق عثمان بعلي (ع) فوافاه بذي قار وليس في وجهه ورأسه شعرة فلما رآه أمير المؤمنين شق ذلك عليه واسترجع. وقال سيف بن عمر لما خرج علي (ع) من المدينة وذلك في آخر شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين كتب الى أهل الكوفة يستنفرهم وكان أبو موسى الأشعري والياً عليها فجاء الناس اليه يستشيرونه في الخروج فقال أبو موسى ان أردتم الدنيا فاخرجوا وان أردتم الآخرة فاقيموا. وبلغ علياً (ع) قوله فكتب اليه اعتزل عن عملنا مذموماً مدحوراً يا ابن الحايك فهذا[1] أول يومنا منك.

---

(١) وفي نسخة: فهذه أول هناتك. ان لك لهنات وهنات.

وذكر المسعودي في (مروج الذهب): ان علياً (ع) كتب إلى أبي موسى انعزل عن هذا الأمر مذموماً مدحوراً فان لم تفعل فقد أمرت من يقطعك أرباً اربا يا ابن الحايك ما هذا أول هناتك وان لك لهنات وهنات.

ثم بعث علي (ع): الحسن وعماراً إلى الكوفة فالتقاهما أبو موسى فقال له الحسن (ع) لم ثبطت القوم عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح فقال صدقت ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول ستكون فتنة يكون القاعد فيها خيراً من القائم والماشي خيراً من الراكب فغضب عمار وسبه وتكلم عمار فقال أيها الناس هذا ابن عم رسول الله (ص) يستنفركم إلى عائشة وإني أعلم انها زوجة رسول الله (ص) في الدنيا والاخرة؛ وتكلم الحسن بمثل هذا وقال اعينونا على ما ابتلينا به فخرج معه تسعة آلاف في البر والماء؛ وقد اخرج البخاري معنى هذا عن أبي وائل شقيق بن سلمة.

قال: لما بعث علي (ع) عماراً والحسن ابنه إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال اني لأعلم انها زوجة نبيكم (ص) في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لينظر إياه تتبعون أو إياها، وفي رواية فصعد الحسن المنبر فقعد في أعلاه وجلس عمار اسفل منه وقال: وذكره في البخاري أيضاً عن أبي وائل.

قال: لما قدم عمار الكوفة ليستنفر الناس دخل عليه أبو مسعود الأنصاري وأبو موسى الأشعري فقال ما رأينا أمراً منذ اسلمت أكره عندنا من إسراعك إلى هذا الأمر فقال لهما ما رأيت منكما أمراً منذ اسلمتما أكره عندي من ابطائكما عن هذا الأمر. قال الزهري وإنما أشار إلى ترك الفتنة لأن عماراً كان على باطل.

ثم ان علياً (ع): لما قارب البصرة كتب الى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم كتاباً لترتيب الحجة عليهم (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم أما بعد: يا طلحة والزبير قد علمتما اني لم أرد البيعة حتى اكرهت عليها وانتم ممن رضي ببيعتي فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله تعالى وارجعا عما انتما عليه وان كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية؛ وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين؛ وأنت يا زبير

فارس قريش ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه قبل اقراركما، وأنت يا عائشة فانك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ثم تزعمين انك تريدين الأصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحرمة ثم انك طلبت على زعمك بدم عثمان وما أنت وذاك عثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله (ص) أقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي الى بيتك واسبلي عليك سترك والسلام؛ فما أجابوه بشيء ثم التقوا منتصف جمادى الأولى من هذه السنة فلما ترا أى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاحه وخرج طلحة فخرج اليهما علي (ع) ودنى منهما وعليه قبا طاق حتى اختلفت اعنة خيلهم فقال علي[1] (ع) لعمري لقد اعددتما خيلا وسلاحاً فهل اعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً الم اكن اخاكما في دينكما تحرمان دمي واحرم دمكما. فقال طلحة ألّبت الناس على عثمان فقال لعن الله من الب الناس على عثمان ومن أين أنت يا طلحة ودم عثمان ويا زبير اتذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت اليه فقلت لا يدع ابن ابي طالب زهوه فقال لك رسول الله (ص) انه ليس بزهو ولتقاتلنه وأنت ظالم له، وفي رواية اتذكر يوم لقيت رسول الله (ص) في بني بياضة وهو راكب على حمار وذكره فقال الزبير اللهم نعم ولو ذكرت هذا ما خرجت من المدينة ووالله لا اقاتلك أبداً وفي رواية فقال زبير فما الذي اصنع ولقد التقتا حلقتا البطان ورجوعي عار علي فقال علي (ع) ارجع بالعار ولا تجمع بين العار والنار فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤججة	انى يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله	عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

---

(١) وفي نسخة: ما انصفتما رسول الله (ص) حيث جئتما بعرسه تقاتلان بها وخبأتما عرسكما في بيوتكما. والله يا زبير ما انصفت رسول الله (ص) صنت عرسك من الحتوف وابرزت عرسه للرماح والسيوف. ثم ما أنتما ودم عثمان الستما ممن الب عليه الناس يا زبير.

فقلت حسبك من لوم أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

وهذه من جملة أبيات للزبير قالها لما خرج من العسكر أولها:

ترك الأمور التي يخشى عواقبها لله اجمل في الدنيا وفي الدين
اخال طلحة وسط القوم منجدلا ركن الضعيف ومأوى كل مسكين
قد كنت انصره حينا وينصرني في النائبات ويرمي من يراميني
حتى ابتليت بأمر ضاق مصدره فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

ثم انصرف طلحة والزبير فقال علي (ع) لاصحابه: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ان لا يقاتلكم ثم عاد الزبير الى عائشة وقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت عقلي إلا أنا أعرف أمري إلا هذا؛ قالت له فما تريد أن تصنع قال أذهب وادعهم، فقال له عبد الله ولده جمعت هذين الفريقين حتى اذا جد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب احسست برايات ابن أبي طالب فرأيت الموت الأحمر منها أو من تحتها تحملها فتية أنجاد سيوفهم حداد فغضب الزبير وقال ويحك قد حلفت أن لا اقاتله فقال كفر عن يمينك فدعا غلاماً له يقال له مكحول فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سلمان التميمي:

لم ار كاليوم أخا اخوان أعجب من مكفر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمان

وقال آخر:

يعتق مكحولا لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه

وفي رواية: ان الزبير لما قال له ابنه ذلك غضب فقال له ابنه والله لقد فضحتنا فضيحة لا نغسل منها رؤوسنا أبداً فحمل الزبير حملة منكرة فقال علي (ع) أفرجوا له فأنه محرج فخرق الصفوف ثم عاد ولم يطعن برمح ولا ضرب بسيف ثم رجع الى ابنه وقال ويحك اهذه حملة جبان ثم خرج عن العسكر، وفي رواية ان علياً لما التقى بالزبير قال له قد كنا نعدك من خيار بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك السوء ففرق بيننا وبينك أليس رسول الله (ص) قال لك كيت وكيت وذكر الحديث، وفي رواية ثم قال علي (ع)

لطلحة ما انصفت رسول الله (ص) جئت بعرسه تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت، ثم قال علي (ع) ايكم يعرض عليهم المصحف قبل قتالهم فقال فتى من القوم أنا فحمل المصحف وبرز بين الصفين وقال الله الله بيننا وبينكم كتاب الله فقطعوا يده فاخذه بيده الأخرى فقطعت فاخذه باسنانه فقتلوه فنادى علي (ع) الآن طاب لكم قتالهم فحملوا.

وحكى ابن سعد عن هشام بن محمد كان اسم الذي حمل المصحف مسلمًا فقالت أمه:

يا رب ان مسلمًا أتاهم	يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم	وأمه قائمة تراهم

ثم برز عمار ونادى: يا قوم والله ما انصفتم نبيكم (ص) حين كتمتم عقايلكم في الخدور وابرزتم عقيلته للسيوف؛ وفي رواية يا زبير ما أنصفت رسول الله (ص) صان زوجتك من الحتوف وابرزت زوجته للسيوف وكان لقد لقي رسول الله (ص) يوماً اسماء في بعض أزقة المدينة ومعه جماعة من أصحابه فاعرض عنها واعرضوا أيضاً حتى ذهبت وقيل مد عليها سجافاً خوفاً من غيرة الزبير فنادى عمار يا ابن العوام مد رسول الله (ص) على زوجتك السجوف وذكره ثم دنى عمار من الهودج وكان عليه جلود البقر والمسوح وفوقها الدروع فقال ما تطلبين؟ فقالت دم عثمان فقال خذل الله اليوم الباغي الطالب لغير الحق وأنشد:

(فمنك البكاء ومنك العويل)

وقد ذكرنا الأبيات فرشقوه بالنبل فعاد وصاح علي (ع) أيها الناس كفوا حتى يبتدئوا بالقتال ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تستحلوا سلباً ولا متاعاً وكان هذا من رأي الفريقين.

وفي رواية ان علياً (ع) قال لطلحة نشدتك الله الم تسمع رسول الله (ص) يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فقال بلى والله ثم انصرف عنه.

فصل في عقر الجمل

قال سيف بن عمر: لما انهزم الناس اطافت بالجمل مضر وكان زمامه بيد كعب بن سور قاضي البصرة وكان قد اعتزل الناس لما وصلت عائشة الى البصرة وجلس في بيت وطيّن عليه بابه فقيل لعائشة انه لا يستقيم لكم الامر إلا بكعب بن سور فجاءت بنفسها اليه واخرجته فلما كان اليوم الثالث قالت له يا كعب خل عن زمام الجمل وتقدم إليهم بكتاب الله فادعهم اليه وناولته مصحفاً فتقدم به فقتلته السبأية مخافة ان يقع الصلح بين الفريقين فيهلكوا ولما قتلوا كعباً عقروا الجمل ورموا عائشة من الهودج فجعلت تنادي يا بني البقية البقية اذكروا الله وهم لا يلتفتون اليها.

وكان القتال يوم الخميس في جمادي الأولى من سحر الى الظهر وما شوهدت واقعة مثلها لا قبلها ولا بعدها فني فيها الكماة من فرسان مضر وكان لا يأخذ زمام الجمل إلا المعروف بالشجاعة فحمل الأشتر النخعي في جماعة من الفرسان وزمام الجمل بيد زفر بن الحرث فجرحوه وعقر الجمل عقره رجل يقال له دلجه وقتل عليه سبعون رجلا من بني ضبة وقيل ان عبد الله بن الزبير آخر من أخذ بخطامه فصاحت عائشة، واثكل اسماء فجرح فالقى نفسه بين الجرحى ولما وقع الجمل جاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فاحتملا الهودج فأدخل محمد بن أبي بكر يده فيه فقالت عائشة من هذا؟ فقال محمد أخوك البار فقالت مذمم العاق وجاء علي (ع) وضرب عليها فسطاطاً وقال استفززت الناس والبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً فقالت له ملكت فاسجح وفي رواية انه وقف عليها وقال يغفر الله لك فقالت ولك؛ وفي رواية انه ضرب هودجها بالقضيب وقال يا حميراء ارسول الله امرك بهذا انما امرك الله بالقرار في بيتك والله ما انصفك من أخرجك وصان حلائله فلم تتكلم كلمة.

وقال سيف: اجتمعت بنو ضبة حول الجمل فقطعت على زمامه الف يد وهم يقولون:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننعى ابن عفان باطراف الأسل

الموت أحلى عندنا من العسل ردوا علينا شيخنا أو نقتتل

وقيل : ان زمام الجمل كان بيد عمرو بن يثربي قتل يومئذ قتله عمار بن ياسر وعمر عمار يومئذ سبعون سنة ، وقيل جاؤا بعمرو بن يثربي أسيراً بين يدي علي (ع) فقال له استبقني فقال قتلت زيد بن صوحان وجماعة من الصحابة فقتله وجرح عبد الله بن الزبير أربعون جراحة ، والتقى عبد الله بن الزبير ذلك اليوم بالأشتر النخعي فاجتلدا وتعانقا وسقطا الى الأرض فصاح عبد الله بن الزبير[1]

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

فصارت مثلا وقيل ان هذا القائل لهذا القول عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد كان امام عسكر طلحة والزبير يصلي بهم فلم يفهم الناس قوله ولو عرفوا انه الأشتر لقتلوه، ثم جاء قوم ففرقوا بينهما، وفي رواية لما سقط الهودج قال علي (ع) لمحمد بن أبيَ بكر انظر هل وصل الى اختك شيء فادخل رأسه اليها فقالت من أنت؟ فقال ابغض أهلك

---

(١) قوله : اقتلوني ومالكا ، الخ.

قال ابن خلكان : وهذا البيت له سبب يحتاج الى شرح . وذلك ان مالك بن الحارث المعروف بالاشتر النخعي . كان من الابطال المشهورين . وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب (ع) في يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير. وكان أيضاً من الابطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير كانوا يحاربون علياً (ع) فلما تعانقا صار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره . وفعل ذلك مراراً وابن الزبير ينشد :

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكاً معي

قال عبد الله بن الزبير: لاقيت الاشتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعا ثم أخذ برجلي والقاني في الخندق. وقال والله لولا قرابتك من رسول الله ما اجتمع منك عضو الى عضو أبداً.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : اعطت عائشة الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر النخعي عشرة آلاف درهم . وقيل أيضاً. ان الاشتر دخل على عائشة بعد وقعة الجمل. فقالت له يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن اختي يوم الوقعة فأنشدها:

أعايش لولا أنني كنت طاويا ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه بآخر صوت اقتلوني ومالكا
ونجاه مني اكله وشبابه

قال زهير بن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام فاذا برأسه ضربة لو صببت فيها قارورة من الماء لاستقر. فقال لي اتدري من ضربني هذه الضربة؟ فقلت لا قال ابن عمك الاشتر النخعي ، هي قول القاضي احمد بن خلكان بترجمة يوسف بن أيوب صلاح الدين صاحب الديار المصرية والشام والعراق واليمن.

اليك، فقالت ابن الخثعمية؟ قال نعم. قالت: بأبي أنت وامي الحمد لله الذي عافاك.

وذكر ابن جرير في تاريخه: عن عباس بن محمد عن أبي رجاء قال بينا أنا أمشي يوم الجمل اذا أنا برجل يفحص برجليه ويقول:

لقد أوردتنا حومة الموت امنا   فلم تنصرف إلا ونحن رواء
اطعنا قريشاً ضلة من حلومنا   ونصرتنا أهل الحجاز عناء

وفي رواية:

(وما تيم إلا اعبد واماء)

وفي رواية: فقلت له من اين أنت فقال من جيش المرأة أو قيل المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين. وقال أيضاً، قالت امرأة يوم الجمل:

شهدت الحروب فشيبتني   فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة   واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها   ياليت عسكر لم ترتحل

ثم ان علياً (ع): أمر بانزال عائشة داراً بالبصرة فنزلت دار عبد الله بن الخلف الخزاعي.

فصل في ذكر مقتل طلحة بن عبيد الله

ذكر علماء السير وقالوا: بينما هو واقف في المعركة جاءه سهم فخيط فخذ ركبته بصفحة الفرس فقال لغلامه امسكني فردفه فدخل البصرة وهو يتمثل بمثله[1] ومثل الزبير:

فان تكن الحوادث أقصدتني   واخطأهن سهمي حين أرمي
قد ضيعت حين تبعت سهما   سفاهة ما سفهت وضاع حلمي

(١) غامد بن الحارث وقصته مشهورة ومما أنشد فيها:

ندمت ندامة لو أن نفسي   تطاوعني اذاً لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني   لعمر أبيك حين كسرت قوسي

ندمت ندامة الكسعي لما　　شريت رضا بني سهم برغمي
اطعتهم بفرقة آل لاي　　فألقوا للسباع دمي ولحمي

وفي رواية: ان مروان بن الحكم هو الذي قتل طلحة لأنه رآه قائماً وقد أمكنت الفرصة منه فقال لا أطلب بثاري بعد اليوم واثارات عثمان، ثم رماه بسهم فاصاب ركبته فحمل الى البصرة فدخل عليه بعض أصحاب علي (ع) وهو يجود بنفسه فقال له اشهد علي اني قد بايعت أمير المؤمنين (ع) ثم مات فاخبر ذلك الرجل علياً (ع) فقال رحمه الله وتأسف عليه؛ قال الحمد الله الذي لم يخرج من الدنيا إلا وبيعتي في عنقه.

وقيل: ان مروان لما رماه بالسهم قال (وكان أمر الله قدراً مقدورا).

وذكر سيف بن عمر ان طلحة يوم الجمل قال: اللهم اعط عثمان مني حتى يرضى.

وذكر ابن سعد في (الطبقات)، عن الواقدي انه قال: قال طلحة يوم الجمل لقد داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم امثل من ان نبذل دمائنا فيه

فصل في مقتل الزبير

قال ابن سعد: مر الزبير على الأحنف بن قيس وهو معتزل الناس فقال الأحنف هذا الذي يفسد بين الناس واتبعه رجلين فحمل عليه أحدهما فطعنه وضربه الأخر فقتله. ثم جاء برأسه الى باب علي (ع) فقال ائذنوا لقاتل الزبير فسمعه علي (ع) فقال بشر قاتل ابن صفية بالنار، وبكا علي (ع) وترحم عليه وفي رواية ان الذي قتله عمرو ابن جرموز وكان قد سار يريد الرجوع الى المدينة فنزل بوادي السباع على عمرو بن جرموز المجاشعي فقام اليه وقال كيف خلفت الناس فقال عازمين على القتال فاحضر له طعاماً فأكل ثم قام فصلى ثم نام فقام ابن جرموز فقتله وأتى برأسه وسيفه وخاتمه الى علي (ع) فاخذ السيف وقال (ع) سيف لطالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله (ص) ثم بكى وقيل لم يأتوا برأسه ودفن بوادي السباع والأصح ان الأحنف بن قيس بعث وراءه من قتله.

فصل في ذكر من قتل من الفريقين
﴿وأسر من الأعيان﴾

أما من أصحاب علي (ع): فجماعة منهم زيد بن صوحان وكان فارساً شجاعاً

وعلي ابن الهيثم وهند بن عمرو، ومن أصحاب عائشة (رض) كعب بن سور القاضي وهو أول قتيل وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومحمد بن طلحة بن عبيد الله وكان ناسكاً غير ان أباه أخرجه كرهاً ونهى علي (ع) عن قتله، وقال اياكم وصاحب البرنس فانه خرج مكرهاً واشترك في قتله جماعة فقال قاتله:

واشعث قوام بآيات ربه   قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه   فخر صريعاً لليدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر   فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شيء غير ان ليس بايعا   علياً ومن لا يتبع الحق يندم

ويقال: الذي قتله عبد الله بن مكعبة حليف بني اسد وأخذ مروان بن الحكم فتشفع فيه الحسن والحسين (ع) فاطلقه علي (ع) فقالا له ألا يبايعك فقال أوليس قد بايعني يوم قتل عثمان لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية أما والله ان له أمارة كلعقة الكلب أنفه وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمراً.

واختلفوا في الذين قتلوا في ذلك اليوم، فقال قوم قتل من عسكر عائشة (رض) ثمانية عشر ألفاً وقيل اثني عشر الفاً، ومن أصحاب علي (ع) خمسة آلاف وقيل الف.

وذكر الميداني: ان علياً (ع) لما وقف على القتلى قال:

أشكو اليك عجري ومجري   ومعشرا اعشوا علّي بصري
إني قتلت مضري بمضري   شفيت نفسي وقتلت معشري

وفي هذا اليوم: ذهبت عين عدي بن حاتم الطائي، وقيل قتل من الفريقين عشرة آلاف.

وحكي سيف: ان علياً (ع) مر بكعب بن سور فوقف عليه وقال والله ما علمتك إلا قاضياً بالحق وجعل يترحم عليه.

فصل في الخطبة التي خطبها علي (ع)

ذكر علماء السير: ان علياً (ع) لما فرغ من الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول أما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام شطر أعمارهن؛ وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة رجل واحد فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر. ولا تطيعوهن في معروف حتى لا يطمعن في منكر، ثم قال يا أهل البصرة يا جند المرأة ويا أتباع كل ناعق ماؤكم زعاق، ودينكم نفاق، دعاكم الشيطان فاجبتم، وعقر فعقرتم، كأني أنظر الى مسجدكم قد بعث الله عليه العذاب من فوقه ومن تحته فهو كجؤجؤ سفينة، أو كنعام جاثمة، أو كجؤجؤ طائر في لجة بحر، أرضكم بعيدة من السماء، قريبة من الماء، خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم، فانتم غرض لنابل، واكلة لآكل، وفريسة لصايل.

قال سيف: وعلم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس وذلك من نسر طار من حول المدينة معه شيء معلق فتأمله الناس فاذا كف فيها خاتم فوقع فاذا نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد.

فصل في رجوع عائشة الى المدينة

قال علماء السير: ثم بعث علي (ع) عبد الله بن عباس الى عائشة يأمرها بالمسير الى المدينة فدخل عليها ابن عباس بغير اذن فقالت له اخطأت السنة دخلت علينا بغير اذن فقال لها لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله (ص) ما دخلنا عليك بغير اذنك. ثم قال ان أمير المؤمنين يأمرك بالمسير الى البيت الذي أمرك الله بالقرار فيه فأبت عليه فشدد عليها وقال هو أمير المؤمنين وقد عرفتيه.

قال هشام بن محمد: فجهزها علي (ع) أحسن الجهاز ودفع لها مالا كثيراً وبعث معها أخاها عبد الرحمن في ثلاثين رجلا وعشرين أمرأة من أشراف البصرة وذوات الدين من همدان وعبد القيس وألبسهن العمائم وقلدهن السيوف بزي الرجال، وقال لهن لا تعلمنها انكن نسوة وتلثمن وكن حولها ولا يقربنها رجل وسرن معها على هذا الوصف فلما وصلت الى المدينة قيل لها كيف كان مسيرك؟ فقالت بخير والله لقد اعطى فاكثر ولكنه بعث رجالاً معي انكرتهم فبلغ ذلك النسوة فجئن اليها وعرفنها

أنهن نسوة فسجدت وقالت والله يا ابن أبي طالب ما ازددت إلا كرماً وددت اني لم أخرج هذا المخرج واني اصابني كيت وكيت.

قال ابن الكلبي : وكانت عائشة اذا ذكرت يوم الجمل[1] بكت حتى تبل خمارها وتأخذ بحلقها كأنها تخنق نفسها وكانت اذا ذكرت أم سلمة تذكر نهيها لها وتبكي.

وقال هشام بن محمد: انما رد علي (ع) عائشة الى المدينة امتثالا لأمر رسول الله (ص) أشار هشام الى ما روى احمد بن حنبل قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا فضل ابن سليمان حدثنا محمد بن يحيى عن أبي اسماء مولى ابن جعفر عن أبي رافع ان رسول الله (ص) قال لعلي بن أبي طالب سيكون بينك وبين عائشة أمر قال فإذن أنا أشقاهم قال لا ولكن اذا جرى ذلك فارددها الى منامها.

قال هشام : فكانت عائشة تبكي بعد يوم الجمل وتقول يا ليتني كنت نسياً منسياً أي الحيضة الملقاة، انتهت قصة الجمل على وجه الاختصار.

﴿حديث صفين﴾

قال علماء السير: ولما فرغ علي (ع) من الجمل سار من البصرة الى الكوفة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين فراسل معاوية على يد جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه البيعة فلم يجب وأقام بالكوفة بعض هذه السنة وتوجه الى صفين في هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين والتقى بمعاوية هناك وجرت بينهما حروب وخطوب وكان علي (ع) قد سار الى صفين في تسعين الفاً ومعاوية في مائة وعشرين الفاً فقتل من أهل العراق خمسة وعشرين الفاً منهم عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت، وقتل اويس القرني في آخرين، وقتل من أهل بدر خمسة وعشرين.

وذكر الزبير بن بكار قال: شهد صفين مع أمير المؤمنين (ع) من أهل بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر رجلا من المهاجرين وسبعون من الانصار، وأما من باقي الصحابة فكان معه الف وثمانمائة منهم تسعون رجلا بايعوا رسول الله (ص)

---

(١) لما وصلت عائشة الى المدينة خرج اليها النساء فبكت حتى غشي عليها. وكانت إذ ذكرت يوم الجمل تخنق نفسها تأخذ بحلقها وتقول: وددت اني مت قبل ذلك بعشرين سنة. وكانت إذا رأت أم سلمة تبكي وتذكر نصيحتها.

تحت الشجرة بيعة الرضوان وقتل من أهل الشام سبعون الفاً وكان بينهم سبعون وقعة في مائة وعشرين يوماً فنختار من ذلك ما يليق بكتابنا.

فنقول: لما رجع علي (ع) من البصرة بعث جرير بن عبد الله الى معاوية يدعوه الى طاعته فقال له الأشتر النخعي لا تبعثه فاني والله اظن ان هواه معه وكان كما قال الأشتر لأن جريراً كان ممن يضمر الغش لعلي وسببه انه لما قتل عثمان (رض) كان جرير والياً على همذان فعزله علي (ع) عنها فأثر في قلبه ولما بعثه علي (ع) في هذه السنة الى معاوية باستدعاء من جرير فانه التمس منه ان يبعثه الى معاوية وكتب معه كتاباً يخبره باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وما كان من أمرهما ويدعوه إلى البيعة ترتيباً للحجة عليه. وكان في الكتاب أما بعد فانه لزمتك بيعتي بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانما الشورى للمهاجرين والأنصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً كان ذلك رضى الله تعالى فان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً، ثم ان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فجاهدتهما على ذلك بعد ما اعذرت فيهما حتى جاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب الأمور (فيك) إلي العافية وان لا تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد بلغني اكثارك في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكمهم إلي احملكم على كتاب الله وانما تلك (تعللك) التي تريدونها خدعة الصبي على اللبن ولعمري لئن نظرت بعين عقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من قتل عثمان ودمه وقد علمت انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يجوز لهم الشورى وقد بعثت اليك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايع[1] ولا قوة إلا بالله والسلام.

فلما قدم عليه جرير ماطله، واستشار عمرو بن العاص فيما كتب اليه فاشار عليه عمرو ان يلزمه دم عثمان ويقاتله بوجوه أهل الشام وكان قد علق قميص عثمان على المنبر بجامع دمشق ومعه اصابع نايله ابنة الفرافصة زوجة عثمان فآلى أهل الشام أن لا

---

(١) وفي نسخة: فبايع وإلا استعنت الله عليك وقاتلتك.

يناموا على الفرش ولا يأتوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان.

فكتب معاوية الى علي (ع) مع جرير أما بعد: فانه لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت المهاجرين والأنصار بعثمان وخذلتهم عنه حتى اطاعك الجاهل وتقوى بك الضعيف وقد عزم أهل الشام على قتالك اللهم الا ان تدفع اليهم قتلة عثمان فيكفوا عنك ويجعل الأمر شورى بين المسلمين وتكون الشورى لأهل الشام لا لأهل الحجاز؛ فاما فضلك وسابقتك في قريش وموضعك من رسول الله (ص) فلا أدفعه. وكتب في أسفل الكتاب:

أرى الشام تكره أهل العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبغض	يرى كلّ ما كان من ذاك دينا
اذا ما رمونا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا علّي امام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له	فقلنا لهم لا نرى أن ندينا
وكل يسر بما عنده	يرى غث ما في يديه سمينا

فقدم جرير: على علي (ع) فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان علياً قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون حتى يقتلهم أو يقتلوه.

وكان الأشتر حاضراً فقال لعلي (ع): قد كنت نهيتك ان تبعث هذا على عداوته وغشيته ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً نرجو فتحه الا أغلقه ولا باباً نخاف فتحه إلا فتحه.

فقال له جرير: لو كنت هناك لقتلوك لقد ذكروا انك من قتلة عثمان فقال له الأشتر لو طاوعني أمير المؤمنين فيك وفي أمثالك لحبسك في مكان لا تخرج منه حتى يستقيم هذا الأمر، فخرج جرير الى قرقيسيا فاقام بها وكتب الى معاوية يخبره بما جرى فكتب اليه بالقدوم عليه.

وكتب علي (ع) الى معاوية، أما بعد فقد: أتاني كتاب امرء ليس له بصر يهديه ولا فايلة ترشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت اني خذلت عن عثمان ولعمري

ما كنت إلا كواحد من المهاجرين والأنصار وردت كما أوردوا وصدرت كما صدروا ولم أكن مع القوم؛ وأما قولك ان أهل الشام يحكمون في الشورى فمن في الشام من يصلح للخلافة فان سميت واحداً كذبك المهاجرون والأنصار، وأما اعترافك بسوابقي فلو قدرت على دفعها لدفعتها، ولكنك عاجز عن ذلك، وكتب في أسفل الكتاب:

معاوي دع عنك ما لا يكونا	وقتلة عثمان اذ تدعونا
أتاكم علي بأهل العراق	وأهل الحجاز فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة[1]	وأجرد صلب يقر العيونا
عليها فوارس من شيعة	كاسد العرين تحامي العرينا
يرون الطعان خلال العجاج	وضرب الفوارس في النقع دينا
هم هزموا الجمع يوم الزبير	وطلح وغيرهم الناكثينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق	فقد كره القوم ما تكرهونا
فقل للمضلل من وايل	ومن جعل الغث يوماً سمينا
جعلت ابن هند وأشياعه	نظير علي أما تستحونا
علي ولي الحميد المجيد	وصي النبي من العالمينا

ثم دفع الكتاب الى الأصبغ بن نباتة التميمي، وخرج علي (ع) فعسكر بالنخيلة وسار الأصبغ الى الشام قال فقدمت على معاوية فدخلت عليه وعمرو بن العاص عن يمينه وذو الكلاع وحوشب عن يساره والى جانبه أخوه عتبة وابن عامر والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وأبو هريرة بين يديه وأبو الدرداء والنعمان بن بشير وأبو امامة الباهلي فدفعت اليه الكتاب. فلما قرأه قال ان علياً لا يدفع الينا قتلة عثمان قال الأصبغ فقلت له يا معاوية لا تعتل بقتلة عثمان فانك لا تطلب إلا الملك والسلطان ولو أردت نصرته حيا لفعلت ولكنك تربصت به وتقاعدت عنه لتجعل ذلك سببا الى الدنيا فغضب فاردت أن أزيده فقلت يا أبا هريرة أنت صاحب رسول الله (ص) أقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو وبحق رسوله هل سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم في حق أمير المؤمنين من كنت مولاه

---

(١) الخيفان: الجراد، ثم شبه به الفرس في خفتها. ق.

فعلي مولاه فقال أي والله لقد سمعته يقول ذلك قال فقلت فاذن أنت يا أبا هريرة والبيت عدوه وعاديت وليه فتنفس أبو هريرة وقال إنا لله وإنا اليه راجعون؛ فتغير وجه معاوية وقال ما هذا كف عن كلامك فلا تستطيع ان تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان فانه قتل مظلوما في شهر حرام في حرم رسول الله (ص) عند صاحبك وهو الذي أغراهم به حتى قتلوه وهم اليوم عنده أعوانه وأنصاره ويده ورجله وما مثل عثمان من يهدر دمه، فقال ذو الكلاع وحوشب ومعاوية بن خديج لننصرنك يا معاوية حتى يحصل مرادك أو نقتل عن آخرنا فقام الأصبغ وهو يقول:

معاوي لله من خلقه عباد قلوبهم قاسية
وقلبك من شر تلك القلوب وليس المطيعة كالعاصية
دع ابن خديج ودع حوشبا وذا كلع واقبل العافية

فصاح معاوية أجئت رسولا أم منفراً، ثم سار الاصبغ نحو العراق وفي هذه السنة وهي سنة ست وثلاثين اتفق معاوية وعمرو بن العاص على قتال علي (ع) واصطلحا على ذلك قبل نزول علي (ع) على النخيلة في أيام وقعة الجمل بعد ان كان معاوية قد يئس من عمرو وعزم عمرو على المسير الى البصرة الى نصرة علي (ع) فاعطاه معاوية مصر طعمة فمال اليه.

وقال أهل السير: لما حصر عثمان خرج عمرو بن العاص الى الشام فنزل فلسطين وكان يؤلب على عثمان لانحرافه عنه فانه لما ولي الخلافة لم يلتفت الى عمرو ولا ولاه وعزله عن مصر فأقام بفلسطين حتى قتل عثمان.

فقيل لمعاوية، انه لا يتم لك الأمر إلا بعمرو بن العاص فانه دويهة العرب فكتب اليه يستدعيه اليه ويستعطفه ويعده المواعيد ان هو وافقه على قتال أمير المؤمنين ويذكر ما جرى على عثمان فكتب اليه عمرو، أما بعد فاني قرأت كتابك وفهمته فاما ما دعوتني اليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي والتهون معك في الضلالة واعانتي إياك على الباطل واختراط السيف في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أخو رسول الله (ص) ووليه ووصيه ووارثه وقاضي دينه ومنجز وعده وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين وأبي السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وأما قولك انك خليفة عثمان فقد عزلت بموته وزالت خلافتك؛ وأما قولك ان أمير المؤمنين أشلى

الصحابة على قتل عثمان فهو كذب وزور وغواية، ويحك يا معاوية اما علمت ان أبا الحسن بذل نفسه لله تعالى وبات على فراش رسول الله (ص) وقال فيه من كنت مولاه فعلي مولاه فكتابك لا يخدع ذا عقل وذا دين والسلام.

فلما قرأ كتابه؛ قال له عتبة بن أبي سفيان لا تيئس منه فكتب اليه وارغبه في الولاية وشركه معه في سلطانه وكان في أسفل كتابه:

جهلت وما تعلم محلك عندنا — فارسلت شيئاً من عتاب وما تدري
فثق بالذي عندي لك اليوم آنفا — من العز والأكرام والجاه والقدر
واكتب عهداً ترتضيه مؤكداً — وأشفعه بالبذل مني وبالبر

فكتب اليه عمرو يقول:

أبى القلب مني ان يخادع بالمكر — بقتل ابن عفان اجر الى الكفر
واني لعمري ذو دهاء وفطنة — ولست أبيع الدين بالرشح والوفر
اليس صغيراً ملك مصر ببيعة — هي العار في الدنيا على الآل من عمرو

وذكر سيف عن هشام بن محمد انه كتب عمرو الى معاوية:

معاوية لا أعطيك ديني ولم انل — به منك ديناً فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فاربح بصفقة — اخذت بها شيخاً يضر وينفع

فكتب اليه معاوية: قد اقطعتك مصراً طعمة واشهد عليه شهوداً وبات عمرو طول ليلته متفكراً فدعا غلاماً له يقال له وردان وهو الذي ينسب اليه مكان بمصر يقال له سوق وردان فقال له ما ترى يا وردان فقال ان مع علي آخرة ولا دنيا، وان مع معاوية دنيا ولا آخرة فالتي مع علي تبقى والتي مع معاوية تفنى فلما أصبح ركب فرسه ومعه عبد الله بن عمرو وهو يقول له لا تذهب الى معاوية لا تبع آخرتك بدنيا فانية وهو متحير فلم يزل حتى وصل الى طريقين احديهما تأخذ الى المدينة والاخرى الى دمشق فوقف عندهما ثم ضرب رأس فرسه نحو دمشق وقال معاوية أرفق بنا من علي وأتى معاوية.

قال علماء السير: وسار علي (ع) في هذه السنة من النخيلة الى الشام لخمس خلون من شوال واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري فنزل على المدائن وولى

على المدائن لما سار عنها سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد. ثم سار الى الرقة فقال لأهلها أجسروا لي جسراً حتى أعبر من هذا المكان الى الشام فابوا عليه وجمعوا السفن غربي الفرات فناداهم الاشتر يا أهل الرقة أقسم بالله لئن لم تمدوا الينا الجسر لأضعن فيكم السيف ولأقتلن رجالكم فخافوا فنصبوا الجسر وعبر الناس.

وفي رواية ان علياً (ع) لما وصل الى الرقة ولم يجد عندها سفينة قال يا أهل هذين الحصنين اين سفنكم؟ قالوا: راحت ترعى فسبهم ثم سارت المقدمة عليها الاشتر النخعي فلقيهم أبو أعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان في خيل أهل الشام فحملوا عليه فانهزم منهم وجاء معاوية فنزل مكاناً بصفين وجاء علي (ع) فنزل مقابله ولم يكن لأصحاب علي (ع) مشرعة ونزل معاوية وأصحابه على المشارع ومنعهم الماء فارسل الأشتر الى معاوية مع صعصعة بن صوحان وقال خلوا بيننا وبين الماء فقال معاوية لأصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة امنعوهم اياه كما منعوا عثمان اربعين صباحاً فقال عبد الله بن سعد امنعوهم اياه حتى يرجعوا عنا فيكون ذلك وهناً لهم منعهم الله اياه يوم القيامة فقال صعصعة بن صوحان انما يمنع الله يوم القيامة الفجرة الفسقة شراب الخمور مثلك ومثل هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة فسبوه فقال لعنكم الله جميعاً ثم خرج من عندهم.

فقال له عمرو بن العاص: يا معاوية خل لهم الماء افترى ابن أبي طالب يموت عطشا ومعه اطراف الأسنة وأفاعي العراق وشيوخ المهاجرين والأنصار والله ليطيرن قحاف الرؤوس عن جماجها قبل ذلك فارض بالموادعة ايها الرجل الى انسلاخ المحرم ولا تعجل الى الشرفان مرتعه وخيم فابى معاوية وقال والله هذا أول الظفر لاسقى الله أبا سفيان بن حرب قطرة من حوض رسول الله (ص) ان شربوا قطرة منه فقال له فياض بن الحرث الأزدي يا معاوية والله ما انصفت القوم لو كانوا[1] من الروم لما جاز منعهم فكيف وهم أصحاب رسول الله (ص) البدريون والمهاجرون والأنصار وفيهم ابن عم رسول الله (ص) وأخوه وصاحب سرّه وحبيبه وختنه أفلا تتقي الله يامعاويةان هذا والله البغي والله لو سبقونا الى الماء لما منعونا اياه وكان هذا الرجل صديق عمرو ابن العاص فقال معاوية اكفني صديقك يا عمرو فقام فياض وهو يقول:

---

(١) وفي رواية ولو كان هؤلاء من الروم والترك وطلبوا منك الماء لوجب ان تسقيهم ثم تحاربهم. الخ.

أتحمون الفرات على اناس | وفي ايديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسياف حداد | كأن القوم عندكم نساء
ألا لله درك يا ابن هند | لقد ذهب الحياء فلا حياء
وقد ذهب العتاب فلا عتاب | وقد ذهب الولاء فلا ولاء
ولست بتابع دين ابن هند | طوال الدهر ما أوفى حراء
وقولي في حوادث كل أمر | على عمرو وصاحبه العفاء

ثم عطف دابته الى عسكر علي (ع). ولما منع معاوية وأصحابه علياً (ع) وأصحابه الماء قال الأشتر يا أمير المؤمنين أنموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا ورماحنا في أيدينا؟ وكان على المشارع أبو الأعور السلمي في عسكر أهل الشام فندب اليه علي (ع) الأشتر النخعي والأشعث بن قيس في اثني عشر الفاً قصدوا أبا الأعور وحملوا عليه وضرب الأشتر على رأسه بالسيف فجرحه فانهزم هو وأصحابه وملك الأشتر الشرايع وهذا أول قتال وقع أيام صفين وذلك أول يوم من ذي الحجة وبينه وبين وقعة الجمل سبعة أشهر وأيام وكان يسمى يوم الحمية لان النساء قاتلن على الماء وفي يوم السادس من ذي الحجة برز عبيد الله بن عمر بن الخطاب الى الاشتر فقال له يا مسكين ما الجاك الى هذا هلا اعتزلت كما اعتزل أخوك وسعد بن مالك قال خفت القصاص يوم الهرمزان فقال كنت أقمت بمكة فقال له خل الخطاب والعتاب فحمل عليه الأشتر النخعي فهزم.

قال هشام بن محمد: ولما كان اليوم الثامن عشر من أيام صفين جمع معاوية أصحابه وقال ما فينا إلا من قتل ابن أبي طالب أباه أو أخاه أو ولده، يا وليد قتل يوم بدر أباك ويا أبا الأعور قتل عمك يوم احد ويا طلحة الطلحات قتل أخاك يوم الجمل وقتل أخي يوم بدر فاجتمعوا عليه لندرك ثأرنا فضحك الوليد بن عقبة وقال:

فقلت له أتلعب يا ابن هند | كأنك بيننا رجل غريب
اتأمرنا بحية بطن واد | اذا نهشت فليس لها طبيب
فسل عمرواً وسل عن خصيتيه | نجا ولقلبه منها وجيب
كأن القوم لما عاينوه | خلال النقع ليس لهم قلوب
وقد نادى معاوية بن حرب | فاسمعه ولكن ما يجيب

ثم التفت الوليد الى عمرو بن العاص وقال: ان لم تصدقوني وإلا فسلوا واراد تبكيت عمرو.

وقال هشام بن محمد: ومعنى هذا الكلام ان علياً (ع) خرج يوماً من أيام صفين فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعرفه فطعنه فوقع فبدت عورته فاستقبل علياً (ع) فاعرض عنه ثم عرفه فقال ياابن النابغة أنت طليق دبرك أيام عمرك وكان قد تكرر منه هذا الفعل.

وروى السدي عن إشياخه: ان علياً (ع) قال في هذا اليوم لكميل بن زياد ابرز الى معاوية وقل له دعوناك الى الطاعة ولزوم الجماعة فابيت وقد كثر القتل في هذه الأمة فابرز اليّ حتى يتخلص الناس مما هم فيه.

فقال معاوية لأصحابه: ماذا ترون فقالوا لا تفعل الا عمرو فانه قال له ابرز له فقد أنصفك وإنما هو بشر مثلك، فقال له معاوية ماهذه العداوة اتظن انني لو قتلت اكنت تنال الخلافة فقال له دعاك رجل عظيم القدر كثير الشرف فكنت في مبارزته في احدى الحسنين ان قتلته قتلت سيداً وان قتلت جزيت خيراً فقال معاوية له انهذه لشديدة علي فقال عمرو فان كنت في شك من جهاده فتب وارجع، ثم فصد علي (ع) التل الذي عليه معاوية فخاف معاوية وقال لبسر بن أرطاة اقسمت عليك إلا شغلته عني فبرز اليه فطعنه علي (ع) فوقع الى الأرض فاستقبله بعورته فاعرض عنه أمير المؤمنين فقال الأشتر النخعي:

في كل يوم رجل شيخ شاغرة	وعورة تحت العجاج ظاهرة
أبرزها طعنة كف واترة	عمرو وبسر رميا بالفاقرة

ثم نادى علي (ع): يا أهل الشام والله ما سمعنا بأمة آمنت بنبي ثم قاتلت أهل بيته غيركم.

قال هشام بن محمد وقد ذكره صاحب بيت مال العلوم ولما عاد معاوية في آخر النهار وجلس حوله أصحابه فنظر الى عمرو فضحك فقال له عمرو ما أضحكك فقال ما قال الوليد عنك والعجب منك كيف حضر ذهنك في ذاك الوقت فاستقبلت أبا تراب بعورتك فقال له عمرو إن كان أضحكك شأني فمن شأنك فاضحك فوالله لو بدا له من صفحتك ما بدا من صفحتي لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأبكى أطفالك

ولكنك احترزت بهذه الرجال في ايديها السمر العوالي وقد اشرت عليك اليوم بمبارزته فاحولت عيناك واربد شدقاك وبدا منك ما أكره أنا وغيري فلو سترت نفسك لكان أصلح لك.

قال الواقدي: فاقتتلوا ذا الحجة كله ودخلت سنة سبع وثلاثين فجرت موادعة بين علي (ع) وبين معاوية على ترك الحرب طمعاً في الصلح وأقاموا شهر المحرم تردد الرسل بينهما فلم يجب معاوية وعادت الحرب واقتتلوا أول يوم من صفر؛ فخطب علي (ع) الناس فقال أيها الناس لا تبدؤا القوم بقتال حتى يبدؤكم به ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهتكوا عورة ولا تمثلوا ولا تدخلوا رحال القوم ولا تهيجوا امرأة ولا تسبوا احداً.

ولما كان اليوم الثالث من صفر؛ خرج عمرو بن العاص في كتائب أهل الشام تحت راية له كان يقاتل تحتها في الجاهلية فخرج اليه عمار وقال يا أيها الناس أتريدون أن تنظروا الى عدو الله ورسوله ومن بغى على المسلمين وظاهر اعداء الدين فلما رأى الله تعالى قد أظهر دينه وأعز رسوله دخل في الإسلام رهبة غير رغبة ولما قبض الله رسوله (ص) ما زال معروفاً بعداوة المسلمين فقاتلوه فانه ممن يجتهد في اطفاء نور الله ومظاهرة اعدائه فهو هذا يشير الى عمرو فاتلوه قتله الله ثم صاح به ويحك يا عمرو هذه راية طالما قاتلت بها رسول الله (ص) بعت آخرتك بمصر تبالك فولى عمرو راجعاً، ولما كان في اليوم الرابع خرج محمد بن الحنفية في جيش وخرج اليه عبيد الله ابن عمر بن الخطاب فتبارزا.

قال هشام بن محمد: فلما رأى علي (ع) ذلك برز يطلب عبيد الله وصاح بمحمد قف وقال لعبيد الله يا فاسق أنا لك فولى هارباً وفي اليوم التاسع من صفر وهو يوم الخميس قتل عمار بن ياسر وكان يوماً مشهوراً وكان عمار على القراء.

﴿ذكر مقتله﴾

أخبرنا عبد الوهاب المقري قال: أنبأنا محمد بن عبد الباقي أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد أنبأنا أبو نعيم الأصفهاني قال أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن بن علي العمري حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء حدثنا أبو معشر حدثنا أبو عمرو الصيمري عن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله (ص) قال رأيت عماراً دعى

بشراب فأتي بقدح من لبن فشربه ثم قال الله أكبر صدق الله ورسوله قال لي رسول الله (ص) ان آخر رزقك أو زادك في الدنيا ضيحة لبن، وقيل ان الذي جاءه باللبن امرأة من نساء بني شيبان.

وقال ابن سعد في (الطبقات): كان عمار يحمل ويقول والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا اننا على حق وهم على باطل ثم قال:

اليوم القى الأحبة محمداً وحزبه

ثم حمل على عمرو بن العاص وقال: ويحك يا عمرو بعت دينك بمصر تباً لك طالما بغيت في الإسلام عوجاً والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا.

وقال ابن سعد: نظر عمار الى عمرو بن العاص وبيده راية فناداه ويحك يا ابن العاص هذه راية قد قاتلت بها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة وفي رواية فحمل عمار وهو شيخ ويده ترتعش على الحربة من الكبر وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله يا رب اني مؤمن بقيله

وحكى ابن سعد في (الطبقات): عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لأبيه قتلتم عماراً وقد سمعت رسول الله (ص) يقول له تقتلك الفئة الباغية فسمعه معاوية فقال له انك شيخ أخرق[1] ما تزال تأتينا بهنة تدحض بها في بولك انحن قتلناه انما قتله الذي اخرجه.

وفي رواية: فبلغ ذلك علياً (ع) فقال: ونحن قتلنا حمزة لأنا أخرجناه الى احد.

وذكر ابن سعد أيضاً: ان ذا الكلاع لما بلغه هذا قال لعمرو نحن الفئة الباغية وهم بالرجوع الى عسكر علي (ع) وكان تحت يده ستون الفاً[2] قتل ذو الكلاع فقال معاوية لو بقي ذو الكلاع لأفسد علينا جندنا بميله الى ابن أبي طالب.

---

(١) الخرق: الحمق. ق.   (٢) وفي نسخة: قتل في ذلك اليوم. الخ.

قلت: وقد اخرج مسلم هذا الحديث عن أبي قتادة وأم سلمة عن رسول الله (ص) فأما لفظ أبي قتادة فقال قال رسول الله (ص) لعمار حين جعل يحفر الخندق فطفق يمسح رأسه ويقول بئس ابن سمية تقتلك فئة باغية؛ والبؤس الفقر.

قال الزهري: وهذا على عادة العرب كقولهم ثكلتك امك ولهذا وقع في بعض الروايات بؤسا لغمار.

واما حديث أم سلمة: فبمعنى حديث أبي قتادة وقد وقع في بعض نسخ البخاري عن أبي سعيد الخدري قال كنا نحمل في بناء مسجد رسول الله (ص) لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي (ص) فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار يدعوهم الى النجاة ويدعونه الى النار وعمار يقول اعوذ بالله من الفتن.

قال أبو عبد الله الحميدي: لم يخرج البخاري لفظة تقتلك الفئة الباغية وانما أخرجها مسلم واختلفوا في قاتله على أقوال أشهرها أبو غادية المزني وقيل أبو العادية العاملي ذكرى الواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد وقتل في ذلك اليوم أيضاً هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص فبكى علي عليهما وصلى عليهما وجعل عماراً مما يليه وهاشم بن عتبة مما يلي القبلة ولم يغسلهما.

وقال الواقدي: لما طعن أبو العادية عماراً بالرمح وسقط أكب عليه آخر فاحتز رأسه ثم أقبلا الى معاوية يختصمان فيه كل واحد منهما يقول أنا قتلته، فقال لهما عمرو بن العاص والله ان يختصمان إلا في النار فقال معاوية ما صنعت قوم بذلوا نفوسهم دوننا تقول لهم هذا فقال عمرو وهو والله كذلك وأنت تعلمه واني والله وددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقال ابن سعد: قتل عمار وهو ابن سبع وسبعين سنة.

وقال ابن سعد: لما قتل عمار عطش قاتله فاستسقى ماء فأتي بقدح من زجاج فامتنع من الشرب فيه وغير ابن سعد يقول أتي بقدح من فضة فقال بعض أصحابه انظروا الى هذا الأحمق يمتنع من الشرب في هذا الأناء وينسى انه قتل عماراً وقد قال رسول الله (ص) تقتلك الفئة الباغية.

قال هشام بن محمد: ولما قتل عمار وهاشم قال علي (ع) لربيعة وهمدان أنتم

درعي ورمحي فانتدب له اثنا عشر ألفاً وحمل القوم فانتقضت صفوف معاوية وكان علي (ع) وقد اخرج في ذلك اليوم لواء رسول الله (ص) ولم يخرجه قبل ذلك فدفعه الى قيس بن سعد بن عبادة فلما رآه المسلمون صرخوا وبكوا واجتمع تحته أهل بدر والانصار والمهاجرون وقيس بن سعد يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به دون النبي وجبريل لنا مدد
ما ضر من كانت الانصار عيبته[1] أن لا يكون له من غيرهم عضد

ثم اتصل القتال في الليل، وكانت ليلة الجمعة فاقتتلوا طول الليل وهي ليلة الهرير مثل ليلة القادسية وهي الثامنة والعشرون من صفر تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وكلت السيوف ونفذ النبل وخفيت الأصوات وغابت الأخبار عن علي ومعاوية والأمراء ولم يسمع إلا الهرير يهر بعضهم على بعض وأصبح الناس والقتال بحاله وابن عباس في الميمنة والاشتر في الميسرة وعلي (ع) في القلب فبعث الى الاشتر تقدم وامده بالرجال فحمل حملة انتقضت صفوف معاوية وايقن بالتلف والتفت الى عمرو وقال: هل من حيلة فهذا وقت نحبائك[2] وهناتك فقال ارفع المصاحف على الرماح وناد بيننا وبينكم كتاب الله فما يزيدهم ذلك إلا فرقة ولا يزيدنا إلا اجتماعاً فرفعوها على الرماح وصاحوا بيننا وبينكم كتاب الله ندعوكم اليه ليحكم بيننا فلما رأى أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله وكان اشد الناس على علي (ع) الأشعث بن قيس فصاح علي (ع) أيها الناس أمضوا على حالكم خدعكم والله ابن النابغة الداهية فناداه مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي وجماعة من الذين خرجوا عليه وقاتلوه بالنهر كيف تقاتلهم وقد طلبوا الحكومة الى كتاب الله وان ابيت دفعناك اليهم أو نفعل بك كما فعلنا بعثمان فابعث الى الاشتر فليأتك فغضب علي (ع) وقال يا عجبا أيطاع معاوية واعصى انا لله در ابن عباس انه لينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق، وكان ابن عباس قد قاله في أول الأمر ابعثني الى معاوية والله لأفتلن له حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينتقض طرفاه فقال له علي (ع) والله لأعطين معاوية السيف حتى يغلب الحق على الباطل قال ابن عباس أوغير هذا؟ فقال كيف فقال ان معاوية يطاع

---

(١) العيبة من الرجل: موضع السر.

(٢) النحب: اشتداد البكاء. والمداهنة: الجد في العمل. ق.

ولا يعصى وعن قليل تعصى فلا تطاع فلما اختلفوا عليه قال لله در ابن عباس.

قلت: والذي يدل على صحة ما ذكر ابن عباس من طاعة أهل الشام معاوية ما حكاه المسعودي في (مروج الذهب) قال لقد بلغ من أهل الشام لمعاوية انه صلى بهم عند مسيره الى صفين الجمعة يوم الاربعاء وفي رواية انه صلى بهم الجمعة يوم السبت وقال كان لنا عذر.

ثم قالوا: ارسل الى الأشتر فرده فارسل اليه فقال ليس هذا وقته قد تعجل الفتح فعاد فارسل اليه يزيد بن هاني وقال قل له ان الفتنة قد تعجلت أو وقعت فقال ارفعت المصاحف على الرماح قال نعم قال لعن الله ابن النابغة العاهر انها والله لمشورته ليوقع الخلاف بين الأمة فقال له ادرك أمير المؤمنين فانه بين اعدائه لئلا يسلمونه أو يفعلون به كما فعلوا بعثمان فقد تهددوه بذلك فاقبل الاشتر اليهم وقال يا أهل العراق يا أهل النفاق والشقاق اغتررتم بعد الفتح برفع المصاحف والله لقد رفعوها وتركوا ما فيها من أوامر من انزلها ومن انزلت عليه امهلوني فواقاً أو حضر فرس فقد انزل الله الفتح فقالوا لا نمهلك نخاف ان ندخل معك في الأثم، فقال يا أصحاب الجباه السود كنا نظنكم فعلكم لوجه الله وزهداً في الدنيا لعنكم الله وغضب عليكم والله ما فعلتموها إلا فراراً من الموت.

﴿قضية التحكيم﴾

ولما فعل معاوية ما فعل، فقال نبعث نحن حكما نرتضي به وابعثوا أنتم حكمًا ترتضون به فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري؛ فقال علي (ع) لا أرضى به وهو عندي غير مأمون وقد هرب مني وخذل الناس عني ولكن هذا ابن عباس فقال الأشعث بن قيس ورؤساء الخوارج ابن عباس منك وأنت منه وأبو موسى لم يزل معتزلا لما نحن فيه وقد كان يحذرنا الفتنة، قال علي (ع) فالأشتر فقال الأشعث بن قيس وهل نحن إلا في حكم الأشتر وما حكمه، قال ان يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما يريد فقال علي (ع) فافعلوا ما تريدون فبعثوا الى أبي موسى وكان معتزلا للقتال بعرض فاخبروه فاسترجع ثم جاء فدخل العسكر فلما علم به الأحنف بن قيس جاء الى علي (ع) فقال له انك قد رميت بحجر الأرض من حارب الله ورسوله عمرو بن العاص وهذا عبد الله بن قيس رجل كليل الحد لا آمن عليه مكر ابن العاص ولو اخترتني لرأيت مني عجباً فقال كيف كنت

تصنع بابن النابغة قال كنت ادنو منه حتى أكاد ان أصير في يده ثم أبعد عنه فاصير كالنجم ولا يعقد عقدة إلا حللتها ولا يحل عقدة إلا أبرمتها، فقال انهم قد اختاروا أبا موسى من غير رضى مني، فقال الأحنف فادقوا ظهر أبي موسى بالرجال.

قال هشام بن محمد: ثم اجتمعوا عند علي (ع) وكتبوا الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علي (ع)) فقال عمرو بن العاص اكتبوا اسمه واسم أبيه هو أميركم أما أميرنا نحن فلا فقال الأحنف لا تمحوا اسم أمير المؤمنين فاني اتخوف ان محي لا يرجع اليه أبداً فقال الأشعث أمحو هذا الاسم محاه الله فمحي فقال علي (ع) الله أكبر اني لكاتب لرسول الله (ص) يوم الحديبية حين قالوا لست برسول الله فاكتب اسمك واسم ابيك فكتبه فقال عمرو سبحان الله ومثل هذا تشبهنا بالكفار؛ فقال له علي (ع) يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً هل تشبه إلا امك التي دفعت بك فقام عمرو وقال لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم، فقال علي (ع) ان الله قد طهر مجلسي منك ومن اشباهك.

قال هشام: وكان نسخة الكتاب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معه من المسلمين والمؤمنين من شيعته وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه إنا ننزل على حكم الله وكتابه فلا يجمع بيننا غيره من فاتحته الى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله عملا به وما لم يجدا فيه ولا في السنة العادلة لم يعملا به وعلى الحكمين ان يجتمعا في مكان عدل بين الشام والكوفة ولا يحضرهما إلا من أرادا وأخذا على علي ومعاوية المواثيق على ذلك وشهد جماعة من الاعيان فمن أصحاب علي (ع) الأشعث ابن قيس الكندي وعبد الله بن عباس وحجر بن عدي الكندي في آخرين وشهد من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة الفهري وعبد الله بن خالد ابن الوليد في آخرين وقالوا للأشتر أكتب شهادتك فقال: لا تصحبني يميني ولا تنفعني بعدها شمالي ان خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة أولست على بينة من ربي على ضلال عدوي واتفقا على اللقاء بدومة الجندل في شهر رمضان[1].

---

(1) قلت: ما جاء في هذا الكتاب من حكايات في غزوة صفين فهي فاسدة فيها اختشاش وتشويش واختصار كثير الاخلال فمن أراد التفصيل على نظم ما جرى فليلاحظ مناقب الخوارزمي ووقعة صفين لنصر بن مزاحم أو غيرها من كتب السير والمغازي. ولا يبعد تعمد من نثر نظم هذه الواقعة لاغراض له أو لغيره ممن في قلبه زيغ. م.

وقال هشام: ولما امتنع الأشتر ان يكتب في الصحيفة اخبر علي (ع) بذلك فقال والله وأنا ما رضيت ولقد نهيتكم فعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوزان:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وقال الواقدي: وكان الكتاب في آخر صفر والأجل الى رمضان ثمانية أشهر الى ان يلتقي الحكمان ثم دفن الناس قتلاهم ورحل الفريقان فانصرف أمير المؤمنين الى الكوفة وعاد معاوية الى الشام.

قال ابن عباس: انصرف معاوية الى الشام بالألفة من أهل الشام وعاد علي (ع) بالأختلاف والفتن.

﴿حديث الخوارج﴾

قال هشام بن محمد: ولما دخل علي (ع) الكوفة انعزلت عنه الخوارج وكانوا اثني عشر الفاً وأتوا حروراء فنزلوا بها- وهي قرية بالعراق بارض النهروان تمد وتقصر- نسب اليها الحرورية ونادى مناديهم ان أمير القتال شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري ونادوا لا حكم إلا لله فقال علي (ع) كلمة حق اريد بها باطل فقال لعلي عبد الله بن عباس لا تعجل الى قتالهم حتى اخرج اليهم واعود فمضى اليهم فقالوا ما الذي جاء بك يا ابن عباس قال جئتكم من عند المهاجرين والانصار وابن عم رسول الله (ص) وصهره والقرآن عليهم نزل وهم أعلم منكم بتأويله فما الذي نقمتم علينا، قالوا ثلاث خصال أحدها انكم حكمتم الرجال في دين الله وقد قال الله ان الحكم إلا لله والثانية انه قاتل ولم يسب ولم يغنم فما الذي اباح دمائهم وحرم أموالهم، والثالثة انه محى اسمه من إمرة المؤمنين واذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فقال ابن عباس أنا انقض قولكم من القرآن أما قولكم انه حكم في دين الله الستم تعلمون ان الله حكم الرجال في قيمة ارنب ثمنه ربع درهم فقال يحكم به ذوا عدل منكم، وقال في المرأة وزوجها (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما) فأيّهما افضل تحكيم الرجال في اصلاح ذات البين وحقن دماء الأمة أو تحكيم الرجال في أرنب قيمته ربع درهم وبضع امرأة؟ قالوا لا بل هذا، وأما قولكم لم يسب ولم يغنم فان قلتم ان عائشة ليست بأمكم خرجتم من الإسلام وان قلتم هي امنا فكيف تسبون امكم وكذا

الجواب في أهل صفين فانما قوتلوا ليرجعوا الى الحق لا لتحل أموالهم قالوا صدقت وأما قولكم محى نفسه من إمرة المسلمين فقد فعل هذا رسول الله (ص) في غزاة الحديبية فهل خرج بذلك من النبوة قالوا صدقت فرجع منهم الفان وخرج الباقون فقتلوا بالنهر ولما خرج علي (ع) لقتالهم وقف بازائهم وقال من زعيمكم قالوا ابن الكواء فقال علي فما الذي أخرجكم علينا قالوا حكومتكم يوم صفين فقال لهم ناشدتكم بالله أما قلت لكم يوم رفعوا المصاحف لا تخالفوني فيهم قلتم نجيبهم الى كتاب الله فقلت انما رفعوها مكيدة وخديعة فقلتم ان لم تجب الى كتاب الله قتلناك أو سلمناك اليهم فلما ابيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين ان يحكما بكتاب الله فانْ حكما بغير حكم الله والقرآن فنحن براء منهم فقالوا فكيف حكمت الرجال فقالوالله ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القرآن لأن القرآن انما هو خط بين الدفتين لا ينطق وانما ينطق به الرجال فقالوا صدقت وكفرنا لما فعلنا ذلك وقد تبنا منه الى الله فتب كما تبنا نبايعك وإلا قاتلناك.

وقال السدي: لما وقف علي (ع) عليهم قال لهم أيتها العصابة التي اخرجها المراء واللجاج عن الحق وطمح بها الهوى الى الباطل اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة وأنتم صرعى بافناء هذا النهر بغير بينة من ربكم ولا برهان الم انهكم عن الحكومة واخبرتكم انها مكيدة من قوم لا دين لهم ومتى فارقتموني سعيتم الحزم والآن فارجعوا فان حكم الحكمان بكتاب الله وإلا فنحن على الرأي الأول فقالوا تب من الكفر كما تبنا فقال ويحكم ابعد ايماني برسول الله وجهادي معه في سبيل الله وهجرتي اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذن وما انا من المهتدين.

وقال هشام بن محمد: لما أراد علي (ع) ان يبعث أبا موسى للحكومة أتاه من الخوارج زرعة بن برح الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فقالا لا حكم إلا لله فقال علي (ع) لا حكم إلا لله فقال حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن حكومتك وقم بنا الى القوم نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال علي (ع) قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم شروطاً واعطيناهم عهوداً فقال حرقوص ذلك ذنب وينبغي أن تتوب منه فقال ما هو ذنب وانما هو عجز من الرأي وأنتم سببه فقال له زرعة بن برح أما والله لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال له علي (ع) بؤساً لك ما اشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح فكان كما قال.

﴿حديث انفصال الحكمين عن دومة الجندل﴾

قال علماء السير: لما انتهى الأجل اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى بدومة الجندل وبعث علي (ع) شريح بن هاني في اربعمائة ومعهم ابن عباس وكان مع عمرو اربع مائة من وجوه أهل الشام وذلك بدومة الجندل وقيل باذرح وحضر ذلك الجمع سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن ابن الحرث بن هشام المخزومي والمغيرة بن شعبة، وقيل ان سعداً لم يشهدهم وفي عبد الله بن عمرو خلاف نذكره في موضعه فيما بعد قال الواقدي: فلما اجتمعوا قال عمرو لأبي موسى الست تعلم ان عثمان قتل مظلوماً؟ قال بلى قال الست تعلم ان معاوية ولي ثاره والله تعالى يقول ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ فما يمنعك من معاوية وبيته في قريش كما قد علمت وهو كاتب رسول الله (ص) واخو أم حبيبة زوجة رسول الله (ص) فان اخترته اكرمك اكراماً لم يكرمك من هو غيره، فقال له أبو موسى اتق الله يا عمرو فان هذا الأمر انما هو بالدين ولو كان بالشرف لكان علي (ع) أولى به وكيف أولي معاوية وادع المهاجرين والأنصار، وأما تعريضك باكرامه اياي فوالله لو خرج من سلطانه ودفعه إلي ما وليته وما كنت لأرتشي في دين الله وحكمه ولكن ان شئت احيينا اسم عمر بن الخطاب وكان في عزم ابي موسى تولية عبد الله بن عمر فقال له عمرو ان كنت تريد الفضل والصلاح فما يمنعك من ابني وقد عرفت صلاحه وفضله فقال ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته معك في هذه الفتنة فقال عمرو قد اردتك على ان تبايع معاوية فأبيت فهلم بنا نخلع علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى يختار المسلمون من شاؤا وقيل إن الذي ابتدأ بذلك أبو موسى فقال عمرو نعم ما رأيت فاخبر الناس إنا قد اتفقنا على امر فيه صلاح هذه الأمة، فقال عمرو صدق ثم قال يا ابا موسى قم فتكلم فقال أبو موسى قم أنت فقال أنت صاحب رسول الله (ص) ولا يسعني الكلام قبلك فقال له ابن عباس ويحك يا عبد الله بن قيس والله اني لاظن ابن النابغة قد خدعك وكان أبو موسى رجلا مغفلا فقال إنا قد اتفقنا وتقدم فقال ايها الناس إنا نظرنا في هذا الأمر فلم نر اصلح للأمة من خلع علي ومعاوية ونستقبل الأمة بهذا الأمر فيولوا عليهم من احبوا واني قد خلعتهما ثم تنحى وقام عمرو فقال ان هذا قد خلع صاحبه كما قد سمعتم وقد خلعته أيضاً واثبت صاحبي معاوية، فقال له أبو موسى مالك لا وفقك الله أو لعنك الله غدرت وفجرت

انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفاراً، وحمل شريح بن هاني على عمرو فقنعه بالسوط وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء كندامتي على اني لم اضرب عمراً بالسيف وتفرق الناس.

وركب أبو موسى راحلته ومضى الى مكة؛ فقال ابن عباس: قبحك الله يا ابن قيس لقد حذرتك غدرة الفاسق الخبيث فأبيت فقال أبو موسى ظننت انه ينصح الأمة وما ظننت انه يبيع الآخرة بالدنيا ثم عاد عمرو الى دمشق وسلم على معاوية بالخلافة وهو أول يوم سلم عليه فيه بها.

ورجع ابن عباس وشريح بن هاني الى علي (ع) فاخبراه بما جرى، فكان اذا صلى الغداة قنت ولعن معاوية وعمراً وأبا الاعور السلمي وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة، فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت لعن علياً (ع) والأشتر وابن عباس وشريح بن هاني والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية (ع).

وزعم الواقدي: ان التحكيم كان في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة والأشهر انه كان في سنة سبع وثلاثين.

وقد روى البخاري عن ابن عمر: ما يدل على انه كان حاضراً، فقال البخاري دخلت على حفصة ونوساتها تنطف فقلت قد كان من امر الناس ما تريدين فلم يجعل لي من الأمر شيء؛ فقالت الحق بهم فانهم ينتظرون واخشى ان تكون في احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد ان يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن احق بهذا الأمر منه ومن أبيه؛ فقال حبيب ابن مسلمة هلا اجبته فقال عبد الله فحللت حبوتي وهممت أن أقول احق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذاك فذكرت ما اعد الله في الجنان فقال له حبيب حفظت وعصمت وهذا يدل على ان معاوية كان حاضراً ويحتمل ان معاوية قال هذا في مجلس آخر.

والنوسات: الحلي، ومعنى تنطف اي تقطر وكانت قد اغتسلت.

﴿تمام حديث الخوارج﴾

قال الشعبي: ولما فصل الحكمان عن دومة الجندل عزم علي (ع) على قتالهم فقام

خطيباً وقال أيها الناس قد كنت أمرتكم بأمر في هذه الحكومة فخالفتموني وعصيتموني ولعمري ان المعصية تورث الندم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمـــرتكم أمـــري بمنعـــرج الـلوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ألا ان هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما، فاماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أمات واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير بينة ولا سنة ماضية وكلاهما لم يرشدا فبرئا من الله ورسوله وصالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير واصبحوا في مواقفكم.

وكانت الخوارج بالنهروان فقال له ابن عباس قد تجدد أمر فاكتب اليهم قبل لقائك اياهم فكتب اليهم يخبرهم بخبر الحكمين فأقبلوا الينا لنجاهد القوم فانا على الأمر الأول فكتبوا اليه انك لم تغضب لله تعالى وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا نابذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ كتابهم يئس منهم، ثم سار اليهم فالتقوا على النهروان فقتل من قاتله منهم واستأصلهم وطلب ذا الثدية فنظر الى منكبيه فاذا اللحم مجتمع على كتفيه كثدي المرأة عليه شعرات سود فقال علي (ع) الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت.

أخبرنا أبو محمد البزاز؛ حدثنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا محمد بن المظفر أنبأنا العقيقي حدثنا يوسف بن احمد حدثنا احمد بن داود عن عمارة بن مطروح أنبأنا ابراهيم بن الحسن العوفي أنبأنا اسحاق بن عبد الله التميمي أنبأنا محمد بن شهاب عن سالم بن عبد الله عن قتادة قال كنا مع أمير المؤمنين في قتال أهل النهروان وكنا ستين أو سبعين من الأنصار وكنت على الرجالة فلما رجعنا الى المدينة دخلنا على عائشة فسألتنا عن مقدمنا فاخبرناها بقتل الخوارج فقالت ما كانوا يقولون قلنا يسبون أمير المؤمنين وعثمان بن عفان وأنت ويكفرونكم فلم نزل نقاتلهم وعلي (ع) بين ايدينا وتحته بغلة رسول الله (ص) إذ وقفت على بعض القتلى فقال علي (ع) اقلبوهم فقلبناهم فاذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمة الثدي فقال علي (ع) الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت كنت مع رسول الله وهو يقسم غنايم حنين فجاء هذا فقال يا محمد اعدل فوالله ما عدلت منذ اليوم فقال رسول الله (ص) ثكلتك امك ومن يعدل اذا لم

اعدل فقال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنق هذا المنافق وقال رسول الله (ص) دعه فان له من يقتله سيخرج من ضئضئي هذا أقوام يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما[1] يمرق السهم من الرمية فقالت عائشة لقتادة أنت أريت هذا قال نعم قالت ما يمنعني ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب أن أقول الحق صدق علي أنا سمعت رسول الله (ص) يقول أمتي فرقتين يمرق بينهما فرقة محلقة رؤ وسهم محفوفة شواربهم ازرهم الى انصاف سوقهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يقتلهم أحب الخلق الى الله ورسوله قال أبو قتادة قلت فقد علمت هذا فلم كان منك اليه ما كان فقالت وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني: في كتاب (مرج البحرين وقال فيه بعد قولها وكان امر الله قدراً مقدوراً؛ يا أبا قتادة وللقدر سبب وهو ان الناس خاضوا في حديث الأفك وكان عامة المهاجرين يقولون لرسول الله (ص) امسك عليك زوجك حتى يأتي أمر ربك وكان علي يقول النساء كثير وما ضيق الله عليك وفي نساء قريش من هي أجل نسباً منها ومن أبيها وما ألومه فانه كان كلما رأى قلق رسول الله (ص) وحزنه وما يحصل له من كلام المنافقين يقول له ذلك فوجدت عليه وكان لي من رسول الله (ص) حظ فخفت عليه فكان مني ما كان وأنا الآن فأستغفر الله مما فعلته.

قال الواقدي: وهذا الذي على كتفه مثل حلمة الثدي ذو الخويصرة ويسمى المجدح واليه ينسب الخوارج وقد ولد منهم جماعة.

وقال ابن عباس: لما خرجنا الى قتال الخوارج سمع علي (ع) رجلا منهم يتهجد بالقرآن فقال نوم على يقين خير من صلاة في شك.

وقال الشعبي: لما فرغ أمير المؤمنين من الخوارج مرّ بهم وهم صرعى على النهر فقال بؤساً لكم لقد ضركم من غركم قالوا ومن غرهم قال الشيطان ونفس أمارة بالسوء.

قال الواقدي: ووجد منهم أربعمائة رجل بهم رمق فامر عشائرهم فحملوهم الى الكوفة وقسم ما قاتلوا به المسلمين من سلاح ثم رد العبيد والأماء والمتاع الى أهلهم

---

(١) ومرق السهم من الرمية مروقاً: خرج من الجانب الآخر. والخوارج: مارقة، لخروجهم عن الدين.

واستأذنه عدي بن حاتم في دفن ابنه طرفة وكان قد خرج معهم فاذن له ثم ارتحل الى النخيلة فنزل بها ولم يقتل من أصحابه سوى سبعة ثم قال للناس استعدوا للمسير الى الشام لقتال المحلين، فاقاموا أياماً بالنخيلة ثم تسللوا فدخلوا ولم يبق معه من وجوه الناس الا القليل فلما رأى ذلك (ع) دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير الى صفين، فخطب وقال: أيها الناس ما بالكم اذا أمرتكم ان تنفروا الى قتال أهل الضلالة اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأنّ قلوبكم مألوسة فانتم لا تعقلون وكأن أبصاركم في كمه فانتم لا تبصرون والله ما انتم إلا اسود شرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لي بثقة سجيس الليالي ما انتم بركب يصال به ولا زوافر يعتاص اليها.

قوله (ع): مألوسة أي ما ذاقت الحرب واللوس الذوق وسجيس الليالي معناه ابداً وكذا معنى قولهم لا آتيك سجيس عجيس، والزوافر الأنصار والعشائر ويعتاص أي يرجع.

وذكر جرير: ان الواقعة كانت بين علي (ع) وبين الخوارج سنة ثمان وثلاثين والأصح انها في هذه السنة وهي سنة سبع وثلاثين وكذا التحكيم.

ودخلت سنة ثمان وثلاثين، وفيها قتل محمد بن أبي بكر الصديق (رض) بمصر وكان والياً عليها من قبل علي (ع) وكان قد ولى علي (ع) قبله الاشتر النخعي فخرج حتى وصل الى القلزم فبعث معاوية الى صاحب القلزم بان يغتال الأشتر فلما نزل به قدم اليه شربة من عسل فشربها فمات فبلغ معاوية فقال لاصحابه ان لله جنوداً من عسل، ثم ولى (ع) محمد بن أبي بكر مصر فسار اليها فجهز اليه معاوية عمرو بن العاص في جيش كثير ومعهم معاوية بن خديج.

وذكر الواقدي: ان علياً (ع) انما ولى الأشتر بعد قتل محمد ولما التقوا ترجل محمد وقاتل فتفرق عنه أصحابه فأوى الى خربة فاخذوجيئ به الى معاوية بن خديج وهو صائم عطشان فمنعه الماء فقال يا ابن اليهودية النساجة قبحك الله فقتله والقاه في جيفة حمار ثم حرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة بكت بكاءاً شديداً وكانت تدعو في صلاتها على معاوية وعمرو ولما بلغ أم حبيبة أخت معاوية بن أبي سفيان قتل محمد

وتعريقه شوت كبشاً وبعث به الى عائشة تشفياً بقتل محمد بطلب دم عثمان فقالت عائشة قاتل الله ابنة العاهرة والله لا أكلت شواء أبداً.

وبلغ علياً (ع) قتل محمد، فبكى وتأسف عليه ولعن قاتله.

ودخلت سنة تسع وثلاثين، وفيها فرق معاوية جيوشه نحو العراق وسار بنفسه حتى بلغ دجلة ثم رجع.

ودخلت سنة أربعين، وفيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة بمال كثير الى مكة وقيل انه ما زال مقيماً بالبصرة الى ان قتل علي (ع) وبعد مقتله حتى صالح الحسن (ع) معاوية فحينئذ خرج الى مكة والأول اشهر لما يذكر بعد هذا والذي حضر صلح الحسن ومعاوية انما هو عبيد الله بن عباس وفيها جرت موادعة ومهادنة بين علي (ع) ومعاوية بعد مخاطبات ومكاتبات يطول شرحها على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي (ع) العراق ولمعاوية الشام وكان في كتاب معاوية الى علي (ع) أما اذا أبيت فلك العراق ولي الشام وتكف عن هذه الأمة السيف وتحقن دمائها فاجابه علي (ع) الى ذلك نظراً للمسلمين وقيل انما أجابه علي (ع) الى ذلك لما رأى تقاعد أهل العراق عن نصرته.

وذكر هشام بن محمد: ان مما كتب معاوية الى علي (ع) أما بعد: فان أبي كان سيداً في الجاهلية وأنا ملك في الاسلام وصهر رسول الله (ص) وخال المؤمنين وكاتب الوحي؛ فلما قرأ أمير المؤمنين كتابه قال أعلي يفخر ابن آكلة الأكباد ثم أمر عبيد الله ابن أبي رافع ان يكتب جوابه من إملائه فكتب اليه:

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مسوط[1] لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طراً	صغيراً ما بلغت أوان حلمي
فأوصاني النبي لدى اختيار	رضى منه لامته بحكمي

(١) السوط: الخلط. ق.

وأوجب في الـولاء معاً عليكم خليـلي يوم دوح (غـديـر خم)
فـويـل ثـم ويـل ثم ويـل لمن يـرد القيامـة وهـو خصمي

فلما وقف معاوية على الكتاب قال: اخفوه لئلا يسمع أهل الشام.

وتكلم العلماء في معنى قوله (ع) سبقتكم الى الاسلام طراً فقال قوم اسلم وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثمان وقيل ابن عشر وقيل ابن خمس عشر وبهذا يحتج أبو حنيفة على الشافعي في صحة اسلام الصبي العاقل اذا لم يبلغ.

وقال آخرون لم يزل مع رسول الله (ص) من زمن الطفولية يدين بما دان به رسول الله (ص) والدليل عليه ما روى الترمذي في جامعه باسناده الى أنس بن مالك قال بعث رسول الله (ص) يوم الاثنين وصلى علي (ع) يوم الثلاثاء.

وقال احمد في المسند: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا يحيى بن سلمة عن أبيه عن حبة العرني عن علي (ع) قال أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر. ولقد صليت مع رسول الله (ص) قبل الناس (ابن) سبع سنين وأنا أول من صلى معه.

فان قيل، فقد روى عن الأشرم انه قال: سألت أبا عبدالله احمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال ضعيف وقد قال جدك أبو الفرج في الموضوعات حيه ما يساوي حبة والجواب ان احمد اخرجه في المسند كما ذكرنا وكذا في الفضائل وانما قال احمد ما قال ان صح عنه فلان في طريق الفضائل عباد بن عبد الله الأسدي تكلموا فيه أما طريق المسند فلا وقوله حبه لا يساوي حبة فليس بهذا السجع البارد يبطل فضائل أمير المؤمنين. قلت ومع هذا فلا يختلفون ان أول من اسلم من الصبيان علي (ع).

وقال الزهري: انما أراد بقوله سبقتكم الى الإسلام طراً بتكبيت معاوية لأنه انما أسلم هو وأبوه أبو سفيان يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة ولهذا كان يسمى الطليق ابن الطليق وكل من أسلم في هذا اليوم ولم يهاجر يسمى بهذا الاسم فازاد ان يبين حاله لأهل الشام وانه لم يزل مع النبي (ص) من أول عمره الى ان توفي رسول الله (ص) وقد شهد المشاهد كلها ومعاوية وأبوه لم يشهدا مشهداً مع رسول الله (ص).

وقد سئل جدي أبو الفرج رحمه الله فقيل له: أشهد معاوية بدراً؟ فقال: نعم؛ ولكن من ذاك الجانب- يعني من جانب الكفار-.



الباب الخامس

في ذكر ورعه وزهادته

﴿وخوفه وعبادته (ع)﴾

أخبرنا غير واحد، عن أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي قال: أنبأنا أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أنبأنا أبو طاهر السيوفي أنبأنا احمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا وهب بن اسماعيل حدثنا محمد بن قيس عن أبي شهاب قال كان عمر بن عبد العزيز (رض) يقول ما علمنا ان احداً من هذه الامة بعد رسول الله (ص) أزهد من علي بن أبي طالب (ع) ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة.

وبه قال عبد الله بن احمد، حدثنا أبي حدثنا وهب بن اسماعيل عن محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي قال جاء ابن التياح الى علي بن أبي طالب (ع) فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، فقال علي (ع) الله أكبر ثم قام متوكاً على يد ابن التياح فدخل بيت المال وهو يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده الى فيه

ثم قال علي باشياع الكوفة: فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا بيضاء يا صفراء غري غيري حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار ثم أمر بنضحه فصلى فيه ركعتين.

وقال مجمع التميمي: هكذا كان يصنع كلما امتلأ بيت المال.

وقال الزهري: انما صلى فيه ركعتين لتشهد له يوم القيامة انه لم يحبس ما فيه عن المسلمين قال وربما كانت الغنم تبعر في بيت المال فيقسمه.

وأخبرنا أبو طاهر الحزيمي أنبأنا المبارك عن عبد الجبار الصيرفي قال: أنبأنا

أبو اسحاق البرمكي حدثنا أبو بكر بن نجيب حدثنا أبو جعفر بن علي حدثنا هناد عن وكيع عن الاحنف بن قيس قال دخلت على معاوية فقدم الي من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه ثم قال قدموا ذاك اللون فقدموا لوناً ما أدري ما هو فقلت ما هذا فقال مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر قال فبكيت فقال ما يبكيك؟ فقلت لله در ابن أبي طالب لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك فقال وكيف؟ قلت دخلت عليه ليلة عند افطاره فقال لي قم فتعش مع الحسن والحسين ثم قام الى الصلاة فلما فرغ دعى بجراب مختوم بخاتمه فاخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه فقلت يا أمير المؤمنين لم اعهدك بخيلا فكيف ختمت على هذا الشعير فقال لم اختمه بخلا ولكن خفت أن يبسه[1] الحسن والحسين بسمن او أهالة[2] فقلت احرام هو قال لا ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا باضعف رعيتهم حالا في الأكل واللباس ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً.

وقال الأحنف بن قيس: جاء الربيع بن زياد الحارثي الى علي (ع) فقال يا أمير المؤمنين إعد لي على أخي عاصم بن زياد فقال ما باله فقال لبس العباءة وتنسك وهجر أهله فقال علي به فجاء وقد ائتزر بعباءة وارتدى باخرى اشعث اغبر فقال له ويحك يا عاصم اما استحييت من أهلك اما رحمت ولدك الم تسمع الى قوله تعالى ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ اترى الله أباحها لك ولأمثالك وهو يكره ان تنال منها اما سمعت قول رسول الله (ص) ان لنفسك عليك حقاً. الحديث فقال عاصم فما بالك يا أمير المؤمنين في خشونة ملبسك وجشوبة مطعمك وانما تزينت بزيك فقال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق ان يتصفوا باوصاف رعيتهم أو بافقر رعيتهم لئلا يزدري الفقير بفقره وليحمد الله الغني على غناه.

وأخبرنا غير واحد عن محمد أبي القاسم قال: أنبأنا احمد بن احمد أخبرنا أبو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا الحسن بن علي الوراق حدثنا محمد بن عيسى حدثنا عمرو بن تميم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر

---

(١) البس: اتخاذ البسية، بأن يلت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون بالسمن.

(٢) الأهالة: الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت وكل ما ائتدم به. ق.

قال سمعت عبد الملك بن عمر يقول حدثني رجل من ثقيف قال استعملني علي (ع) على عكبرا وقال لي اذا كان الظهر فأتني قال فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه ووجدته جالساً وحده وبين يديه قدح من خشب وكوز من ماء فدعى بجراب مختوم فقلت لقد ائتمنني حيث يخرج إلي جوهراً ولا أعلم ما قيمته فكسر الخاتم فاذا فيه سويق فاخرج منه وصب في القدح ماء وذره عليه ثم شرب وسقاني فلم اصبر وقلت يا أمير المؤمنين قد وسع الله عليك والطعام بالعراق كثير فقال والله ما ختمت عليه بخلا وانما ابتاع قدر كفايتي وأخاف ان يفنى فيوضع فيه من غيره وانما افعل هذا لئلا يدخل بطني غير طيب.

وقال احمد في الفضائل: حدثنا حسن الأشيب أنبأنا ابن شعبة حدثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن رزين قال: دخلت على علي (ع) يوم أضحى فقرب الي خزيرة فقلت يا أمير المؤمنين قد اكثر الله الخير فقال يا ابن رزين سمعت رسول الله (ص) يقول لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وعياله وقصعة يضعها بين يدي الناس والخزيرة ان يصب في القدر ماء كثير ويقطع اللحم صغاراً فاذا نضج ذر عليه شيء من دقيق وكذا الخزير.

وأخبرنا عبد الملك بن مظفر بن غالب الجزي أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد قالا أنبأنا أبو اسحاق البرمكي أنبأنا أبو بكر بن نجيب حدثنا أبو جعفر بن علي حدثنا هناد عن وكيع عن ابن ثعلبة عن سويد بن غفلة قال دخلت على علي (ع) في هذا القصر يعني قصر الامارة بالكوفة وبين يديه رغيف من شعير وقدح من لبن والرغيف يابس تارة يكسره بيده وتارة بركبتيه فشق علي ذلك فقلت لجارية له يقال لها فضة ألا ترحمين هذا الشيخ وتنخلين له هذا الشعير اما ترين نشارته على وجهه وما يعاني منه فقالت لأي شيء يوجر هو ونأثم نحن انه عهد الينا ان لا ننخل له طعاماً قط فالتفت الي وقال ما تقول لها يا ابن غفلة فاخبرته وقلت يا أمير المؤمنين ار فق بنفسك فقال لي ويحك يا سويد ما شبع رسول الله (ص) وأهله من خبز بر ثلاثاً حتى لقي الله ولا نخل له طعام قط ولقد جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت اطلب العمل فاذا بامرأة قد جمعت مدراً تريد ان تبله فقاطعتها على دلو بتمرة فمددت ستة عشر دلواً حتى مجلت يداي، وفي رواية فتحت ثم اخذت التمر وأتيت رسول الله (ص) فاخبرته فاكل منه.

وقد أخرجه احمد، أيضاً في الفضائل فقال أنبأنا علي بن حكيم الازدي حدثنا شريك عن موسى الطحان عن مجاهد عن علي (ع) وذكره وأخرجه احمد أيضاً في المسند عن مجاهد عن علي (ع).

وقال أبو نعيم في كتاب (الحلية) وقد تقدم اسنادنا اليه آنفاً.

حدثنا احمد بن جعفر حدثنا احمد بن الحسن الصوفي حدثنا يحيى بن يوسف الزمي حدثنا عباد بن العوام عن هارون ابن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي (ع) وهو بالخورنق وهو يضع في يوم بارد عليه شملة فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولأهلك نصيباً في هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع فقال والله ما ارزأكم في اموالكم أو ما لكم شيئاً والله انها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة.

وقال احمد في الفضائل: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا بختيار بن رافع عن أبي المطرف قال: رأيت علي بن أبي طالب (ع) مؤتزراً بازار مرتديا برداء ومعه درة كأنه أعرابي يدور الأسواق حتى بلغ سوق الكرابيس فوقف على شيخ فقال يا شيخ أحسن بيعتي في قميص بثلاثة دراهم فعرفه الشيخ فقال نعم فعلم انه قد عرفه فتركه ومضى ولم يشتر منه شيئاً فاتى غلاماً حدثا فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ثم جاء أبو الغلام فاخبره وقال اشترى مني رجل قميصاً بثلاثة دراهم من صفته كذا وكذا فعرفه فاختار درهماً وجاء اليه فقال يا أمير المؤمنين هذا الدرهم فاضل عن ثمن القميص فخذه فان ابني غلط انما ثمنه درهمان فقال يا شيخ اذهب بدرهمك فانه باعني على رضائي واخذت على رضاه.

وروى سفيان الثوري عن عمرو بن قيس الملائي قال: رئي على علي (ع) ازار مرقوع فعوتب في ذلك فقال يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن، قال سفيان وكان يقطع الثوب الى أطراف أصابعه يعني الكم، وقد اخرجه أحمد في المسند بمعناه.

فقال: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محارب بن نافع عن أبي مطر انه رأى على علي (ع) قميصاً بثلاثة دراهم، وفي رواية انه اشترى قميصاً لبسه ففضل عن الرسغين والكعبين فقطعه وقال الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به بين الناس وأواري به عورتي، فقيل له: اهذا شيئ ترويه عن نفسك أو عن رسول الله (ص) فقال: بل سمعته من رسول الله (ص).

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن عمر بن سالم حدثنا موسى بن عيسى حدثنا احمد ابن محمد العمي حدثنا بشر بن ابراهيم حدثنا مالك بن معول وشريك عن علي بن الأقمر عن أبيه رأيت علياً (ع) وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله (ص) ولو كان عندي ثمن ازار لما بعته، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد وعبد العزيز ابن محمود البغداديان قالا أخبرنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا عاصم بن الحسن أنبأنا علي بن محمد بن بسر حدثنا ابن صفوان حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثني القاسم بن هاشم حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا الحسن بن علي النمري عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال أهدي لعلي (ع) زقاق من عسل وسمن فرآها قد نقصت فسأل عنها فقيل له بعثت أم كلثوم فاخذت منه فبعث اليها بعد أن قوم العسل بخمسة دراهم فاخذها منها وقال هذا للمسلمين.

وقال القرشي بهذا الاسناد: حدثني القاسم عن ابن الخطاب عن الحسن عن عمرو بن يحيى عن قنبر قال جاء الى بيت المال زقاق من عسل فقال لي الحسن بن علي (ع) يا قنبر اذهب وأتني من الزقاق بمقدار نصيبي من بيت المال فقد نزل بي ضيف وما عندي ما أطعمه واذا قسم أمير المؤمنين العسل فخذ بمقدار نصيبي ورده في بيت المال فجاء قنبر الى زق منها فاخذ منه مقدار رطل ثم جاء علي (ع) الى الزق فرآه قد نقص فقال يا قنبر يا ويحك ما هذا؟ فاخذ يتعلل عليه فقال والله لتصدقني الحديث فصدقه فغضب غضباً شديداً وقال عليّ بالحسن فجاء فوقع على قدميه وقال له بحق عمي جعفر- وكان اذا سئل بحق جعفر سكن غضبه- فقال له ما حملك على أن تأخذ من عسل المسلمين قبل القسمة فقال أما لي فيه حق فقال فكيف تنتفع به قبل المسلمين اما والله لولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبل ثناياك لأوجعتك ضرباً قم فاشتر عوضه وصبه في الزق ففعل فقسمه بين المسلمين وبكى بكاءاً شديداً ثم قال اللهم اغفر للحسن فانه لم يعلم ولقد كنا مع رسول الله نقتل اخواننا وآباءنا وأعمامنا وأهلنا ما نريد بذلك إلا وجه الله ولقد كان رجل منا يختار الله ورسوله على نفسه فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت والذل وانزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه مبوءاً أوطانه والله لو أتينا اليوم ما تأتون ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود وايم الله لتحلبنها دماً ولتأخذنها دما.

وقال القرشي : حدثنا محمد بن عمران أنبأنا ابراهيم بن سعيد عن ابن الخطاب عن العمري عن سويد بن غفلة قال دخلت على علي (ع) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه فقلت يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء؛ وقال يا سويد ان اللبيب لا يتأثث في دار النقلة وامامنا دار المقامة قد نقلنا اليها متاعنا ونحن منقلبون اليها عن قريب قال فابكاني والله كلامه.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا وكيع عن مسعر عن أبي بحر عن شيخ لهم قال رأيت علياً (ع) وعليه ازار غليظ فقلت ما هذا قال اشتريته بخمسة دراهم فمن اربحني فيه درهماً بعته إياه وقال كان يأتزر بعباءة ويشد وسطه بعقال ويهنأ بعيره وهو يومئذ خليفة.

وذكر احمد أيضاً في (الفضائل) باسناده الى ابن عباس قال دخلت عليه يوماً وهو يخصف نعله فقلت له ما قيمة هذا النعل حتى تخصفها فقال هي والله احب إليّ من دنياكم أو امرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو ادفع باطلا ثم قال كان رسول الله (ص) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويركب الحمار ويردف خلفه، قال ابن عباس أقام أمير المؤمنين (ع) بالكوفة مدة خمس سنين لم يأكل من طعامهم وما كان يأكل إلا من شيء يأتيه من المدينة، قال وقدم اليه فالوذة فلم يأكله فقلت احرام هو؟ قال لا ولكني أكره ان اعود نفسي ما لم تعتد وما أكل منه رسول الله (ص) ثم أنشد:

جسمك بالحمية اقنيته   من ضرر البارد والحار

ويروي: (انضيته: مخافة البارد والحار).

قد كان أولى بك ان تحتمي   من المعاصي حذر النار

قال احمد في (الفضائل): حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا الوليد بن قاسم حدثنا مطر بن ثعلبة التميمي حدثنا أبو النوار بايع الكرابيس قال اشترى علي (ع) تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له رجل أنا عنك احمله فقال لا أبو العيال احق ان يحمل حاجته قال وهو يومئذ خليفة وكان يلبس الكرابيس السنبلانية وهي ثياب غلاظ يساوي الثوب درهمين أو ثلاثة دراهم وهو يقول الحمد لله الذي كساني ما اتوارى به وأتجمل به بين خلقه.

وقال احمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر حدثنا الحسن بن جرموز المرادي عن أبيه قال رأيت علياً (ع) يخرج من هذا القصر يعني قصر الكوفة وعليه ازار الى انصاف ساقيه ورداؤه مشمر قريباً منه ومعه الدرة يمشي بها في الأسواق ويقول يا قوم اتقوا الله؛ وفي رواية يأمرهم بحسن البيع ويقول اوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنفخوا اللحم، وفي رواية ويرشد الضالة ويعين الحمال على الحمولة ويقرأ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض﴾ الآية ويقول هذه الآية نزلت في الولاة وذوي القدرة من الناس.

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي، أنبأنا أبو الفضل بن ناصر، أنبأنا المبارك ابن‌عبد الجبار الصيرفي أنبأنا أبو اسحاق البرمكي أنبأنا أبو بكر بن نجيب أنبأنا أبو جعفر بن ذريح أنبأنا هناد عن وكيع عن مطر بن ثعلبة عن أبي النوار قال: رأيت علياً (ع) وقف على خياط فقال له: يا خياط صلب الخيط ودقق الدرز وقارب الغرز فانه سمعت رسول الله (ص) يقول يؤتى يوم القيامة بالخياط الخاين وعليه قميص ورداء مما خاطه وخان فيه فيفتضح على رؤوس الاشهاد ثم قال يا خياط اياك والفضلات والسقطات فان صاحب الثوب احق بها ممن يتخذ عنده يداً يطلب بها المجازاة في الدنيا.

وذكره الزمخشري في (ربيع الأبرار)، وبه قال أبو النوار: أتى علي (ع) باترجة فاخذها الحسين (ع) فنزعها من يده وقسمها في الناس، وبه عن أبي أعور قال عوتب علي (ع) على تقلله في الدنيا وشدة عيشه فبكى وقال كان رسول الله (ص) يبيت الليالي طاوياً وما شبع من طعام أبداً، ولقد رأى يوماً ستراً موشى على باب فاطمة (رض) فرجع ولم يدخل وقال مالي ولهذا غيبوه عن عيني مالي وللدنيا وكان يجوع فيشد الحجر على بطنه وكنت اشده معه فهل أكرمه الله بذلك أم اهانه فان قال قائل أهانه كذب ومرق وان قال أكرمه فيعلم ان الله قد أهان غيره حيث بسط له الدنيا وزواها عن أقرب الناس اليه واعزهم عليه حيث خرج منها خميصاً وورد الآخرة سليمًا، لم يرفع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة ولقد سلكنا سبيله بعده والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قيل لي ألا تستبدل بها غيرها فقلت للقائل ويحك اعزب (فعند الصباح يحمد القوم السرى).

وبه عن أبي النوار قال: دخل عليه الأشعث بن قيس فرآه يصلي فقال أذؤب

بالليل ودؤب بالنهار؟ فلما سلم من صلاته قال:

اصبر على مضض الادلاج في السحر وللرواح كذي الحاجات في البكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها فانما الملك بين العجز والضجر
اني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في شيء يؤمله فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

وأخبرنا عبد الرحمن بن أبي حامد الحربي أنبأنا عبد الوهاب الحافظ أنبأنا عاصم عن الحسن أنبأنا علي بن محمد بن بشر أنبأنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم عن عبد العزيز بن الخطاب عن الحسن بن علي النمري حدثنا عمرو بن يحيى عن أبي اراكة قال جاء سائل الى علي (ع)، فقال لبعض ولده اذهب الى امك وقل لها هات ذاك الدرهم الذي عندك فمضى ثم عاد وقال قد قالت خبأناه للدقيق فقال اذهب وأتني به فذهب وعاد وهو معه ودفعه الى السائل وقال لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله اوثق منه بما في يديه فبينا هو يتحدث اذ مر به رجل يبيع جملا فاشتراه منه بمائة درهم ثم باعه بمائتين فدفع المائة الى ولده وقال اذهب بها الى امك وقل لها هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه (ص) اخباراً عن ربه سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها.

قال أبو اراكه: وكان علي (ع) يمشي يوم العيد الى المصلى ولا يركب.

وقال القرشي: أنبأنا القاسم عن ابن الخطاب عن النمري عن عمرو بن يحيى عن صعصعة بن صوحان انه مر على المغيرة بن شعبة فقال له من اين اقبلت فقال من عند الولي التقي الجواد الحي الحليم الوفي الكريم الحفي المانع بسيفه، الجواد بكفه الوري زنده، الكثير رفده، الذي هو من ضنضىء اشراف امجاد ليوث انجاد ليس باقعاد ولا انكاد ليس في امره ولا في قوله فند ليس بالطايش النزق ولا بالرايث المذق كريم الابناء شريف الآباء حسن البلاء ثاقب السناء مجرب مشهور وشجاع مذكور زاهد في الدنيا راغب في الأخرى، فقال المغيرة بن شعبة هذه صفات أمير المؤمنين علي (ع).

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال: أنبأنا أبو بكر بن حبيب الصوفي قال أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق أنبأنا عبد الله بن بالويه الشيرازي حدثنا عبد الله بن فهد حدثنا فهد بن ابراهيم السباحي حدثنا زكريا بن دينار عن العباس بن بكار عن عبد

الواحد بن عمرو الأسدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال دخل ضرار بن ضمرة على معاوية فقال له يا ضرار صف لي علياً فقال أو تعفني قال لا أعفيك قالها مراراً فقال ضرار أما إذ لا بد فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة كثير الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا أتيناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع قربه منا ودنوه الينا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه لعظمه فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين.وكأني اسمعه وهو يقول: يا دنيا غري غيري ابي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاًلا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال فذرفت دموع معاوية على لحيته فلم يملك ردها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أبا حسن فقد كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها.

الباب السادس

في المختار من كلامه

كان علي (ع) ينطق بكلام قد حف بالعصمة؛ ويتكلم بميزان الحكمة؛ كلام القى الله عليه المهابة؛ فكل من طرق سمعه راعه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة والطلاوة والفصاحة لم يسقط منه كلمة ولا بارت له حجة، اعجز الناطقين وحاز قصب السبق في السابقين الفاظ يشرق عليها نور النبوة ويحير الأفهام والالباب وقد اخترت منه ما أودعته في هذا الكتاب من فنون العلم والآداب فنبدأ بالخطب.

وقد أخبرنا السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني باسناده الى الشريف المرتضى قال: وقع إلي من خطب أمير المؤمنين (ع) اربعمائة خطبة وكتابنا هذا يضيق عن حصرها فنشرفه بما اتصل الينا اسناده من نظمها ونثرها:

﴿خطبة تعرف بالمنبرية﴾

قرأت على أبي حفص عمر بن معمر الدار قطني قال: أنبأنا احمد بن محمد المذاري أنبأنا الحسن بن احمد البناء أنبأنا علي بن محمد بن بشران أنبأنا الحسين بن صفوان أنبأنا أبو بكر القرشي المعروف بابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الحسين عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، قال خطب أمير المؤمنين علي (ع) يوماً على منبر الكوفة فقال: الحمد لله الذي احمده وأومن به واستعين به واستهديه واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم قال: أيتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، كم ادلكم على الحق وأنتم تنفرون نفور[1] المعزى من

---

(١) - في حديث علي عليه السلام: وأنتم تنفرون نفور المعزى من وعوعة الاسد - أي صوته - . وعواء الاسد: صيحته.

وعوعة الأسد هيهات أن اطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان مني منافسة في سلطان ولا التماس فضول الحطام ولكن لأرد المعالم من دينك واظهر الصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم انك تعلم اني أول من أناب وسمع فأجاب لم يسبقني إلا رسولك اللهم لا ينبغي أن يكون على الدماء والفروج والمغانم والأحكام ومعالم الحلال والحرام وامامة المسلمين وأمور المؤمنين البخيل لأن نهمته في جمع الأموال ولا الجاهل فيدلهم بجهله على الضلال ولا الجافي فينفرهم بجفائه ولا الخايف فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنن فيؤدي ذلك الى الفجور ولا الباغي فيدحض الحق ولا الفاسق فيشين الشرع.

فقام اليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجل مات وترك امرأة وابنتين وأبوين؟ فقال لكل واحد من الابوين السدس وللابنتين الثلثان، قال فالمرأة؟ قال: صار ثمنها تسعاً[1]. وهذا من ابلغ الأجوبة.

﴿تفسير المسألة﴾

اتفق كبار الصحابة على صحة العول؛ لم يخالف فيها إلا عبد الله بن عباس، والعول عبارة عن الرفع، قال في الصحاح العول[2] الأرتفاع، وقال أبو عبيدة هو مأخوذ من الميل لأن الفريضة متى عالت كان ميلا في أهلها جميعاً فتنقصهم.

وقال ابن عباس بعد ما توفي عمر بن الخطاب (رض) لاعول من شاء باهلته ان الذي أحصى رمل عالج عدداً لم يجعل في المال نصفاً نصفاً وثلثاً قيل له هلا قلت هذا في أيام عمر لأنه كان يقول بالعول في أيامه فقال ان عمر كان رجلا مهيباً فهبته، فعلى قول فقهاء الصحابة والجمهور اذا ضاق المال عن سهام الورثة قسم على قدر سهامهم قياساً على الديون والوصايا اذا ضاقت التركة عن حملها، وعلى قول ابن عباس يقدم جميع ذوي السهام على البنات والاخوات من الأب والأم ومن الأب ويجعل الفاضل عن سهامهم لهن حتى لا يعول لأن الله لم يعبر بالنصف عن الثلث ولا

---

(١) وجاء في طريق آخر: أنه (ع) كان يخطب على منبر الكوفة قائلا: الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعاً، يجزي كل نفس بما تسعى واليه المآب والرجعى فسئل عن هذه المسألة فقال ارتجالا: صار ثمن المرأة تسعاً، ومضى في خطبته الخ.

(٢) وفي اصطلاح الفرضين: عبارة عن زيادة السهام ونقص المقادير.

بالثلث عن الربع ولا بالسدس عن الثمن ولا بالثلثين عن النصف لأن الله فرض ذلك فنتبع ما فرضه وهي لغة العرب أيضاً فأصل هذه المسألة على قول الجمهور من أربعة وعشرين للزوجة الثمن ثلاثة وللابنتين الثلثان ستة عشر وللأب السدس أربعة وللأم السدس أربعة فيكون مجموع ذلك سبعة وعشرين فيقسم التركة على سبعة وعشرين وان كان أصلها من أربعة وعشرين إلا انها زادت بثمنها وهو ثلاثة فدخل النقص على الكل على نسبة واحدة لما ضاق المال عن الوفاء بالمقدرات فيكون للزوجة ثلاثة من سبعة وعشرين والثلاثة من سبعة وعشرين تسعها فهذا معنى قوله (ع) صار ثمنها تسعاً لان من كان يستحق الثمن من أربعة وعشرين فهو يستحق القدر من سبعة وعشرين فيكون المجموع سبعة وعشرين.

وأما على قول ابن عباس فانه يدخل النقص على الابنتين لا غير، فيكون للزوجة الثمن الكامل وهو ثلاثة من أربعة وعشرين وللأبوين لكل واحد منهما السدس كاملا فيبقى من الأربعة والعشرين ثلاثة عشر فيكون بين الأبنتين.

وكان ابن عباس يقول: ليس على وجه الأرض أعلم بالفرائض من علي بن أبي طالب (ع).

﴿خطبة أخرى وتعرف بالبالغة وبه قال القرشي﴾

حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال: أخبرني رجل من بني شيبان قال: شهدت علياً (ع) وقد خطب خطبة بليغة حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد (ص) ثم قال: أيها الناس ان الله أرسل اليكم رسولا ليزيح به علتكم ويوقظ به غفلتكم واني أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فاما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة ألا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة وان الآخرة قد اقبلت مقبلة ولكل واحدة منها بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل واعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ومحاسبون على اعمالكم ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فانها دار بالبلاء محفوفة وبالعناء والغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذا هم في بلاء وغرور العيش فيها مذموم

والرخاء فيها لا يدوم أهلها فيها أهداف أو أغراض مستهدفة وأسبابها مختلفة وكل فيها حتفه مقدور وحظه من نوايبها موفور، واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً واشد بطشاً واعمر دياراً وأبعد آثاراً فاصبحت اجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الموسدة الصخور والاحجار في القبور التي خرب فناؤها وتهدم بناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين قوم مستوحشين متجاورين غير متزاورين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم البلى واظلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً قد فجع بهم الأحباب واسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم أياب وتمنوا الرجوع فحيل بينهم وبين ما يشتهون كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه وقدمتم على ما قدموا عليه فكيف بكم اذا تناهت الامور وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير وكأني والله بكم وقد وقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهبطت عنكم الحجب والأستار وظهرت العيوب والاسرار وزال الشك والارتياب هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لسنة رسوله حتى يحلنا دار المقامة من فضله انه حميد مجيد برحمته وكرمه .

وقد أخرج أبو نعيم في كتاب (الحلية) طرفاً من أول هذه الخطبة

﴿خطبة أخرى وتعرف بالشقشقية﴾

ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخل بالبعض، وقد أتيت بها مستوفاة: أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الانباري باسناده عن ابن عباس قال: لما بويع أمير المؤمنين بالخلافة ناداه رجل من الصف وهو على المنبر ما الذي ابطأ بك الى الآن فقال: بديهاً أما والله لقد تقمصها فلان[1] وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير ولكني سدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت امثل بين أن أصول بيد جذاء ماضية أو أصبر على ظلمة طخياء يوضع

---

(١) وفي نسخة: أخو تيم، أو ابن أبي قحافة.

منها الكبير ويدب فيها الصغير، وفي رواية طفقت ان أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت الصبر أجدر فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا الى ان حضرت الأول الوفاة. وفي رواية فصبرت الى ان مضى الأول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده. وفي رواية فادلى بها الى الثاني فيا لله العجب بينا هو يستقيلها في حال حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته فعقدها في ناحية خشناء يصعب مسها ويغلظ كلمها ويكثر فيها العثار ويقيل منها الأعتذار فمني الناس بمن عقدها له حتى مضى لسبيله.

وفي رواية: بينا هو يقتال منها في حياته اذ عقدها لأخر بعد مماته لشدما تشطرا ضرعها في حوزة خشناء فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان أسلس لها تقحم. وفي رواية فمني الناس بخبط وشماس وتكور واعتراص فصبرت حتى اذا مضى لسبيله جعلها شورى بين ستة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى فيم وبم ولم يعرض عني ولكني اسففت معهم حين أسفوا وطرت معهم حيث طاروا وصبرت لطول المحنة وانقضاء المدة الى ان قام الثالث.

وفي رواية: فيا لله والشورى متى اعترض الريب في حتى صرت أقرن الى هذه النظاير فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام الثالث نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وبنو أمية يخضمون مال الله خضم الابل نبت الربيع حتى اذا اجهز عليه عمله واسلمه الى الهلاك اجله وكبت به مطيته فما راعني إلا والناس ارسالا إلي كعرف الفرس يسألوني البيعة وانثالوا علي انثيالا حتى وطيء الحسنان وهما عطفاي.

وفي رواية: وهما وشق عطفاي وهم مجتمعون حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة وفسقت شرذمة ومرقت أخرى وقسط قوم كانهم لم يسمعوا قول الله تعالى يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن راقتهم دنياهم واعجبهم رونقها، اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما اخذ الله على الأولياء لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها وانشد:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

وفي رواية: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها. وفي رواية: ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز؛ ثم ناوله كتاباً فنظر فيه وقطع الكلام. فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو أخذت فيها افضت فيه فقال كلا تلك شقشقة هدرت ثم قرت فلهذا سميت: الشقشقية.

﴿تفسير غريبها﴾

الشقشقية: بكسر الشين، كالرية يخرجها البعير من فيه اذا هاج وهدر فاذا قيل للخطيب ذو شقشقية، فانما يشبه بالفحل.

وذكر الجوهري: في (الصحاح) في القطب ثلاث لغات ضم القاف وفتحها وكسرها، وفلان قطب بني فلان أي سيدهم الذي يدور عليه أمرهم ويقال لصاحب الجيش قطب رحى الحرب.

وقوله (ع): ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير يشير الى منزلته ومكانته وشرفه وشجاعته وهيبته، فاذا مر به السيل هابه واندفع عنه واذا رآه الطير وهو في ذروة شاهق لم يتجاسر ان يصعد اليه، والكشح باسكان الشين المعجمة ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف؛ والخلف بتسكين اللام اقصر الأضلاع، وطوى فلان كشحه على الأمر اذا قطعه وطويت كشحي على الأمر اذا اضمرته وسترته وطفقت أي جعلت افعل لذا يقال طفق يفعل كذا أي جعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ والطخياء الداهية من الطخى وقوله يوضع فيها الكبير لشدتها والجذاء القاطعة. والطخياء الليلة المظلمة. والكدح: العمل والسعي. والقذاء في العين والشراب ما يسقط فيه. والشجا ما ينشب في الحلق من عظم وغيره. وأدلى بها أي دفعها. ومُنِيَ أي ابتلي. وقوله لشد ما تشطرا ضرعها الشد العدو وتشاطرا تناصفا والشطر النصف. والحوزة الناحية والصعبة نقيضة الذلول. وقوله إن أشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم معناه اذا شدد عليها في جذب زمامها وهي تنازعه خرم انفها وان أرخى لها مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها.

وذكر في (الصحاح): اشنق بعيره بالأنف لغة في شنقه؛ وكذا ذكر ابن السكيت في اصلاح المنطق. والخبط ان يمشي الإنسان ولا يتوقى شيئا والشماس المنع ومنه فرس

شموس والعامة تقول شموص بالصاد وهو خطأ والاعتراص بالصاد المهملة الدوام على الشيء، والريب الشك. والشورى ما يجري فيها المشاورة. وصفي مال، والضغن الحقد والهن الشيء. والهنات الخصلات القبيحة والحضن ما بين الأبط الى اكشح وقيل هو ما دون ذلك وحضنا الشيء جانباه. والنثيل الروث. والمعتلف ما يعلف، والخضم الأكل. بجميع الفم. وانثالوا انصبوا والعطف الجانب. وربضة الغنم دايرتها. والكظة الممارسة في الحرب. والعفطة حبقة العنز. والأرسال الجماعات والغارب ما بين السنام والعنق ومنه قولهم حبلك على غاربك أي أذهبي حيث شئت. واصله ان الناقة اذا رعت وعليها الخطام القي على غاربها لأنها كلما رأت الخطام لم يهنئها شيء.

﴿خطبة في مدح رسول الله (ص)﴾

أخبرنا عبد الله بن أبي المجد الحربي أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك أنبأنا أبو الفتح احمد الحداد أنبأنا أبو بكر بن احمد بن علي بن ابراهيم بن منحويه أنبأنا محمد بن احمد ابن اسحاق أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد ابن الحبيب بن المهلب بن أبي صفرة عن مجالد عن سعيد بن عمير قال خطب أمير المؤمنين يوماً فقال: الحمد لله داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها وغويها ورشيدها؛ اللهم واجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك وحبيبك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق المعلن بالحق الناطق بالصدق الدافع جيشات الاباطيل والدامغ هيشات الأضاليل فاضطلع قائما بامرك مستوفراً في مرضاتك غير ناكل في قدم ولا واه في عزم مراعياً لعهدك محافظاً لودك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهدى به الناس بعد خوض الفتن والأثام والخبط في عشو الظلام وانارت نيرات الأحكام بارتفاع الأعلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وحجتك على العالمين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق؛ اللهم فافسح له مفسحاً في ظلك واجزه بمضاعفات الخير من فضلك، اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش وقرار النعمة ومنتهى الرغبة ومستقر اللذة ومنتهى الطمأنينة وارجاء الدعة وافناء الكرامة.

القدم: بتسكين الدال التقدم. والجيشات من جاشت القدر، تجيش اذا غلت. والهيشات: الجماعات، وهاشوا: اذا تحركوا.

﴿خطبة خطب بها عند وفاة رسول الله (ص)﴾

وبه قال مجالد حدثني عكرمة عن ابن عباس قال لما دفن رسول الله (ص) جاء العباس وأبو سفيان بن حرب وجماعة من بني هاشم الى علي (ع) فقالوا مد يدك نبايعك وحرضوه فامتنع وقال له العباس أنت والله بعد أيام عبد العصا[1] فخطب وقال: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة فقد افلح من نهض بجناح واستسلم فارتاح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها اجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور ومن شربة يلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور فان اقل تقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ومن الرجل بأخيه وعمه.

وفي رواية: لقد اندمجت على علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيد، وذكر كلاماً كثيراً. اللتيا والتي: بفتح اللام والتشديد تصغير التي. قال الراجز: بعد اللتيا والتي. والآجن: المتغير، والأرشية: جمع رشاء بالمد وهو الحبل. والطوى: البئر المطوية.

﴿خطبة في مدح النبي (ص) والأئمة (ع)﴾

اخبرنا أبو طاهر الخزيمي أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن علي أنبأنا عبد الله بن عطاء الهروي أنبأنا عبد الرحمن بن عبيد الثقفي أنبأنا الحسين بن محمد الدينوري أنبأنا عبد الله بن ابراهيم الجرجاني أنبأنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أنبأنا أحمد بن عبد الله الهاشمي حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي (ع) قال: خطب أبي أمير المؤمنين يوماً بجامع الكوفة خطبة بليغة في مدح رسول الله (ص) فقال: بعد حمد الله لما أراد الله ان ينشيء المخلوقات ويبدع الموجودات اقام الخلايق في صورة قبل دحو الأرض ورفع السموات ثم أفاض نورا من نور عزه فلمع قبساً من ضيائه وسطع ثم اجتمع في تلك الصورة وفيها هيئة نبينا (ص) فقال له تعالى أنت المختار وعندك مستودع الأنوار وأنت المصطفى المنتخب الرضاء المنتجب المرتضى من أجلك اضع البطحاء وارفع السماء وأجري الماء

---

(١) وهذا اليوم الذي قال فيه أبو سفيان ان شئت ملأتها خيلا ورجلا.

وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وأنصب أهل بيتك علماً للهداية وأودع أسرارهم من سرى بحيث لا يشكل عليهم دقيق ولا يغيب عنهم خفي وأجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدري والمطلعين على أسرار خزائني[1] ثم اخذ الحق سبحانه عليهم الشهادة بالربوبية والاقرار بالوحدانية وان الامامة فيهم والنور معهم ثم ان الله اخفى الخليفة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ونصب العوالم وموج الماء واثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء؛ ثم أنشأ الملائكة من انوار ابتدعها وانواع اخترعها ثم خلق[2] الله الأرض وما فيها ثم قرن بتوحيده نبوة نبيه محمد وصفيه فشهدت السموات والأرض والملائكة والعرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم وما في الأرض له بالنبوة فلما خلق آدم أبان للملائكة فضله وأراهم ما خصه به من سابق العلم فجعله محراباً وقبلة لهم فسجدوا له وعرفوا حقه ثم بين لآدم حقيقة ذلك النور ومكنون ذلك السر فلما حانت ايامه أودعه شيئاً ولم يزل ينتقل من الأصلاب الفاخرة الى الارحام الطاهرة الى ان وصل الى عبد المطلب ثم الى عبد الله ثم الى نبيه (ص) فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وعلانية واستدعى الفهوم الى القيام بحقوق ذلك السر اللطيف وندب العقول الى الاجابة لذلك المعنى المودع في الذر قبل النسل فمن وافقه قبس من لمحات ذلك النور واهتدى الى السر وانتهى الى العهد المودع في باطن الأمر وغامض العلم ومن غمرته الغفلة وشغلته المحنة استحق البعد[3] ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ويتشعشع في غرايزنا فنحن أنوار السموات والأرض وسفن النجاة وفينا مكنون العلم والينا مصير الأمور وبمهدينا تقطع الحجج فهو خاتم الأئمة ومنقذ الامة ومنتهى النور وغامض السر فليهن من استمسك بعروتنا وحشر على محبتنا.

﴿ومن خطبه (ع) عقيب قتل عثمان﴾

أخبرنا غير واحد: عن عبد الوهاب بن المبارك الحافظ الأنماطي أنبأنا أبو الفتح احمد بن محمد الحداد أنبأنا أبو بكر احمد بن علي بن ابراهيم بن فنجويه أنبأنا محمد بن احمد بن اسحاق أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا

---

(١) في نسخة: واسكن قلوبهم أنوار عزتي؛ واطلعهم على معادن جواهر خزائني.

(٢) وفي نسخة: ثم خلق المخلوقات فأكملها الخ.

(٣) وفي نسخة: غشا بصره وقلبه عن ادراكه الخ.

عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة عن مجالد عن سعيد بن عمير قال خطب أمير المؤمنين يوماً بعد ما قتل عثمان فقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله (ص): أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كن في اجمة ثور أبيض وثور أسود وثور أحمر ومعهم أسد وكان الأسد لا يقدر عليهم لاجتماعهم عليه واتفاقهم، فقال الأسد للثور الأسود والأحمر انه لا يدل الناس علينا إلا الثور الأبيض فانه مشهور بالبياض فلو تركتماني آكله فتصفو الأجمة لنا ونعيش فيها فقالا له افعل فاكله ثم لبث مدة وقال للثور الأحمر انه لا يدل علينا الناس إلا الثور الأسود بسواد لونه فإن لوني ولونك لا يختلفان ولا يشبهان فان تركتني آكله فتصفو الاجمة لي ولك فقال إفعل فاكله ثم لبث مدة وقال للثور الأحمر اني اكلك فقال دعني انادي ثلاثة أصوات فقال ناد فصاح ألا إني أكلت يوم أكل الثور الابيض قالها ثلاثاً، ثم قال علي (ع): ألا اني وهنت يوم قتل عثمان قالها ثلاثاً.

فصل ومن كلامه (ع)

في المواعظ والدقايـق

قال أبو نعيم الأصبهاني في كتاب (الحلية)[1]: وقد تقدم اسناده حدثنا عمر بن محمد حدثنا الحسين بن محمد بن عفير حدثنا الحسن بن علي حدثنا خلف بن تميم عن عمر ابن الرحال عن العلاء بن المسيب عن عبد خير قال: قال لي علي (ع) ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر عملك ويعظم حلمك فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عملا في تقوى فكيف يقل ما يتقبل.

وقال أبو نعيم: حدثنا ابي ابراهيم بن محمد بن الحسن قال كتب الي احمد بن ابراهيم بن هشام الدمشقي حدثنا ابن صفوان عن القاسم بن يزيد بن عوانة عن إبن حرب عن ابن عجلان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال شيع أمير المؤمنين جنازة فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوا فقال مم تبكون أما والله لو عاينوا ما

---

(١) وقد قال الشريف المرتضى: وقع الي من خطب أمير المؤمنين (ع) أربعمائة خطبة؛ وفصول من كلامه. فمن ذلك ما ورد المواعظ والوقائع.

عاين لأذهلهم ذلك عن البكاء عليه أما والله ان له اليهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد. ثم قام فيهم فقال أوصيكم بتقوى الله عباد الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقت الأجال وجعل لكم اسماعا تعي ما عناها وأفئدة تفهم ما دهاها ان الله لم يخلقكم عبثاً ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل اكرمكم بالنعم السوابغ والآلاء السوابغ فاتقوا الله عباد الله وحثوا في الطلب وبادروا بالعمل قبل الندم قبل هادم اللذات ومفرق الجماعات فان الدنيا لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجايعها غرور حايل وسناد مايل ونعيم زايل وجيد عاطل فاتعظوا عباد الله بالعبر وازدجروا بالنذر فكأن قد علقتكم مخاليب المنية واحاطت بكم البلية ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخ الصور وبعثرة القبور وسياق الحشر والموقف للحساب في النشور وبرز الخلايق للمبدئ المعيد وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد ونوقش على القليل والكثير والفتيل والنقير واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب[1] فارتجت لذلك اليوم البلاد وخشع العباد ونادى المنادي من مكان قريب وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها فاتقوا الله عباد الله بقية من وجل وحذر وابصر وازدجر فاحتث طلباً ونجا هرباً وقدم للمعاد واستظهر من الزاد وكفى بالله منتقمًا وبالكتاب خصيمًا وبالجنة ثواباً ونعيمًا، وفي رواية وكفى بالجنة ثواباً وبالنار وبالا وعقاباً واستغفر الله لي ولكم.

قلت: وقعت الينا الفاظ من هذا الكتاب حذفنا اسنادها طلباً للاختصار الذي هو فصل الخطاب.

فمنها قوله (ع): الدنيا والاخرى دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان الجنازة اذا حملت قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم فقدموا بعضاً يكن لكم ولا تؤخروا كلا يكن عليكم.

وقال (ع): اذا رأيتم الله تعالى يتابع نعمه عليكم وأنتم تعصوه فاحذروه.

وقال (ع) من كفارة الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفس عن المكروب.

---

(١) وفي نسخة: (وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون).

وقال (ع): اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى.

وقال (ع): ومن أطال الأمل اساء العمل وسيئة تسؤك خير من حسنة تسرك وتعجبك.

وقال (ع): الدهر يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الأمنية من ظفر به تعب ومن فاته نصب.

وقال (ع): عجيب لمن يقنط ومعه الاستغفار.

وقال (ع): كان في الأرض أمانان فرفع أحدهما وهو رسول الله (ص) فتمسكوا بالآخر وهو الاستغفار قال الله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم[1] وأنت فيهم﴾ الآية.

وقال (ع): من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

وقال (ع): كم من مستدرج بالأحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وشتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل يذهب مؤنته ويبقى أجره.

وقال (ع): استنزلوا الرزق بالصدقة فمن أيقن بالخلف جاد بالعطاء.

وقال (ع): من اعطي أربعاً لم يحرم أربعاً من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة قال ومصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى في الدعاء ﴿ادعوني استجب لكم﴾ وقال في التوبة ﴿انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ الآية. وقال في الاستغفار ﴿ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله﴾ الآية. وقال في الشكر ﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾.

وقال (ع): الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معاني أولها الندم على الفعل، والثاني العزم على الترك وانْ لا يعود. والثالث تأدية الحقوق ليلقى الله تعالى وليس عليه تبعة. والرابع ان يعهد الى كل فريضة فيؤدي حقها والخامس ان يذيب

---

(١) ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

اللحم الذي نبت من السحت بالهموم والأحزان حتى يكتسي لحمًا آخر من الحلال. والسادس ان يذيق جسمه الم الطاعة كما اذاقه لذة المعصية.

وقال (ع): لا تكن ممن يريد الأخرة بعمل الدنيا أو بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين ان أعطي منها القليل لم يشبع وان ملك الكثير لم يقنع يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض العاصين وهو أحدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الله منه تعجبه نفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان أصابه بلاء دعى مضطراً وان ناله رخاء اعترض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ان استغنى بطر وان افتقر قنط يقدم المعصية ويسوف بالتوبة يصف العبر ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو من القول مكثر ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنمًا يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معاصي غيره ما يستقله من معاصي نفسه ويستكثر من طاعته ما يحتقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللغو مع الأغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يرشد غيره ويغوي نفسه أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم.

وقال (ع): من أصبح على الدنيا حريصاً[1] اصبح لقضاء الله ساخطاً ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به الى مخلوق مثله فانما يشكو ربه ومن أتى غنياً يتواضع لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه قالوا ومعناه ان المرء انسان بجسده وقلبه ولسانه والتواضع يحتاج فيه الى استعمال الجسد واللسان فان اضاف الى ذلك القلب ذهب جميع دينه.

وقال (ع): ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الاحرار.

وقال (ع): احذروا نفاذ النعم فما كل شارد بمردود.

وقال (ع): أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك.

وقال (ع): لو لم يتواعد الله عباده على معصية لكان الواجب ان لا يعصى شكراً لنعمه ومن ها هنا اخذ القايل وقيل انها لأمير المؤمنين:

---

(١) حزيناً أصبح.. الخ.

هب البعث لم تأتنا رسله وجاحة النار لم تضرم
اليس من الواجب المستحق حياء العباد من المنعم

وقال (ع): ما أكثر العبر وما أقل المعتبر.

وقالْ (ع): أقل ما يلزمك لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه.

وقال (ع): المدة وان طالت قصيرة والماضي للمقيم عبرة والميت للحي عظة وليس لأمس عودة ولا أنت من غد على ثقة وكل لكل مفارق وبه لاحق فاستعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم واصبروا على عمل لا غناء لكم عن ثوابه وارجعوا عن عمل لا صبر لكم على عقابه فان الصبر على الطاعة أهون من الصبر على العذاب وانما أنتم في نفس معدود وأمل ممدود واجل محدود ولا بد للأجل أن يتناهى وللنفس ان يحصى وللأمل ان يطوى وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون.

وقال (ع): اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم.

وقال (ع): كم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه مما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أصابه حراماً واحتمل منه آثاماً ورب مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط في أول يومه قامت بواكيه في آخره ومن ها هنا اخذ القايل:

يا راقد الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
أفنى القرون التي كانت مسلطة من الحوادث اقبالا وادبارا
يا من يكابد دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح تحت الارض سيارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الارض نفاعاً وضرارا

وقال (ع): الزهد كله في كلمتين من القرآن قال الله تعالى ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد.

وقال (ع): أفضل الزهد اخفاؤه.

وقال (ع): احذروا من الله ما احذركم من نفسه واخشوه خشية يظهر أثرها عليكم واعملوا بغير رياء ولا سمعة فان من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له.

وقال (ع): يوشك ان يفقد الناس ثلاثاً درهماً حلالا ولساناً صادقاً واخاً يستراح اليه.

قال (ع): استعدوا للموت فقد اظلكم غمامه وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وانتهوا فما بينكم وبين الجنة والنار سوى الموت وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجدير بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان لحري بسرعة الاوبة فرحم الله عبداً سمع حكمة فوعى ودعي الى الاخلاص أو الى خلاص نفسه فدنى واستقام على الطريقة فنجا واحب ربه وخاف ذنبه وقدم صالحاً وعمل خالصاً واكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً رمى غرضاً واحرز عوضاً كابد هواه وكذب مناه وجعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة عند وفاته ركب الطريق الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل.

وقال (ع): في صفة الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن سعى اليها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر اليها عمته.

وقال (ع): من لم ينفعه اليسير لم ينفعه الكثير.

وقال (ع): عليك بمداراة الناس وإكرام العلماء والصفح عن زلات الاخوان فقد ادبك سيد الأولين والآخرين بقوله (ص): اعف عمن ظلمك وصل من قطعك، واعط من حرمك.

وقال (ع)، وقد مر على المقابر: السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم خلف وإنا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون اما المساكن فسكنت وأما الازواج فنكحت وأما الاموال فقسمت هذا خبر ما عندنا فليت شعري ما خبر ما عندكم ثم قال أما انهم لو نطقوا لقالوا وجدنا التقوى خير زاد.

وقال كميل بن زياد: سمع أمير المؤمنين (ع) منشداً ينشد أبيات لأسود بن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد أياد

فقال: هلا قال ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ الآية.

وقال (ع): العجب ممن يدعو ويستبطىء الاجابة وقد سد طريقها بالمعاصي.

وقال (ع): في صفة التائبين غرسوا أشجار ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم فأثمرت لهم السلامة واعقبتهم الرضا والكرامة.

فصـــل

ومن كلامه (ع)

في صفة الصحابة والاولياء

قال القرشي بالاسناد المتقدم حدثنا علي بن الجعد أنبأنا عمرو بن شمر عن السدي عن أبي اراكة قال: صليت مع علي (ع) صلاة الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كأنّ عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح أو رمحين قلب يده وقال لقد رأيت أصحاب محمد (ص) فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون اليوم شعثاً غبراً صفراً بين اعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم ريح عاصف وهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رئي مفتراً حتى ضربه اللعين ابن ملجم.

وقال أبو نعيم في كتاب (الحلية): وقد تقدم اسناده حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا عباد عن ابن فضيل عن الحسن البصري قال قال علي (ع) طوبى لمن عرف الناس ولم يعرفه الناس أولئك مصابيح الدجى وأئمة الهدى بهم يكشف الله عن هذه الأمة كل فتنة أو مظلمة أولئك سيدخلهم الله في رحمة منه وفضل ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين، المذياع الذي لا يكتم السر.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: قال أمير المؤمنين يوما وقد وصف المؤمن فقال حزنه في قلبه وبشره في وجهه أوسع الناس صدراً وأرفعهم قدراً يكره الرفعة ولا يحب السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول بما ينفعه. شكور صبور قلبه بذكر الله معمور سهل الخليقة لين العريكة.

وفي رواية: لسان المؤمن من وراء قلبه وقلب المنافق من وراء لسانه لأن المؤمن اذا أراد ان يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيراً أبداه وان كان شراً واراه، والمنافق يتكلم بما جاء على لسانه لا يدري ماذا له ولا ماذا عليه.

وقد سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله وهو تقي اللسان من اعراض المسلمين نظيف اليد من أموالهم فليفعل.

وفي رواية مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول أما بعد فان الله خلق الخلايق حين خلقهم وهو غني عن طاعتهم لا يتضرر بمعصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا ينفعه طاعة من أطاعه واتقاه.

فالمتقون في هذه الدار هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد وعيشهم التواضع غضوا أبصارهم عن المحارم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع ولولا الرجاء لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى جزيل الثواب وخوفاً من وبيل العقاب وعظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها منعمون، وفي النار كمن رآها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة صبروا أياماً قصيرة فأعقبهم راحة طويلة؛ اما الليل فصافوا اقدامهم تالين أعز الكلام واحسن النظام يحبرونه تحبيراً ويرتلونه ترتيلا فاذا مروا بآية فيها ذكر تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم شوقاً وهلعاً واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها بمسامع قلوبهم ومثلوا زفير جهنم في آذانهم فهم مفترشون جباههم وركبهم وأطراف أقدامهم يجأرون الى الله في فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون باعمالهم بالقليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم يمهدون أو مهتمون من أعمالهم مشفقون اذا زكى أحدهم خاف أشد الخوف يقول أنا أعلم بنفسي من غيري، اللهم فلا تواخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ومن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين وورعاً في يقين وحزماً في علم وعزماً في حكم وقصداً في غناء وخشوعاً في عبادة وتحملا في فاقة وصبراً في شدة وطلباً للحلال وتحرجاً عن الطمع يعمل الأعمال الصالحة على وجل ويجتهد في إصلاح ذات البين يمسي وهمته الشكر ويصبح وشغله الفكر الخير منه مأمول والشر منه مأمون يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه وفي الزلازل صبور وفي المكارم وقور وفي الرضا شكور لا ينابز بالالقاب ولا يعرف العاب ولا يؤذي الجار ولا يشمت

بالمصايب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان بغي عليه صبر ليكون الله سبحانه هو المنتقم له؛ نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لآخرته ويزهد في الدنيا شوقاً الى مولاه.

فصــــل

ومن كلامه (ع) في صفة الفقيه

قال أبو نعيم: حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكيم عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي عن شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن أبي اسحاق عن عاصم ابن ضمرة عن أمير المؤمنين قال ألا ان الفقيه كل الفقيه هو الذي لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذابه ولا يرخص لهم في معصية ولا يدع القرآن رغبة في غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في قرائة لا تدبر فيها.

فصــــل

وسأله رجل عن المروة، فقال: اطعام الطعام وتعاهد الاخوان وكف الأذى عن الجيران ثم قرأ ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية.

فصل ومن وصاياه (ع)

أخبرنا: عبد الوهاب بن عبد الله المقري، أنبأنا محمد بن ناصر أنبأنا عبد القادر ابن يوسف أنبأنا البرمكي أنبأنا اسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي قال حدثني جدي الحسن بن سفيان أنبأنا حرملة بن يحيى عن ابن وهب حدثنا سفيان عن السري بن اسماعيل عن عامر الشعبي قال قال (ع) يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات فلو ركبتم المطي حتى تنضوها ما اصبتم مثلها لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي اذا لم يعلم ان يتعلم ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم؛ واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له.

وفي رواية: أوحى الله الى نبي من الانبياء انه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما احب فيتحولون الى ما أكره الا تحولت لهم مما يحبون الى ما يكرهون وليس من أهل دار ولا قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون الى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون الى ما يحبون.

﴿ذكر وصيته (ع) لكميل بن زياد﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي، أنبأنا علي بن محمد بن عمرو أنبأنا رزق الله ابن عبدالوهاب أنبأنا احمد بن علي بن الباد أنبأنا حبيب بن الحسن القزاز أنبأنا موسى ابن اسحاق الأنصاري حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد حدثنا أبو حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن محمد عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي (ع) فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما اصحرنا جلس فتنفس العصداء ثم قال: يا كميل ابن زياد ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على الانفاق والمال يزول ومحبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجيل الاحدوثة بعد مماته المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق العلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ثم قال آه ان ها هنا علما جما لو اصبت له حملة واشار بيده الى صدره ثم قال: اللهم بلى قد اصبت أمينا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين بالدنيا يستظهر بنعم الله على عباده ويحجبه على كتابه أو معانداً لأهل الحق ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك بل منهوما باللذات سلس القياد للشهوات مغرى بجمع الاموال والادخار ليس من الدين في شيء أقرب شبها بالبهائم السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله على عباده أولئك هم الاقلون عدداً الأعلون عند الله قدراً بهم يحفظ الله دينه حتى يؤدونه الى نظرائهم ويزرعونه في قلوب أشباههم.

وفي رواية: بهم يحفظ الله حججه هجم بهم العلم على حقيقة فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله في ارضه ودعاته الى دينه آه ثم آه واشوقاه الى رؤيتهم واستغفر الله لي ولك اذا شئت فقم.

﴿وصيته لبنيه (ع)﴾

وبه قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي حدثنا ابراهيم بن سعيد عن الشعبي عن ضرار

ابن ضمرة قال أوصى أمير المؤمنين بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس بالمعروف معاشرة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وأنشد:

يـريـد بـذاكم ان يهشـوا لـطاعتي وان يكثروا بعدي الدعاء على قبري
وان يمنحـوني في المجالس ودهم وان كنت عنهم غائبا احسنوا ذكري

وقال ابن عباس: قال له رجل أوصني فقال له لا تحدث نفسك بفقر ولا بطول عمر.

فصـــل

ومن كلامه (ع) في أحاديث رسول الله (ص)، وبه قال الشعبي حدثني من سمع عليا (ع) وقد سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث فقال: الناس أربعة منافق مظهر للإيمان ومضيع للإسلام وقلبه يأبى الايمان لا يتأثم ولا يتحرج كذب على رسول الله (ص) متعمداً فلو علم الناس حاله لما اخذوا عنه ولكنهم قالوا صاحب رسول الله فاخذوا بقوله وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصف ثم انهم عاشوا بعده فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس فاكلوا بهم الدنيا وانما الناس تبع للملوك إلا من عصمه الله عز وجل، ورجل سمع رسول الله (ص) يقول قولا أو رآه يفعل فعلا ثم غاب عنه ونسخ ذلك القول والفعل ولم يعلم فلو علم انه نسخ[1] ما حد ثوابه، ورجل سمع رسول الله (ص) يقول قولا فوهم به فلو علم انه وهم فيه لما حدث عنه ولا عمل به، ورجل لم يكذب ولم يغب حدث بما سمع وعمل به فاما الاول فلا اعتبار بروايته لا يحل الأخذ عنه واما الباقون فينزعون الى غاية ويرجعون الى نهاية ويستقون من قليب واحد وكلامهم اشرق بنور النبوة ضياؤه ومن الشجرة المباركة اقتبست ناره، وهذه رواية الشعبي.

وفي رواية كميل بن زياد عنه انه قال: ان في أيدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله (ص) في عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده

---

(١) ولو علم الناس أنه نسخ لما نقلوا عنه.

من النار وانما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس أذكرهم.

قلت: وقد روى عن رسول الله (ص) هذا الحديث وهو قوله من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار مائة وعشرون من الصحابة، ذكرتهم في كتابي المترجم بحق اليقين واما طريق علي (ع) فاخبرنا غير واحد عن عبد الاول الصوفي أنبأنا ابن المظفر الداودي أنبانا ابن أعين السرخسي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن خراش قال سمعت عليا (ع) يقول سمعت النبي (ص) يقول من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار أخرجاه في الصحيحين وأخرجه أحمد في المسند والجماعة وقد اقتضى هذا الحديث ذكر مسانيده.

اسند عن رسول الله (ص) الكثير والذي اخرج له احمد في مسنده مائتي حديث وعشرة أحاديث وقال ابن مندة روى خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثا وأخرج له في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا على عشرين وانفرد البخاري بتسعة عشر ومسلم بخمسة، وفي رواة الحديث من اسمه علي بن أبي طالب ثمانية وكلهم رواة الحديث وكانوا علماء احدهم علي بن أبي طالب بصري روى عن حماد بن سلمة وغيره، والثاني يعرف بالدهان روى عن العدوي. والثالث جرجاني روى عنه أبو سهل القطان. والرابع استرابادي اخرج عنه أبو بكر الاسماعيلي. والخامس تنوخي روى عنه أبو بكر بن مجاهد. والسادس بكر اباذي- وهي محلة من بلد جرجان- روى عن أبي احمد بن عدي الحافظ وغيره. والسابع روى عن أبي علي بن شاذان وهو آخر من روى عن ابن عرفة. والثامن قاضي القضاة الزينبي ببغداد روى عن أبيه وعمه طراد الزيني وابن العلاف وابن النظر وغيرهم.

فصل في قول عمر بن الخطاب

أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وما ورد في هذا المعنى.

قال احمد في (الفضائل) حدثنا عبد الله القواريري حدثنا مؤمل عن يحيى بن سعيد عن أبي المسيب قال كان عمر بن الخطاب يقول أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن.

قال ابن المسيب: ولهذا القول سبب وهو ان ملك الروم كتب الى عمر يسأله عن

مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جوابا فعرضها على أمير المؤمنين فاجاب عنها في أسرع وقت باحسن جواب.

﴿ذكر المسائل﴾

قال ابن المسيب: كتب ملك الروم الى عمر (رض) من قيصر ملك بني الاصفر الى عمر خليفة المسلمين أما بعد فاني مسائلك عن مسائل فاخبرني عنها ماشيءلم يخلقه الله؟ وماشيءلا يعلمه الله؟ وماشيءليس عند الله؟ وماشيءكله فم؟ وماشيء كله رجل؟وماشيء كلهعين؟وما شيء كله جناح؟ وعن رجل لاعشيرة له؟ وعن اربعة لم تحمل بهم رحم؟ وعنشيءيتنفس وليس فيه روح وعن صوت الناقوس ماذا يقول؟ وعن ظاعن ظعن مرة واحدة؟ وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟ وعن أهل الجنة فانهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا؟ وعن موائد الجنة فان عليها القصاع في كل قصعة الوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا، وعن جارية تخرج من تفاحة في الجنة ولا ينقص منهاشيء؟وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟ وعن مفاتيح الجنة ما هي؟.

فقرأ علي (ع) الكتاب وكتب في الحال خلفه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد: فقد وقفت على كتابك أيها الملك وأنا اجيبك بعون الله وقوته وبركته وبركة نبينا محمد (ص) أماالشيءالذي لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنه كلامه وصفته وكذا كتب الله المنزلة والحق سبحانه قديم وكذا صفاته. وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم له ولد وصاحبة وشريك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يلد ولم يولد. وأما الذي ليس عند الله فالظلم وما ربك بظلام للعبيد. وأما الذي كله فم فالنار تأكل ما يلقى فيها. وأما الذي كله رجل فالماء. وأما الذي كله عين فالشمس. وأما الذي كله جناح فالريح. وأما الذي لا عشيرة له فآدم (ع). وأما الذي لم يحمل بهم رحم فعصا موسى وكبش ابراهيم وآدم وحواء وأما الذي يتنفس من غير روح فالصبح لقوله تعالى ﴿والصبح اذا تنفس﴾ وأما الناقوس فانه يقول: طقاً طقاً حقاً حقاً مهلا مهلا عدلا عدلا صدقاً صدقاً ان الدنيا قد غرتنا واستهوتنا، تمضي الدنيا قرناً قرنا،

ما من يوم يمضي عنا، إلا أوهى منا ركنا، ان الموتى قد أخبرنا انا نرحل فاستوطنا.
وأما الظاعن فطور سيناء لما عصت بنوا اسرائيل وكان بينه وبين الارض المقدسة أيام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم فذلك قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم وقال لبني اسرائيل إن لم تؤمنوا وإلا أوقعته عليكم فلما تابوا رده الى مكانه. وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة فارض البحر لما فلقه الله لموسى (ع) وقام الماء أمثال الجبال ويبست الارض بطلوع الشمس عليها ثم عاد ماء البحر الى مكانه وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام فشجرة طوبى وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة اليها ينتهي أعمال بني آدم وهي من أشجار الجنة ليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها ومثلها في الدنيا الشمس أصلها واحد وضوئها في كل مكان. وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى ﴿وانبتنا عليه شجرة من يقطين﴾.
وأما غذاء أهل الجنة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أمه فانه يتغذى من سرتها ولا يبول ولا يتغوط. وأما الالوان في القصعة الواحدة فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض واصفر ولا يختلطان. وأما الجارية التي تخرج من التفاحة فمثلها في الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغير وأما الجارية التي تكون بين اثنين فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك وهي لي في الآخرة دونك لانها في الجنة وأنت لا تدخلها. وأما مفاتيح الجنة فلا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال ابن المسيب: فلما قرأ قيصر الكتاب قال ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة ثم سأل عن المجيب فقيل له هذا جواب ابن عم محمد (ص) فكتب اليه سلام عليك أما بعد فقد وقفت على جوابك وعلمت انك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأنت موصوف بالشجاعة والعلم واوثران تكشف لي عن مذهبكم والروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ فكتب اليه أمير المؤمنين أما بعد فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها وقدرة منشئها، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها في ملكه فهي عنده لك سبب وله عندك وديعة فاذا اخذت مالك عنده اخذ ما له عندك والسلام.

ومن ها هنا اخذ ابن سينا فقال:

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقـاء ذات تـعـزز وتـرفـع

الأبيات[1].

وقال احمد في (الفضائل) والمسند أيضاً: حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطا بن السايب عن أبي ظبيان ان عمر (رض) أتي بامرأة قد زنت فامر برجمها فذهبوا ليرجموها فرآهم علي (ع) في الطريق فقال ما شان هذه فاخبروه فخلى سبيلها ثم جاء الى عمر فقال له لم رددتها فقال لأنها معتوهة آل فلان وقد قال رسول الله (ص) رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ والصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق فقال عمر لولا علي لهلك عمر.

وفي رواية: أتي عمر بامرأة نكحت في عدتها ففرق بينها وجعل صداقها في بيت المال وقال لا يجتمعان ابداً فبلغ علياً (ع) فقال لها عليه المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما فاذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب فبلغ عمر (رض) فقال لولا علي لهلك عمر.

وفي رواية أتي عمر بامرأة وضعت لستة أشهر فامر برجمها فقال علي (ع) ليس عليها رجم لأن الله تعالى يقول والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فخلى عنها وقال اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب.

وفي رواية: ان رجلين من قريش أودعا امرأة مائة دينار وقالا لها لا تدفعيها الى أحدنا حتى يحضر الأخر وغابا ثم جاء أحدهما فقال ان صاحبي قد هلك وأريد المال فدفعته اليه ثم جاء الأخر فطلبه فقالت أخذه صاحبك فقال ما كان الشرط كذا فارتفعا الى عمر فقال للرجل الك بينة قال هي فقال عمر ما أراك إلا ضامنة فقالت انشدك الله إرفعنا الى علي بن أبي طالب فرفعهما اليه فقصت المرأة القصة عليه فقال للرجل الست القائل لا تسلميها الى أحدنا دون صاحبه فقال بلى فقال مالك عندنا احضر صاحبك وخذ المال فانقطع الرجل وكان محتالا فبلغ ذلك عمر فقال لا أبقاني

---

(1).

أنفت فـما ألفت فلما آنست كـرهت مفـارقـة الـديـار البلقـع

واظنهـا نسيت عهـوداً بـالحمى ومنـازلا بفـراقهـا لم تقنـع

تبكي اذا ذكـرت عهـوداً بـالحمى بمـدامـع تهمـل ولم تتقـطع

الله بعد ابن أبي طالب؛ وفي هذا المعنى يقول الصاحب ابن عباد:

هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة   لولا عليّ هلكنا في فتاوينا

وهذا البيت من قصيدة طويلة أولها:

حب النبي وأهل البيت معتمدي   إذا الخطوب اساءت رأيها فينا
أيا ابن عم رسول الله أفضل من   ساد الانام وساس الهاشميينا
يا ندرة الدين يا فرد الزمان اصخ   لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
هل مثل سبقك في الإسلام لو عرفوا   وهذه الخصلة الغراء تكفينا
هل مثل علمك ان زلوا وان وهنوا   وقد هديت كما أصبحت تهدينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه   لفظاً ومعنى وتأويلا وتبيينا
هل مثل صبرك إذ خانوا او إذ فشلواحتى جرى ما جرى في يوم صفينا
هل مثل بذلك للعاني الأسيرو   للطفل الصغير وقد أعطيت مسكينا
يا رب سهل زياراتي مشاهدهم   فان روحي تهوى ذلك الطينا
يا رب صير حياتي في محبتهم   ومحشري معهم آمين آمينا

﴿قصة دار شريح القاضي﴾

حكى الشعبي قال: اشترى شريح داراً بثمانين ديناراً فبلغ ذلك علياً (ع) فاستدعاه فقال له يا بن الحارث بلغني انك اشتريت داراً بكذا وكذا واشهدت على نفسك شهوداً وكتبت كتاباً فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فنظر اليه نظر المغضب ثم قال يا شريح إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك الى قرارك خالصاً فاحذر أن تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذن خسرت الدنيا والآخرة أما انك لو أتيتني عند شرائك اياها لكتبت لك كتاباً فلم ترغب في شرائها ولا بدرهم فقال وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين فقال كنت أكتب: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت ازعج بالرحيل اشترى منه داراً من دور الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود أربعة فالحد الأول ينتهي الى دواعي الآفات. والحد الثاني الى نوادب المصيبات. والثالث الى الهوى المردي. والرابع الى الشيطان الموذي وفيه يشرع بابها وتجتمع اسبابها اشترى هذا المغرور بالأمل من هذا المرجع بالأجل

هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في الطّلب والضراعة فما ادرك المشتري من درك فعلي مبلبل اجسام الملوك والأكاسرة وسالب نفوس الفراعنة والجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وملوك حمير ومن جمع المال الى المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف وادخر ونظر بزعمه للولد ووعد وأوعد اشخصوا والله جميعاً الى موقف العرض والحساب، والثواب، والعقاب؛ وسيقع الأمر بفصل القضاء ويقتص للجماء من القرناء وخسر هنالك المبطلون وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون شهد على ذلك التواني ابن الفاقة والغرور ابن الأمل والحرص ابن الرغبة واللهو ابن اللعب ومن اخلد الى محل الثوى ومال الى الدنيا ورغب عن الأخرى.

فصــل
في ذكر قصة حدثت له (ع)
﴿مع عبد الله بن عباس (رض)﴾

أخبرنا أبو الحسن بن النجار المقري قال: أنبأنا محمد بن أبي منصور أنبأنا احمد بن علي بن سوار أنبأنا احمد بن عبد الواحد بن محمد الحريري أنبأنا احمد بن محمد الجندي أنبأنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي حدثنا ابراهيم بن سعد الجوهري حدثنا المأمون عبد الله بن هارون عن أبيه هارون عن أبيه محمد المهدي عن أبيه أبي جعفر المنصور عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس قال ما انتفعت بكلام احد بعد رسول الله (ص) كانتفاعي بكلام كتب به أمير المؤمنين كتب إليّ سلام عليك أما بعد: فان المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما فاتك من الدنيا فلا تأسفن عليه وليكن همك فيما بعد الموت والسلام.

وقد روى السدي هذا عن أشياخه وقال: عقيبه كان الشيطان قد نزغ بين ابن عباس وبين علي (ع) مدة ثم عاد الى موالاته.

قال: وسببه ان أمير المؤمنين ولى ابن عباس البصرة فمر بأبي الأسود الدئلي فقال له لو كنت من البهائم كنت جملا ولو كنت راعياً ما بلغت به المرعى.

فكتب أبو الأسود الى علي (ع)، أما بعد: فان الله جعلك والياً مؤتمناً وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعية لا تأكل أموالهم ولا ترتشي في الحكم وان ابن

عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله في ذلك.

فكتب أمير المؤمنين الى أبي الأسود أما بعد: فمثلك من نصح الامام والامة فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما فيه صلاح للأمة فانت بذلك جدير ثم كتب الى ابن عباس أما بعد فأعلمني ما اخذت من الخراج والجزية وفي أي شيء وضعته.

فكتب اليه ابن عباس: ابعث الى عملك من أحببت فاني ظاعن والسلام.

ثم دعا ابن عباس اخواله من بني هلال بن عامر؛ فجاءه الضحاك بن عبيد الله وعبد الله بن زريق في جماعة واستدعى قيساً فجاء فاخذ ما كان في بيت المال من الأموال ولحق بالطائف فعارضه علي (ع) بالخيل ففاته الى مكة وكان الذي عارضه بكر وجماعة من البطون فاقتتلوا قتالا كثيراً وجرح من الفريقين جماعة ثم أفلت ابن عباس في عشرين من أخواله الى الحجاز فنزل مكة.

قال هشام: كان الذي أخذه من بيت المال أربعمائة الف درهم وقيل سبعمائة الف ولما مضى الى مكة كتب اليه أمير المؤمنين سلام عليك أما بعد فاني أشركتك في اماني ولم يكن أحد من أهل بيتي اوثق في نفسي منك لمؤازرتي واداء الامانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد حرب والعدو قد كلب وامانة الناس قد خربت والأمة قد افتتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن بمفارقته مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت عليه من مال الأمة اختطاف الذئب فاردة المعزى اما توقن بالمعاد ولا تخاف رب العباد اما يكبر عليك انك تأكل الحرام وتنكح الحرام وتشتري الاماء باموال الارامل والايتام اردد الى المسلمين أموالهم ووالله لئن لم تفعل لاعذرن الله فيك فان الحسن والحسين لو فعلا ما فعلت لما كان لهما عندي هوادة والسلام.

فكتب اليه ابن عباس: حقي في بيت المال اكثر مما اخذت منه، فكتب اليه علي (ع) العجب العجب من تزيين نفسك لك انك أخذت أقل مما لك وهل أنت إلا رجل من المسلمين وقد علمت بسوابق أهل بدر وما كانوا يأخذون غير ما فرض لهم وكفى بك انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري من مولدات الطايف ومكة والمدينة ما تقع عليه عينك وتميل اليه نفسك تعطي فيهنّ مال غيرك واني اقسم بالله ما أحب ان ما أخذت من أموالهم حلالا ادعه بعدي ميراثاً فكأن قد بلغت المدى

وعرضت عليك اعمالك غداً بالمحل الأعلى الذي يتمنى فيه المضيع للتوبة الخلاص ولات حين مناص.

فكتب اليه ابن عباس: لان القى الله بكل ما على ظهر الارض وبطنها أحب إلي من ان القاه بدم امرىء مسلم.

فكتب اليه علي (ع): ان الدماء التي اشرت اليها قد خضتها الى ساقيك وبذلت في اراقتها جهدك ووضعت بأباحتها حظك وتقشعت عنها فتياك واذ لم تستح فافعل ما شئت قال أبو اراكة ثم ندم[1] ابن عباس واعتذر الى علي (ع) وقبل أمير المؤمنين عذره وقيل انه عاد الى الكوفة والصحيح انه لم يزل مقيمًا بمكة حتى استشهد علي (ع) في هذه السنة ولما قتل الحسين (ع) لم يزل ابن عباس يبكي عليه حتى ذهب بصره.

قال عكرمة: وسمع أقواماً يتناولون علياً (ع) فقال: ويحكم أتذكرون رجلا كان يسمع وطأ جبريل (ع) فوق بيته ولقد عاتب الله أصحاب رسوله في القرآن ولم يذكره إلا بخير.

فصل من كلامه في المحن

روى أبو أراكه قال: سمعت علياً (ع) يقول ان للمحن غايات تنتهي اليها فسبيل العاقل أن يقف عندها حتى ينقضي وقتها فان أعمال الحيلة في تقضيها زيادة فيها وقال علي (ع)[2] وقدسمع رجلا يذم الدنيا أيها الذام للدنيا وهو مغتر بغرورها يا ليت شعري متى استهوتك أم متى غرتك أم بمصارع آبائك في البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الدواء الاطباء لم ينتفع أحد منهم باشفاقك ولم يغن عنه اجتهادك ولم تدفع عنه بقوتك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكته ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وحصلوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد أذنت ببينها ونادت بفرقتها ونعت نفسها وأهلها

---

(١) وفي نسخة: ثم ندم ابن عباس وعاد الى مولاه أمير المؤمنين (ع) وجاء من مكة معتذراً اليه واخبره انه فرق الاموال في أهلها، والصحيح ان ابن عباس أقام بمكة حتى قتل أمير المؤمنين (ع).

(٢) وفي نسخة: قال الحسن (ع) سمع أبي رجلا.

فمثلت لهم ببلاياها الشرور وشوقهم الى دار السرور وذكرتهم بنعيمها طيب الحبور ذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم أهوال يوم القيامة وخوفتهم الطامة.

فصل ومن كلامه (ع) في القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين وقد سأله رجل عن القرآن فقال كتاب الله عليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والصراط المستقيم والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستعتب ولا يخلق على كثرة الرد أو الترداد من قال به صدق ومن عمل به لحق.

فصل ومن كلامه (ع)

فيما رواه السدي عنه، قيمة كل امرىء ما يحسنه، ومن ها هنا أخذ القائل:

قال علي بن أبي طالب ... وهو اللبيب العالم المتقن

كل امرىء قيمته عندنا ... وعند أهل الفضل ما يحسن

فصل وقد سمع طائفة من أصحابه يذمون
﴿أهل الشام أيام صفين﴾

إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو ذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ولو قلتم اللهم احقن دماءنا ودمائهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن اللغو من لهج به.

وقد ذكر أحمد في المسند طرفا من هذا فقال: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي (ع) وهو بالعراق فقيل له ألا تلعنهم؛ وفي رواية تلعنوهم فقال لا سمعت رسول الله (ص) يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب.

فصل ومن كلامه (ع) في التحذير من الظلم

ما رواه مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين يقول يوماً والله[1] لان أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجرّ في الأغلال مصفداً أحب الي من أن القى الله تعالى ظالماً لبعض العباد وغاصباًلشيء من حطام الدنيا وكيف اظلم أحداً، النفس تسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصي الله في نملة اسلبها شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة.

فصل ومن كلامه لما أخرج أبو ذر إلى الربذة

روى الشعبي عن أبي أراكة قال: لما نفي أبو ذر الى الربذة كتب اليه علي (ع) أما بعد يا أبا ذر فانك غضبت لله تعالى فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك لهم ما خافوك عليه واهرب منهم لما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غداً فلو أن السموات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً لا يوانسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل ولو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك.

فصل ومن كلامه (ع) في القدر

روى الشعبي عن ضرار بن ضمرة قال: قال علي (ع) الرضا بالمقدور امتثال

---

(١) في نهج البلاغة: هكذا روى هذه الخطبة، والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الاغلال مصفداً، أحب الي أن القى الله تعالى ظالماً لبعض العباد وغاصباًلشيء من الحطام وكيف أظلم احداً لنفس تسرع الى البلى نفولها ويطول في الثرى حلولها. والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعاً. ورأيت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كأنما وجوههم بالعظلم فعاودني مكرراً وكررني مؤكداً فاصغيت له سمعي فظن أنه ابيعه ديني واتبع قياده مفارقاً طريقتي فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكان يحترق من ميسمها. فقلت ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبة وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه يا عقيل أتئن من الاذى ولا أئن من لظى. واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة سنأتها كأنما عجنت بريق حية أو قيئها فقلت له وما هذه؟ أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك كله علينا محرمة. فقال لا ذاك ولا ذاك وانما هي هدية. فقلت له: هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمختبط أم ذو جنة أم تهجر فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصي الله تعالى في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين.

المأمور قال وقال (ع) ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبأ له القدر أو الدهر يوم سوء.

وروى الوالبي؛ عن ابن عباس قال: جاء الى أمير المؤمنين فسأله عن القدر فقال اخبرني عن القدر ما هو؟ قال طريق مظلم فلا تسلكوه فقال اخبرني عن القدر فقال سر الله فلا تفشه. فقال اخبرني عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه. ثم قال ايها السائل خلقك الله كما تشاء أو كما يشاء فقال كما يشاء فقال ايميتك كما تشاء أو كما يشاء فقال على ما يشاء فقال الك مشية فوق مشية الله أم لك مشية مع مشية الله أو لك مشية دون مشية الله فان قلت لك مشية فوق مشية الله فقد ادعيت الغلبة لله تعالى وان قلت لك مشية مع مشية الله فقد ادعيت الشركة وان قلت مشيتي دون مشيته فقد اكتفيت بمشيتك دون مشية الله. ثم قال له قل لا حول ولا قوة إلا بالله فقالها، ثم قال يا أمير المؤمنين علمني تفسيرها فقال لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته اعقلت عن الله قال نعم فقال لأصحابه الآن اسلم أخوكم قوموا اليه فصافحوه.

فصل ومن كلامه في التوحيد

روى عطية العوفي عن ابن عباس قال سأل رجل أمير المؤمنين فقال له: هل رأيت ربك فقال أنا اعبد من لا أرى، وفي رواية ما كنت لأعبد رباً لم أره فقال وكيف رأيته أو كيف تراه فقال لا تدركه العيون بمشاهدة العيان وانما تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الاشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين متكلم بغير رؤية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالجفا كبير لا ينعت بالجفاء بصير لا بحاسة رحيم لا برأفة أو برقة تعنو الوجوه لعظمته وتوجل القلوب من مخافته.

فصل ومن كتاب كتبه
الى بعض امراء جيشه
﴿في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة﴾

رواه الشعبي عن ابن عباس، سلام عليك أما بعد؛ فان عادت هذه الشرذمة الى الطاعة فذلك الذي أوثره وان تمادى بهم العصيان الى الشقاق فانهد بمن أطاعك الى

من عصاك واستعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من حضوره وعدمه خير من وجوده وقعوده اغنى من نهوضه.

فصل ومن كلامه (ع) في النجوم

روى عكرمة عن ابن عباس والشعبي عن أبي أراكة قال: لما انصرف أمير المؤمنين من الأنبار أو من الكوفة لقتال الخوارج بالنهروان كان معه مسافر بن عوف بن الأحمر وكان ينظر في النجوم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات من النهار قال ولم قال لانك ان سرت الساعة اصابك ومن معك بلاء وشدة وان سرت في الساعة الثالثة ظفرت فقال الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال الله تعالى لنبيه (ص) قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وسمعت رسول الله (ص) يقول من صدق منجما أو كاهناً فكأنما كذب بما أنزل على محمد. وفي رواية فقد كفر وسمعته يقول انما أخاف على امتي اثنين التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر ثم قال ما كان لمحمد (ص) منجم ولا للخلفاء بعده ثم قال له هل تعلم ما في بطن فرسي هذه فقال ان حسبت علمت فقال من صدقك بهذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ الآية وما كان محمد (ص) يدعي ما ادعيت علمه فمن صدقك في قولك كان كمن اتخذ من دون الله انداداً اللهم لا طائر إلا طائرك ولا خير إلا من عندك ولا إله غيرك ثم قال يا بن الأحمر نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها ثم أقبل على الناس وقال اياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، المنجم كافر والكافر في النار؛ يا بن الأحمر والله لئن بلغني انك بعدها تنظر في النجوم وتعمل فيها لأجلدنك جلد المفتري ولأخلدنك في الحبس ما بقيت ولأحرمنك العطاء ما عشت وكان لي سلطان.

ثم سار أمير المؤمنين في الساعة التي نهاه عن السير فيها فظفر بالخوارج وأبادهم ثم قال فتحنا بلاد كسرى وقيصر وتبع وحمير وجميع البلدان بغير قول منجم.

أيها الناس توكلوا على الله واتقوه واعتمدوا عليه ألا تروا انه لو سرنا في الساعة التي أشار اليها المنجم لقال الناس انما ظفرنا بقول المنجم فثقوا بالله واعلموا ان هذه النجوم مصابيح جعلت زينة ورجوماً للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

والمنجمون أضداد الرسل يكذبون بما جاؤا به من عند الله لا يرجعون الى قرآن ولا شرع، انما يتسترون بالإسلام ظاهراً ويستهزئون بالنبيين باطناًفهم الذين قال الله فيهم وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون.

وفي رواية ان ابن احمر قال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة قال ولم قال لأن القمر في العقرب فقال قمرنا أو قمرهم وهذا من احسن الأجوبة.

فصل

﴿ومن كلامه (ع): في قضاء الحوائج﴾

روى الحسن البصري قال قال علي (ع) لجرير بن عبد الله البجلي يا جرير ما من عبد أنعم الله عليه بنعمة إلا كثرت حوائج الناس اليه فمن قام فيها بما يجب الله تعالى عرض نعمته للبقاء ومن قصر فيها يجب الله فقد عرض نعمته للزوال.

فصل

﴿ومن كلامه (ع) في بر الوالدين﴾

روى الكميل بن زياد قال: كان أمير المؤمنين يحرض على بر الوالدين ويقول يا بني عليكم ببرهما فان في دعائهما الإنجبار والبوار.

قلت: وقد أخبرنا مشايخنا بطرف من هذا قرأت على شيخنا عبد الله بن احمد المقدسي بقاسيون ظاهر دمشق من كتابه المسمى (بالتوابين) وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستمائة قال أخبرنا أبو الحسين احمد بن حمزة السلمي أخبرنا أبو علي الحسن بن احمد المقري أنبأنا أبو نعيم الحافظ أنبأنا محمد بن حميد حدثنا عبد الله بن سعيد الرقي حدثنا يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جده قال حدثني الحسن بن علي (ع) قال بينا أنا ذات ليلة أطوف بالبيت مع أبي (ع) وقد هدأت الأصوات ونامت العيون إذ سمع هاتفاً يهتف بصوت شجي ويقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع الألم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... يدعوا وعينك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي ... يا من اليه أتى الحجاج في الحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالكرم

قال: الحسن فقال يا بني اما تسمع صوت النادب للذنبه المستقيل لربه الحقه فأتني به قال فلحقته وقلت أجب ابن عم رسول ا لله (ص) فقال سمعاً وطاعة، ثم جاء فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ما اسمك؟ قال منازل بن لاحق، قال من العرب أنت؟قال نعم قال وما شأنك وما قصتك؟ فبكى وقال: ما قصة من اسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه؛ قال اشرح حالك. قال كنت شاباً مقيًا على اللهو واللعب والطرب وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته فان لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد فكان كلما الح عليَّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب فالح علي يوماً فأوجعته ضربا فحلف ليأتين البيت الحرام فيتعلق بأستار الكعبة، ويدعو علي فخرج الى مكة وتعلق بأستار الكعبة ودعا عليَّ وقال:

يا من اليه أتى الحجاج قد قطعوا ... أرض التهامة من قرب ومن بعد

اني أتيتك يا من لا يخيب من ... يدعوه مبتهلا بالواحد الصمد

هذا منازل لا يرتد عن عققي ... فخذ بحقي يا رحمان من ولدي

وشل منه ـ بحول منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: والله ما استتم كلامه حتى نزل بي ما ترى ثم كشف عن شقه الأيمن فاذا هو يابس، قال فلم ازل اترضاه واخضع له واسأله العفو عني الى ان رق لي ووعدني أن يأتي المكان الذي دعا عليَّ فيه فيدعو لي هناك قال فحملته على ناقة عشراء وخرجت أقفوا أثره حتى اذا صرنا وادي الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة فرمت به بين أحجار فرضخت رأسه فمات فدفنته هناك وأقبلت آيساً وأعظم ما القاه اني لا أعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والده.

قال الحسن: فقال له أبي إبشر فقد أتاك الغوث، ثم صلى ركعتين وأمره فكشف عن شقه فدعا له مرات يردد الأدعية ويمسح بيده على شقه فعاد صحيحاً كما كان فكاد عقل الرجل ان يذهب فقال له أبي لولا انه سبق وعد أبيك بالدعاء لك لما دعوت لك، ثم قال: يا بُني احذروا دعاء الوالدين فان في دعائها النماء والانجبار والاستيصال والبوار.

فصـــل

ومن كلامه (ع) في قوس قزح

روى السدي عن أشياخه قال نظر يوماً أمير المؤمنين الى السماء فرأى قوس قزح فقال ما تقولون؟ فقالوا نقول انه قوس قزح فقال: لا تقولوا هكذا ولكن قولوا قوس الله وامان من الغرق.

قلت والعامة تقول قوس قذح بالذال المعجمة وهو غلط فاحش وانما سمي قوس قزح لأن الجبل الذي يأخذ منه الناس الجمار بالمزدلفة يقال له قزح نسب اليه لأنه أول ما رؤي في الجاهلية عليه.

فصـــل

في مناظرته لليهودي

روى الشعبي وابن المسيب قالا: جاء حبر من أحبار اليهود إلى علي (ع) فناظره فقطعه فقال له أنتم ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال له (ع) كذبت ويلك نحن ما اختلفنا فيه وانما اختلفنا عنه وانما أنتم ما جفت أرجلكم من ماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلهاً فأسلم اليهودي.

فصـــل

في حديث المرأة التي كان لها فرجان

روى الحسن البصري قال: تقدمت امرأة الى شريح القاضي فقالت اخلني فاخلاها فقالت أنا امرأة ولي فرج واحليل فقال من أين يخرج البول سابقاً؟ فقالت منهما جميعاً فقال لقد أخبرت بعجب فقالت وأعجب منه انه تزوجني ابن عمي واخذ مني خادماً فوطئتها فاولدتها فدهش شريح وقام فدخل على علي (ع) فاخبره فاستدعى بزوجها فسأله فاعترف فقال لامرأتين ادخلاها البيت وعدا أضلاعها ففعلتا فقال كم اضلاعها؟ فقالتا وجدنا في الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً وفي الايسر سبعة عشر فأمر بأخذ شعرها واعطاها حذاء وألحقها بالرجال فقيل له في ذلك فقال اخذت هذا من قصة حواء فان اضلاعها كانت سبعة عشر من كل جانب واضلاع الرجل تزيد

عليها بضلع فلهذا الحقتها بالرجال[1].

فصل

فقد ذكرنا ما وقع عليه اجتهادنا من اللؤلؤ المنثور في فنون العلوم فنذكر ما وصل الينا من الدر المنظوم فنقول: أخبرنا بما نسب الى أمير المؤمنين (ع) من الشعر جماعة منهم ابراهيم بن محمد العلوي وأبو القاسم الخطيب الموصلي وعمر بن صافي وغيرهم باسنادهم الى مشايخهم وذلك في فنون من ابكار الفضائل والعيون فمن ذلك قوله لما بارز الوليد بن عتبة يوم بدر وقتله:

الم تر ان الله أبلى رسوله ... بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما انزل الكفار دار مذلة ... فذاقوا هوانا من اسار ومن قتل
وامسى رسول الله قد عز نصره ... وكان رسول الله ارسل بالعدل
فجاء ببرهان من الله نير ... مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام بذاك وايقنوا ... فامسوا بحمد الله مجتمع الشمل
وانكر اقوام فزالت عقولهم ... وزادهم الرحمان خبلا على خبل
وامكن منهم يوم بدر رسوله ... وقوماً غضابى فعلهم احسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف جفونها ... وقد زينوها بالجلاء وبالصقل
فكم جدلوا من دائص ذي حمية ... صريعاً ومن شيخ كبير ومن كهل
تبيت عيون النايحات عليهم ... تجود بأسباب الرشاش وبالوبل
نوايح تنعى عتبة الغي وابنه ... وشيبة تنعاه وتبكي أبا جهل
وتنعى ابن جدعان وذا الرجل بعده ... مسبلة حرى مبينة الثكل
ترى منهم في بئر بدر عصابة ... ذووا نجدات في الحروب وفي المحل
فأضحوا لدى دار الجحيم قراره ... من الذل والاغلال في اسفل السفل

وقال في يوم احد لما قال الكفار قد ثأرنا محمداً:

الله ربي وهو الواحد الصمد ... فليس يشركه في حكمه احد

---

(١) وفي نسخة: فقال له شريح من اين أتى لك هذا؟ فقال أستنبطه من قصة آدم وحواء فإن ادم كان له من ناحية ثمانية عشر ضلعاً فخلقت حوا من ضلعه الايسر. فأضلاع الرجل تزيد على أضلاع المرأة بضلع فلذا الحقتها بالرجال.

هو الذي عرف الكفار كفرهم ... والمؤمنون سيجزيهم بما وعدوا
فان تكن جولة كانت لنا عظة ... فهل عسى ان يرى في غيها رشد
وينصر الله من والاه معتمداً ... ويمحق الكافرين الغتم إذ عندوا
فان نطقتم بفخر لا أبالكم ... ممن تضمن من اخواننا أجد
فان طلحة عاينناه منجدلا ... وللصوارم نار بيننا تقد
ومن قتلتم على ما كان من ذحل ... فانهم طابقوا خيراً وقد سعدوا
لهم جنان من الفردوس طيبة ... لا يعتريهم بها حر ولا برد
قوم وفوا لرسول الله واحتسبوا شم ... العرانين منهم حمزة الاسد
ليسوا كقتلاكم فالله أدخلهم نار ... الجحيم على أبوابها رصد

ولما قتل علي (ع) طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين يوم احد قال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد جاهدت في نصر احمد ... ومرضاة رب بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شيء غيره ... ورضوانه في جنة ونعيم
وكل امرء يسمو إذا الحرب شمرت ... وقامت على ساق بكل حليم
انمت ابن عبد الدار حتى صرعته ... بذي رونق يفري العظام صميم
وبادرته بالحزن وارفض جمعه ... عباديد من ذي فارط وكليم

ومن ذلك في القناعة:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فان ذلك بين الكاف والنون

وقال (ع) في المعنى:

اغن عن المخلوق بالخالق ... تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمان من فضله ... فليس غير الله من رازق
من ظن ان الناس يغنونه ... لم يك بالرحمان بالواثق
أو ظن ان الرزق في كفه ... زلت به النعلان من حالق

ومن المنسوب اليه في ذم الدنيا (ع):

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض | على الماء خانته فروج الاصابع

وقال (ع) في المعنى:

ما الدهر إلا يقظة ونوم | وليلة بينهما ويوم
يعيش قوم ويموت قوم | والدهر قاض ما عليه لوم

وقال (ع) في المعنى:

دنيا تحول بأهلها | في كل يوم مرتين
فغدوها لتجمع | ورواحها لشتات بين

ومن المنسوب اليه (ع):

ولو انا اذا متنا تركنا | لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا | ونسئل بعده عن كل شي

وقال (ع) في القناعة:

ومن البلاء وللبلاء علامة | أن لا ترى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها | والحر يشبع تارة ويجوع

وقال (ع) في المعنى:

صبر الفتى لفقره يجله | ويذله لوجهه يذله
والخبز للجائع ادم كله | والماء ان جف به يبله
وقطعة من حائط تظله | والموت يأتي بعد ذايته

من قوله (ع): (وتله للجبين):

ورأيت في كتاب (سر العالمين) للغزالي رحمه الله نسبها اليه (ع) وهي:

المرء في زمن الاقبال كالشجرة | وحولها الناس ما دامت بها الثمرة
حتى اذا ما عرت من حملها انصرفوا | عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا | دهراً عليها من الارياح والغبرة
قلت مروات أهل الارض كلهم | إلا الأقل فليس العشر من عشرة
لا تحمدن امرءاً حتى تجربه | فربما لم يوافق خبره خبره

وقال (ع) في القدر:

اذا عقد القضاء عليك عقداً ... فليس يحله إلا القضاء
فمالك قد اقمت بدار ذل ... وارض الله واسعة فضاء
تبلغ باليسير فكل شيء ... من الدنيا يكون له انقضاء

وقال (ع) في المعنى:

للناس حرص على الدنيا بتدبير ... وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل حين ما رزقوا ... لكنما رزقوها بالمقادير
لو كان عن قوة أو عن مغالطة ... طار البزاة بأرزاق العصافير

ومما يضاف الى هذه الابيات:

ولقمة بجريش الملح آكلها ... أحب من لقمة تحشى بزنبور
كم لقمة جلبت حتفاً لصاحبها ... كحبة الفخ دقت عنق عصفور

وقال (ع) في المعنى:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته ... واخو الجهالة متعب محزون
يسعى القوى فلا ينال بسعيه ... حظاً ويدرك عاجز موهون

وقال في فضل العلم (ع):

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
وان يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم انهم ... الى الهدى لمن استهدى ادلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال (ع):

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أوردى ... حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... اذا ما المرء ما شاه
وللشيء على الشيء ... علامات وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال (ع) في وفاة رسول الله (ص):

ألا طرق الناعي بليل فراعني وأرقني لما استقل مناديا
فقلت له لما رأيت الذي أتى أغير رسول الله إن كنت ناعياً
فحقق ما أشفقت منه ولم يبل وكان خليلي عدتي ورجائيا
فوالله ما أنساك أحمد ما حدت بي العيس في أرض وجاوزت واديا
ليبك رسول الله جيران طيبة ويبك على الإسلام من كان باكيا

وقال الشعبي: بلغني أن أمير المؤمنين وقف على قبر رسول الله (ص) وقال ان الجزع ليقبح إلا عليك وان الصبر ليجمل إلا عنك ثم قال:

ما فاض دمعي عند نازلة إلا جعلتك للبكا سببا
واذا ذكرتك سامحتك به مني الجفون ففاض وانسكبا
اني اجل ثرى حللت به أن لا أرى بثراه مكتئبا

وقال (ع):

ما أحسن الدنيا واقبالها اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله عرض للادبار اقبالها
فاحذر حلول الفقر يا ذا الغنى واعط من الدنيا لمن نالها
فان ذا العرش العظيم الجزا يضعف للحبة أمثالها

ويروى (فاحذر حلول الفقر يا جابر) يشير الى ابن عبد الله البجلي الذي ذكرناه في فضل قضاء الحوائج، ويروى انه كان يتمثل دائما وقيل انها له:

ولو اني بليت بهاشمي خؤولته بني عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن تعالي فانظري بمن ابتلاني

ويروى (لهان على ما القى) وقال ابن عباس، فيما رواه العوفي عنه: قال يوماً أمير المؤمنين وقد سئل عن الفاتحة نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي الوسادة لذكرت في فضلها حمل بعير ذكر وليس في القرآن آية إلا وأنا أعلم متى وفي أي شيء نزلت ثم أنشد:

اذا المشكلات تصدين لي كشفت حقايقها بالنظر
وان برقت في خلال الصواب عمياء لا تعتريني فكر
مقنعة بعيون الامور وضعت عليها نفيس الدرر
لساناً كشقشقة الارحبي أو كالحسام اذا ما سطر
ولست بامعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين وجلاب خير ودفاع شر

(الامعة) الذي يكون مع هؤلاء ومع هؤلاء ويسموه العوام المعمعي والمدره: الخطيب؛ وقال (ع) في الصبر:

ولربما نطق الفتى فتنافست فيه العيون وانه لمموه
ولربما سكت الفتى عن خصمه حذر الجواب وانه لمفوه
ولربما صبر الفتى عند الأذى وفؤاده من حره يتأوه

قال (ع) في المعنى:

يمثل ذو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يفضي إلى آخر فصيّر آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا
فإن ندهته صروف الزمان ببعض عجائبه أعولا
ولو قدم الصبر في نفسه لعلّمه الصبر حسن البلا

وحكى الشعبي: أنَّ علياً (ع) أتاه رجل فقال أُريد أن أبني مسجداً فقال: من حلالك؟ فسكت ثم انه مضى فبنى مسجداً فكتب (ع) في الحائط:

(بنى مسجداً لله من غير حلّه)

وفي رواية:

رأيتك تَبني مسجداً من خيانة فكنت بحمد الله غير موفق
كمطعمة الزهاد من كسب فرجها فقال لها أهل البصيرة والتقي
لك الويل لا تزني ولا تتصدَّقي

وقال الشعبي رأى أمير المؤمنين رجلاً يمشي ويخطر بيديه ويختال فقال:

يا مؤثر الدنيا على دينه ... والتايه الحيران في قصده
أصبحت ترجوا الخلد فيها وقد ... أبرز ناب الموت عن حده
هيهات إنَّ الموت ذو أسهم ... من يرمه يوماً بها يرده
لا يشرح الواعظ قلب امرئٍ ... لم يعزم الله على رشدة

وقال (ع) في البكاء على الإسلام:

ليبك على الإسلام من كان باكياً ... فقد تركت اركانه ومعالمه
فقد ذهب الإسلام إلا بقية ... قليل من الدنيا الذي هو لازمه

وقال (ع) في الحث على كتمان السر:

ولا تفش سرك إلا اليك ... فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت غواة الرجال ... ولا يتركون اديما صحيحا

وقال (ع) في القناعة بالكفاف:

اقدع النفس بالعفاف والا ... طلبت منك فوق ما يكفيها
طالما قد مضى وما للذي لم ... يأت من لذة لمستحليها
انما انت طول عمرك ما ... عمرت بالساعة التي أنت فيها

وقال (ع) يذم الزمان والاخوان:

هذا زمان ليس اخوانه ... يا أيها المرء باخوان
إخوانه كلهم ظالم ... له لسانان ووجهان
يلقاك بالبشر وفي قلبه ... داء يواريه بكتمان
حتى اذا ما غبت عن عينه ... رماك بالزور وبهتان
هذا زمان هكذا أهله ... تغر عن رؤية انسان

وقال (ع) في مكارم الأخلاق:

ان المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والعلم ثانيها
والصبر ثالثها والعرف رابعها ... والعفو خامسها والصبر ساديها

والعين تخبر عن عيني محدثها | إن كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تكلف في الدنيا وقد علمت | ان السلامة فيها ترك ما فيها

وقال له رجل؛ قد عيل صبري فاعطني، فقال: أفانشدك شيئاً ام اعطك فقال كلامك أحب الي من عطائك فقال:

ان عضك الدهر فانتظر فرجا | فانه نازل بمنتظره
أو مسك الضر أو بليت به | فاصبر على يسره وفي عسره
رب معاق على تهوره | ومبتلى لا ينام من حذره
وآمن في عشاء ليلته | دب اليه البلاء في سحره
من مارس الدهر ذم صحبته | ونال من صفوه ومن كدره

وقال (ع) في قلة الوفاء:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب | فالناس بين مخاتل وموارب

وقال (ع) في النظر:

وكم نظرة قادت الى القلب شهوة | فاصبح منها القلب في الملكات

وقال (ع) في حلول المكروه:

لا تكره المكروه عند حلوله | ان العواقب لم تزل متباينه
كم من يد لا تستقل لشكرها | لله في طي المكاره كامنه

وقال (ع) في ذم أبي لهب:

أبا لهب تبت يداك أبي لهب | وتبت يداها تلك حمالة الحطب
خذلت نبياً خير من وطيء الحصا | فكنت كمن باع السلامة بالعطب
وخفت أبا جهل فاصبحت تابعاً | له وكذاك الرأس يتبعه الذنب
فاصبح ذاك الأمر عاراً يهيله | عليك حجيج الله في موسم العرب
ولو كان من بعض الاعادي محمد | لحاميت عنه بالرماح وبالقضب

وقال (ع) لما بارز عمرو بن عبد ود وكان عمرو قد برز يوم الخندق ودعى الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد فقال عمرو:

ولقد بححت من النداء لجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز
اني كذلك لم أزل متسرعا نحو المزاهز
ان الشجاعة للفتى والجود من خير الغرايز

فقال رسول الله (ص) يا علي قم اليه وخذ سيف ذا الفقار ودعا له فبرز اليه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فايز
اني لأرجو ان أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يسمع عندها صوت المزاهز

ثم اختلفا ضربتين فقتله علي (ع)؛ ثم انصرف وهو يقول:

اعلي يقتحم الفوارس هكذا وتنوه عنها اسرتي وصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس تبابي
علم ابن عبد حين أبصر صارمي يهتز ان الأمر غير لعاب
عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت رب محمد بصوابي
لا تحسبوا الرحمان خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

الباب السابع في وفاته (ع)

قال علماء السير: كان علي (ع) يستبطىء القاتل فيقول متى يبعث أشقاها.

وقال احمد في (الفضائل): حدثنا وكيع حدثنا قتيبة بن قدامة الرواسي عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص) يا علي أتدري من أشقى الأولين قلت الله ورسوله أعلم فقال عاقر الناقة ثم قال أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم فقال من يخضب هذه من هذه يعني لحيته من هامته .

وقد أخرجه أيضاً عبد الله بن احمد في كتاب (الزهد) عن أبيه بهذا الاسناد، وقال احمد في المسند حدثنا علي بن حكيم الأودي حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال: قدم على علي (ع) وفد من الخوارج من أهل البصرة فيهم رجل يقال له الجعد بن نعجة فقال له يا علي اتق الله فانك ميت فقال بل أنا مقتول ضربة على هذا تخضب هذه يعني لحيته من رأسه عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى، وعاتبه أبو نعجة في خشونة لباسه فقال هو أبعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم.

وقال احمد في المسند: حدثنا هشام أو هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري وكان أبو فضالة من أهل بدر قال خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه قبل منيته فقال له أبي ما يقيمك ها هنا بين أعراب جهينة تحمّل إلى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك أصحاب القرآن وصلوا عليك فقال علي (ع) ان رسول الله (ص) عهد إلي ان لا اموت حتى تخضب هذه من هذه- أي لحيته من دم هامته- قتل أبو فضالة مع علي (ع) بصفين.

---

(١) قال الزهري: فكان أمير المؤمنين (ع) يستبطىء القاتل فيقول: متى يبعث أشقاها.

وأنبأنا جدي أبو فرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن أبي طاهر أنبأنا الحسن بن علي الجوهري أنبأنا ابن حياة أنبأنا ابن معروف حدثنا الحسين بن الفهم حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبو الفضيل بن دكين حدثنا قطر بن خليفة حدثني أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: دعا أمير المؤمنين الناس الى البيعة فجاءه عبد الرحمان بن ملجم المرادي فرده مرتين ثم أتاه فقال ما يحبس أشقاها ليخضبن أو ليصبغن هذه من هذه ثم تمثل بهذين البيتين:

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

قلت: وهذان البيتان لأحيحة الأنصاري، ولهما ثالث:

فان الدرع والبيضة يوم الروع يكفيك

وفي رواية: ان علياً (ع) رده مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه وقال عند بيعته ما يحبس أشقاها فوالذي نفسي بيده ليخضبن هذه من هذه ووضع يده على لحيته ورأسه وأنشد البيتين.

وقال ابن سعد: أخبرنا اسماعيل بن علية عن عمارة بن أبي حفصة عن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد الى علي (ع) وهو يصلي في المسجد فقال له احترس فان ناساً من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الأجل جنة حصينة.

وفي رواية عنه قال: ملكتني عيني فسنح لي رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الأود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيراً منهم وابدلهم بي شرا مني فلما كان بعد أيام ضربه ابن ملجم.

وقال الشعبي: أنشد علي (ع) قبيل قتله بأيام:

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك لا فازوا ولا ظفروا
فان بقيت فرهن ذمتي لهم وان عدمت فلا يبقى لهم أثر
وسوف يورثهم فقدي على وجل ذل الحياة بما خانوا وما غدروا

وذكر ابن سعد في (الطبقات): ان علياً (ع) قال للمرادي لما أتاه يطلب منه عطاءه فقال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

وفي رواية: ان ابن ملجم قال يا أمير المؤمنين احملني فحمله على فرس اشقر فركبه وولى وأنشد أمير المؤمنين البيت.

وقال أبو سعد: أنبأنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن عبيدة قال: قال علي (ع) ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني اللهم قد سئمتهم وسئموني فأرحهم مني وارحني منهم.

وقال ابن سعد: أنبأنا وكيع بن الجراح حدثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبيع قال سمعت علياً (ع) يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بالأشقى قالوا يا أمير المؤمنين فاخبرنا به نبيد عشيرته قال اذن والله تقتلون غير قاتلي قالوا فاستخلف علينا فقال لا ولكن أترككم الى ما ترككم اليه رسول الله (ص) قالوا فماذا تقول لربك اذا لقيته قال أقول اللهم تركتك فيهم فان شئت اصلحتهم وان شئت افسدتهم.

وقال ابن سعد: حدثنا سليمان بن القاسم الثقفي قال حدثتني أمي عن أم جعفر سرية علي (ع) قالت اني لأصب الماء على يديه اذ رفع رأسه فاخذ بلحيته ورفعها الى أنفه فقال واهاً لك لتخضبن بدمي فاصيب يوم الجمعة.

﴿ذكر صفة مقتله وسببه﴾

قال أهل السير: منهم محمد بن اسحاق وهشام بن محمد والسدي وغيرهم اجتمع ثلاثة من الخوارج عبد الرحمان بن ملجم المرادي وهو من حمير وقيل من مضر والبرك ابن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسمه الحجاج وعمرو بن بكر السهمي السعدي وكان اجتماعهم بمكة عند انقضاء الحج فتذكروا قتلى النهروان الذين قتلهم علي (ع) وبكوا وترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فانهم اخواننا لم يأخذهم في الله لومة لائم ثم تذكروا ما لقي الناس يوم الجمل وصفين بين علي (ع) ومعاوية وعمرو ابن العاص وقالوا! لو شرينا انفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وارحنا المسلمين منهم والبلاد

والعباد وثأرنا بهم اخواننا فقال ابن ملجم أنا أكفيكم ابن أبي طالب وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية وقال عمرو وأنا لعمرو بن العاص فدخلوا الكعبة وتحالفوا فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ان لا ينكص أحد منهم على صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه ثم أخذوا سيوفهم فسموها وتعاهدوا أن يكون الاجتماع في سابع وعشرين شهر رمضان وقصد كل واحد منهم الجهة التي يريدها.

فاما ابن ملجم فقصد الكوفة فتلقاه أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد أو كان يزورهم ويزورونه وهو ساكت مخافة ان يظهر شيء مما قدم له وانه زار يوماً أصحاباً له من بني تيم الرباب وكان علي (ع) قتل منهم يوم النهروان عدة فرأى منهم امرأة يقال لها قطام بنت شجنة بن غدي بن عامر وكان أمير المؤمنين قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت فائقة الجمال فعشقها واخذت بمجامع قلبه وعقله ونسي الأمر الذي قدم لأجله فخطبها فقالت لا اتزوجك حتى تعطيني ثلاثة آلاف درهم وعبداً وقينة وتقتل علي بن أبي طالب فقال لك الدراهم والعبد والقينة وأما قتل ابن أبي طالب فما أراك ذكرتيه لي وأنت تريديني فكيف اصنع به قالت التمس غرته فان اصبته شفيت نفسي ونفسك ونفعك العيش معي وأخذت بثار الأحبة وان قتلت فما عند الله خير وأبقى؛ فقال والله ما جاء بي إلا هذا. قال وهب بن منبه: فقال الشاعر فيها:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام بيننا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وروي: ان ابن ملجم دخل بها فلما فرغ منها ازداد عشقاً لها فقالت له والله لا تساكني حتى تقتل علياً ثم قالت اني سأطلب لك رجلا يساعدك على امرك فبعثت الى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له وردان بن مجالد فكلمته في ذلك فاجابها ثم أتى ابن ملجم رجلا من اشجع من الخوارج فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة واسم الرجل شبيب بن بجرة فقال له وما هو؟ قال قتل ابن أبي طالب فقال له ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً نكراً قال كيف تصل اليه قال أكمن له في المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه وان نجونا شفينا أنفسنا وادركنا ثارنا وان قتلنا فما عند الله خير وابقى فاجابه الى قطام وكانت متعكفة في المسجد الجامع قد ضربت عليها قبة فاخبراها فقالت متى عزمتما فقالا الليلة وكانت ليلة الجمعة فكمنا عندها

وجاء إلى وردان فعصبتهم قطام بالحرير فاخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها أمير المؤمنين وذكر بعضهم ان الاشعث بن قيس كان مواطئاً لهم على قتل أمير المؤمنين فاجتمعوا في الليل في المسجد وكان حجر بن عدي نائماً في المسجد فسمع الأشعث يقول لهم اسرعوا فقد ضحك الصبح فقال له حجر ما تقول يا أعور ثم قصد علياً (ع) ليخبره فوجده قد جاء من موضع آخر فقيل فخرج يريد صلاة الصبح فاقبلن الاوز يصحن في وجهه فقال انهن نوايح فلما حصل في المحراب هجموا عليه فضربه ابن ملجم وهو يقول ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وهرب وردان وشبيب وصاح ابن ملجم لا حكم إلا لله يا بن أبي طالب فلما ضربه على قرنه صاح علي (ع) لا يفوتنكم الكلب فشدوا عليه فأخذوه وقتل وردان ونجا شبيب وصاحت أم كلثوم بنت علي (ع) وبكت وقالت أي والله لا بأس على أبي والله يجزيك فقال فعلى من تبكين فوالله ضربته بسيف اشتريته بالف وسممته بالف فان خانني ابعده الله ولو كانت هذه الضربة بأهل مضر لما بقي منهم احد وتأخر علي (ع) عن المحراب وقدم جعدة بن هبيرة فصلى بالناس الفجر وحمل علي (ع) الى القصر وقال علي بالرجل فادخل عليه فقال أي عدو الله الم احسن اليك؟ قال بلى قال فما حملك على هذا أشار علي (ع) الى إحسانه اليه وحمله على الاشقر.

وفي رواية انه قال له ولقد كنت أعلم انك قاتلي وانما احسنت اليك لاستظهر بالله عليك ثم قال لبنيه قال يا بنيّ إن هلكت فالنفس بالنفس اقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأياً.

وفي رواية: وإن عشت فضربة بضربة أو أعفو، وفي رواية ان زينب قالت له يا ملعون قتلت أمير المؤمنين قال انما قتلت أباك ثم حبس.

وقال ابن عباس: ضربه ابن ملجم بمسجد الكوفة يوم الجمعة لثلاثة عشر بقين من شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين منه فبقي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد وقيل يوم الأحد وغسله إبناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ولده الحسن وكبر عليه أربعاً وقيل خمساً وقيل ستاً أو سبعاً وكان عنده بقايا من حنوط

رسول الله (ص) فحنطوه به ودفن في السحر[1].

واختلفوا في موضع قبره على أقوال: احدهما في قصر الامارة بالكوفة وغيبوا موضعه، قاله الواقدي.

والثاني: انهم جعلوه في صندوق وحملوه على بعير الى المدينة فضل البعير الذي كان عليه فأخذته طي فظنوه مالا فلما رأوه دفنوه عندهم قال عكرمة.

والثالث: ان التابوت مضى الى المدينة ودفن الى جانب فاطمة (ع)؛ قاله أبو نعيم الفضل بن دكين.

والرابع: انه في قبلة جامع الكوفة ذكره هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال واخبرت ان حائط القبلة انشق في أيام الحجاج فحفر الأساس فوجدوا شيخاً أبيض الرأس واللحية وعلى ثيابه أثر الدم فردوا عليه التراب وقد حكاه ابن شبرمة وحكاه البلاذري أيضاً وقال ان الحجاج لما رآه قد ظهر قال أبو تراب والله وأراد به سوءاً فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص ناشدتك الله ان لا تفعل فسكت.

والخامس: انه في الكوفة عند مسجد الجماعة مما يلي أبواب كندة حكاه ابن سعد في (الطبقات) عن الشعبي.

والسادس: انه على النجف في المكان المشهور الذي يزار فيه اليوم وهو الظاهر وقد استفاض ذلك.

---

(١) وفي نسخة: واختلفوا في الليلة التي استشهد فيها على أقوال: أحدها آخر الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان صبيحة الجمعة بمسجد الكوفة الجامع قاله ابن عباس.

والثاني: ليلة احدى وعشرين من رمضان فبقي الجمعة ثم يوم السبت. وتوفي (ع) ليلة الأحد. قاله مجاهد. والثالث انه قتل في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان. قاله الحسن البصري. وهي ليلة القدر. وفيها عرج بعيسى بن مريم (ع) وفيها توفي يوشع بن نُون وهذا أشهر.

وقال الواقدي: آخر كلمة قالها أمير المؤمنين (ع) يا بني إذا مت فألحقوا بي ابن ملجم لأخاصمه عند رب العالمين ثم قرأ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ الآية.

قال الواقدي: ولما توفي (ع). غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر. وقيل ومحمد بن الحنفية. والصحيح انه لم يغسل لأنه سيد الشهداء.

وقال الواقدي كفن (ع) في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وكان عنده من بقايا حنوط رسول الله (ص) فحنطوه به وصلى عليه ولده الحسن (ع) وكبر عليه خمساً. وقيل ستاً وسبعاً.

وقد حكى أبو نعيم الاصفهاني: ان الذي على النجف انما هو قبر المغيرة بن شعبة قال ولو علم به زواره لرجموه.

قلت: وهذا من اغلاط أبي نعيم فان المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل انه مات بالشام.

وقيل آخر كلمة قالها علي (ع) (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره).

وحكى الواقدي عن الزهري قال: قال علي (ع) لبنيه يا بنيّ ان مت فالحقوا بي بابن ملجم أخاصمه عند رب العالمين فلما دفن احضره الحسن ليقتله فقال له هل لك في خصلة اني والله ما أعطي الله عهداً إلا وفيت به واني كنت اعطيت الله عهداً ان اقتل علياً ومعاوية يوم التحكيم أو أموت دونهما فان شئت خليت بيني وبينه ولك عهد الله علي أن أعود فأضع يدي في يدك فقال لا والله حتى تعاين النار ثم قطع يديه ورجليه وسمل عينه بمسمارين وقطع لسانه وتركه في قوصرة ثم أحرقه بالنار.

وذكر المدائني: ان علياً (ع) أمرهم ان لا يمثلوا به.

وذكر ابن سعد: ان عبد الله بن جعفر لما سمل عينه بمسمار لم يجزع وقال انك لتكحل عين ابن عمك بملمول مض.

ولما أرادوا ان يقطعوا لسانه جزع فقيل له قد قطعنا يديك ورجليك فلم تجزع فلم جزعت عند قطع لسانك فقال أكره ان يمضي عليّ ساعة لا أذكر الله فيها.

قال ابن سعد: والعباس بن علي يومئذ صغير فلم يستأذنوا به بلوغه قال قيل فقد أمرهم أمير المؤمنين ان يقتلوه كما قتله. فالجواب ان المدائني ذكر في (تاريخه) أن أمير المؤمنين أمرهم ان يمثلوا به وهو الواجب.

وأما قول سعد: ان العباس كان يومئذ صغيراً فلم يستأذنوا به بلوغه فهذا دليل لأبي حنيفة في مسئلة القصاص اذا كان في ورثة المقتول صغار وكبار فللكبير ان ينفرد بالاستيفاء خلافا لصاحبيه والشافعي.

وروى ان أمير المؤمنين قال للحسن (ع) لما ضربه ابن ملجم ان شئت ان تقتل وان شئت أن تعفو فقد فوض الاستيفاء الى رأيه مع ان في الورثة صغار وكان بمحضر

من الصحابة من غير نكير، فان قالوا يحتمل انه قتله سياسة قلنا مع حضور الصحابة لا سياسة.

واختلفوا في مبلغ سن أمير المؤمنين علي (ع) على أقوال، أحدها ثلاث وستون مثل عمر رسول الله (ص)، حكاه ابن جرير عن جعفر بن محمد.

قال الواقدي: وهو الثبت عندنا، والثاني خمس وستون، والثالث سبع وستون، والرابع ثمان وخمسون وهو الأشهر.

أخبرنا غير واحد، عن اسماعيل بن احمد أنبأنا عمر بن عبيد الله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال قتل علي (ع) وهو ابن ثمان وخمسين سنة ومات لها الحسن وقتل لها الحسين ومات لها علي بن الحسين زين العابدين (ع).

قلت: وهذه الرواية أصح لأنهم لا يختلفون ان النبي (ص) كان أسن منه.

قال الواقدي: وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وقيل كان سنه وسن طلحة والزبير سناً واحداً.

قال الواقدي: وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر لأنه بويع له في ذي الحجة لثمان عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وثلاثين واستشهد في رمضان سنة أربعين.

وقال ابن جرير في (تاريخه) وابن سعد في (الطبقات): انه لما استشهد علي (ع) بلغ عائشة فقالت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثم قالت من قتله؟ قالوا: رجل من مراد فقالت:

فان يك هالكاً فلقد نعاه ... نعي ليس في فيه التراب

فعابها الناس، وقالت لها زينب بنت سلمة بن أبي سلمة العلي تقولين هذا؟ فقالت اني أنسى فذكروني.

ورثاه منهم أبو الأسود الدؤلي فقال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب — فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا — بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا — بير خير من ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن تمسك — بالسبع المثاني والمثينا
لقد علمت قريش حيث كانت — بأنك خيرها حسباً ودينا
اذا استقبلت وجه أبي تراب — رأيت البدر حار الناظرينا

وقال احمد في المسند: حدثنا وكيع حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن هبيرة قال خطبنا الحسن بن علي (ع) بعدما استشهد علي (ع) فقال: لقد فاتكم بالأمس رجل لم يسبقه الاولون ولم يدركه الآخرون كان رسول الله (ص) يبعثه بالراية جبرئيل وميكائيل عن يمينه وعن شماله فلا ينصرف حتى تفتح له أو يفتح الله على يديه.

وقال الواقدي: لما بلغ الصحابة خبره بكوا عليه.

وقال أبو مسعود الانصاري: كنا نعده خير البشر.

وقال الخطيب في تاريخه: شهد علي (ع) بدراً وهو ابن عشرين سنة وشهد الفتح وهو ابن ثمان وعشرين وهو قريب مما ذكره جعفر بن محمد عن أبيه.

وذكر جماعة من أرباب السير: ان عمران بن حطان وكان من الخوارج رثى ابن ملجم فقال:

يا ضربة من كمي ما أراد بها — إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوماً فاحسبه — أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الارض اقبرهم — لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

كذب لعنه الله وانما صوابه ما نظمه طاهر بن محمد حيث قال:

يا ضربة من لعين ما أراد بها — إلا امام الهدى ظلمًا وعدوانا
اني لأذكره يوماً فاثبته — أشقى البرية عند الله خسرانا
وقال هذا رسول الله سيدنا — وخاتم الرسل اعلاماً واعلانا

ولما بلغت هذه الأبيات القاضي أبا الحرث الطبري فقال مجيباً له.

اني لأبرء مما أنت قائله — عن ابن ملجم الملعون بهتانا

اني لأذكره يوماً فألعنه ... ديناً والعن عمران بن حطانا
عليه ثم عليك الدهر متصلا ... لعائن الله اسراراً واعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء به ... نص الشريعة برهاناً وتبيانا

أشار القاضي الى قوله (ع) الخوارج كلاب أهل النار.

قال الواقدي: وأما البرك بن عبد الله فان في تلك الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها علياً شد على معاوية بسيفه وقد خرج لصلاة الفجر فضربه فوقع السيف في أليته فجرحه فاخذ فقال لمعاوية ان عندي خبراً أبشرك به فقال وما هو؟ قال ان أخاً لي قتل علياً في هذه الليلة فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قتل واتخذ معاوية المقصورة من تلك الليلة وهو أول من اتخذها وأقام الحرس واحضر معاوية الساعدي كان طبيباً فقال له اختر احدى خصلتين إما ان احمي حديدة فاضعها موضع السيف وإما ان اسقيك شربة تقطع عنك الاولاد وتبرأ منها فان الضربة مسمومة فقال معاوية أما النار فلا طاقة لي بها وأما انقطاع الولد فان في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه شربة فلم يولد له بعدهاوبرىء،ولما بلغ القاضي أبا حازم ذلك قال يا ليت ذلك قبل أن يولد يزيد ثم احترس معاوية.

وأما عمرو بن بكر، فجلس بعمرو بن العاص فلم يتفق خروجه في تلك الليلة لمرض عرض له ثم أمر خارجة بن أبي جبينة العامري ان يصلي مكانه وكان صاحب شرطته فخرج ليصلي فشد عليه عمرو فقتله فاخذوجيء به الى عمرو فقال يا فاسق قتلت خارجة فقال يا فاسق والله ما ظننته غيرك فقتله عمرو.

وقيل انه بكى فقال له عمرو بن العاص ما يبكيك اجزعاً من الموت فقال لا والله وانما أبكي كيف حظى صاحباي بقتل علي ومعاوية.

﴿ذكر ميراث أمير المؤمنين (ع)﴾

اتفق علماء السير: على انه لم يخلّف ديناراً ولا درهماً.

فحكى الواقدي عن الحسن (ع) انه قال: والله ما ترك أبي بيضاء ولا صفراء سوى ماءتي درهم، وفي رواية سوى سبعمائة درهم اعدها لشراء خادم لأهله.

فان قيل، فقد روى احمد في المسند عن محمد بن كعب القرظي قال: قال علي (ع)

لقد رأيتني مع رسول الله (ص) واني لاربط على بطني الحجر من الجوع وان صدقتي لتبلغ اليوم أربعين الفاً.

والجواب ان احمد روى هذا الاثر عن علي (ع) فقال حدثنا الحجاج عن شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي؛ وشريك ضعيف مخلط في الرواية وكان يشرب الأشربة المسكرة وحالة أمير المؤمنين تنافي هذا على ما ذكرنا من زهده وورعه وقد قال أبو الحسين بن فارس اللغوي سألت أبي عن هذا الحديث فقال: ان صح فمعناه الذي تصدقت به من مالي منذ كان لي مال كذا وكذا الفاً.

قال ابن فارس: قال أبي وكيف يكون له مال وقد قال يا بيضاء يا صفراء غري غيري.

﴿ذكر ولاته (ع)﴾

لما قتل: كان ابن عباس على البصرة قبل ان يقتل، وقد ذكرنا الخلاف فيه وعلى فارس وكرمان زياد بن أبيه وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وعلى مكة والطائف قثم ابن العباس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري، وقيل سهل بن حنيف.

﴿ذكر خاتمه﴾

كان نقشه: الله الملك علي عبده وكان يتختم في اليمين وكذا الحسن والحسين (ع).

﴿ذكر مواليه﴾

قنبر ويحيى بن أبي كثير: روى عنه الاوزاعي، وكان عالماً فاضلا، وابنه عبد الله ابن يحيى كان عالماً وله موالي أخر.

﴿ذكر أزواجه ومولياته﴾

قال الواقدي: قتل علي (ع) وترك أربع حراير امامة بنت زينب بنت رسول الله (ص) وليلى التيمية وأم البنين كلابية واسماء بنت عميس وثمانية عشر أم ولد.

فصـــل

فهذا ما وقع عليه اختيارنا في هذا المختصر من سيرته نفعنا بمحبته وحشرنا في زمرته.

فصـــــل

﴿في ذكر أخيه جعفر بن أبي طالب (ع)﴾

لما ذكرنا في صدر الكتاب سيرة والده واخوته واخواته رأينا ان نختم الكتاب بذكر بعض سيرة جعفر فنقول قد ذكرنا ان أمة فاطمة بنت أسد وانه كان اسن من علي (ع) بعشر سنين وانه اسلم قديماً واقام بالحبشة مهاجراً حتى فتحت خيبر سنة سبع وقدم على رسول الله (ص) فيها فقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وقال ما أدري آبائهما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر.

ذكره أبو نعيم في (الحلية) عن أبي هريرة وقال النبي (ص) لجعفر أشبهت خلقي وخلقي، قال أبو هريرة وكان رسول الله (ص) يسميه أبا المساكين لأنه كان يحبهم ويطعمهم ويجلس اليهم ويرفق بهم وكنيته المشهورة أبو عبد الله.

﴿ذكر قصته مع عمرو بن العاص وصاحبيه﴾

قال احمد في المسند: حدثنا يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمان عن أم سلمة قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خيرجار النجاشي آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين جلدين وان يهدوا الى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة فجمعوا له ادماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا اليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هدية قبل ان تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم سلوه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فخرجا حتى قدما على النجاشي فدفعا الى كل بطريق هديته وقالا انه قد صار الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع وقد بعثنا اشرافهم الى الملك ليردوهم اليه فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا قالوا نعم ثم قربا هداياهما الى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دينهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فقالت بطارقته

صدقوا سلمهم اليهم فغضب النجاشي ثم قال لاها الله اذن لا اسلمهم اليهم ولا أكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فان كانوا كما يقولون سلمتهم اليهما وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم أرسل الى أصحاب رسول الله (ص) فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا (ص) كائن في ذلك ما هو كائن فلما جاؤه، وقد دعى النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين آخر من هذه الأمم قالت وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب؛ فقال أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف وكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا أمينا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه وما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به وعبدنا الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم الله علينا واحللنا ما أحل الله لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك.

قال فقال النجاشي فهل معك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم.

ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابداً.

قالت فلما خرجوا من عنده أو خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غداً فاعيبهم عنده بما أستأصل به خضرائهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان اتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاماً قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد، قالت ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً فارسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه فارسل اليهم فسألهم عنه قالت أم سلمة ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى اذا سألكم عنه قالوا نقول فيه ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا (ص) كاينا في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى؟ فقال جعفر نقول فيه ما جاء به نبينا (ص) وهو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشي يده الى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ثم قال اذهبوا فانتم سيوم بارض، والسيوم الآمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم قالها ثلاثاً ثم قال ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذا مني رشوة حين رد علي ملكي.

قلت: وقول النجاشي لاها الله اذن قسم، واما في قوله: لاها الله مفتوحة واسم الله مجرور وعامة الروايات لاها الله اذن وانكره أبو حاتم السجستاني وقال الصحيح لاها الله اذا ومعناه لا والله فادخل اسم الله بين ها واذا قال وليست اذن ها هنا للتوكيد وانما معناه هذا ما اقسم به.

وقال أبو نعيم في (الحلية) حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبيه قال أمرنا رسول الله (ص) ان ننطلق الى جعفر بن أبي طالب الى أرض الحبشة أو الى النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا وذكر بمعنى ما تقدم وفيه، فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فلا يتكلم منكم احد فلما انتهوا اليه بدرهم من عنده وقالوا اسجدوا للملك فقالوا لا نسجد لغير الله تعالى فقال النجاشي مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده وأنا اشهد انه الذي بشر به عيسى بن مريم (ع) ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله.

وذكر أبو نعيم أيضاً في (الحلية) عن عمرو بن العاص قال لما أتينا النجاشي ناديت على بابه ائذن لعمرو بن العاص فنادى جعفر من خلفي ائذن لحزب الله فسمع صوته

فاذن له قبلي، وفي رواية فانتفض النجاشي ورطن عمرو لصاحبه وقال اتسمع ما يقول.

وفي رواية ان النجاشي: صنع باباً صغيراً فكان الداخل فيه يسجد له فلما جاء جعفر ولاه ظهره ودخل فيه فلما رآه النجاشي عظم في عينه وأكبره واسلم على يده.

وفي رواية: فبكت اساقفته حتى اخضلت لحاهم فنزل فيهم ﴿واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ الآية.

﴿ذكر وفاته﴾

قال أهل السير: استشهد جعفر بمؤتة وهي أدنى أرض البلقاء الى الحجاز وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

قال ابن اسحاق: وسبب هذه الغزاة ان رسول الله (ص) بعث الحرث بن عمير الازدي الى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله (ص) غيره فشق ذلك على رسول الله (ص) فندب الناس وعسكر بالجرف وهم ثلاثة آلاف وشيعهم رسول الله (ص) الى ثنية الوداع فساروا حتى نزلوا أرض مؤتة فالتقاهم هرقل في أربع مائة الف منهم أربعون الف، مقرنين فالتقوا فثبت المسلمون ثم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وكانوا أمراء الجيش.

قال ابن سعد في (الطبقات) عن ابن عمر قال: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة بسيف.

وقال ابن سعد في (الطبقات) أيضاً أنبأنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد عن هلال عن أنس بن مالك ان النبي (ص) نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل ان يجيء خبرهم نعاهم وعيناه تذرفان.

وفي رواية: رأيت جعفر يطير في الجنة بجناحيه.

﴿ذكر أولاده﴾

عبد الله وبه كان يكنى ومحمد وعون وامهم اسماء بنت عميس ولدتهم بأرض الحبشة وكان جعفر قد هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية، واشهرهم عبد الله وكان من

الاجواد وهو من الطبقة الخامسة ممن توفي رسول الله (ص) وهو حدث ولما ولدته أمه أسماء بالحبشة ولد بعد ذلك بايام للنجاشي ولد فسماه عبد الله تبركا باسمه وارضعت اسماء عبد الله بن النجاشي بلبن ابنها عبد الله.

وقال ابن سعد في (الطبقات): حدثنا الواقدي عن محمد بن مسلم عن يحيى بن أبي يعلى قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول أنا احفظ حين دخل رسول الله (ص) على أمي فنعى اليها أبي فأنظر اليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تذرفان أو تهرقان بالدموع حتى تقطر لحيته ثم قال اللهم ان جعفر قد قدم الي أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته ثم قال يا اسماء ألا ابشرك قالت امي بلى بابي أنت وأمي يا رسول الله قال فان الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة فقالت يا رسول الله فاعلم الناس بذلك قال عبد الله فقام رسول الله (ص) فاخذ بيدي ومسح براسي ورقى المنبر فاجلسني أمامه على الدرجة السفلى والحزن يعرف فيه فتكلم وقال ان المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا ان جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ثم نزل رسول الله (ص) ودخل بيته وادخلني معه وأمر بطعام فصنع لأهلي ثم أرسل الى أخي فتغدينا عنده غداء طيباً مباركا عمدت سلمى الى شعير فطحنته ثم نسفته ثم انضجته ثم ادمته بزيت وجعلت عليه فلفلا فتغذيت أنا واخي معه واقمنا ثلاثة أيام ندور معه في بيوت أزواجه ثم رجعنا الى بيتنا فاتانا رسول الله (ص) وأنا اساوم بشاة أخاً لي فقال اللهم بارك له في صفقته قال عبد الله فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه.

وقال ابن سعد: حدثنا عفان بن مسلم عن مهدي بن ميمون عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي قال أمهل رسول الله (ص) آل جعفر ثلاثاً بعد ما جاء نعيه ثم أتاهم فقال لا تبكون على أخي بعد اليوم ادعوا لي أبناء أخي قال فجيء باغيلمة ثلاثة كأنهم افرخ محمد، وعون، وعبد الله وقال ادعوا لي الحلاق فجيء بحجام فحلق رؤوسهم، وقال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، واما عون فشبيه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيد عبد الله فشالها وقال اللهم اخلف جعفراً في أهله بخير وبارك لعبد الله في صفقة يمينه قال فجاءت أمهم فجعلت تفرح لهم فقال لها رسول الله (ص) اتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة.

وقال ابن سعد: حدثنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول عن مورق العجلي عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله (ص) اذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته وانه جاء مرة فسبق بي اليه فحملني فجعلني بين يديه ثم جيء باحد ابنى فاطمة الحسن والحسين (ع) فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابته.

وذكر ابن سعد أيضاً في (الطبقات) قال: حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي (ع) عن عبد الله بن جعفر قال أردفني رسول الله (ص) ذات يوم خلفه واسر الّي حديثاً لا احدث به احداً ابداً.

وقد اخرج البخاري ومسلم، معنى هذا الحديثين في الصحيحين فاخرجا عن عبد الله بن الزبير انه قال لعبد الله بن جعفر اتذكر إذ تلقينا رسول الله (ص) أنا وأنت وابن عباس فقال له عبد الله بن جعفر نعم فحملنا وتركك.

ولمسلم عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله (ص) ذات يوم خلفه واسر الّي حديثاً لا احدث به احداً من الناس.

وقال ابن سعد في (الطبقات) حدثنا يزيد بن هارون حدثنا اسماعيل بن عامر قال كان عبد الله بن عمر اذا لقي عبد الله بن جعفر يقول له السلام عليك يابن ذي الجناحين.

﴿ذكر وفاته﴾

قال الواقدي: توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين وهو عام الجحاف؛ سيل كان ببطن مكة، جحف بالناس فذهب بالحاج والجمال باحمالها، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان؛ وكان والي المدينة أبان بن عثمان فصلى عليه أبان ولما وضع على السرير وصلى عليه حمله أبان فما وضع سريره عن عنقه حتى بلغ الى حفرته بالبقيع وعبد الله بن جعفر يومئذ ابن تسعين سنة.

قال ابن سعد في (الطبقات) وكان قد خرب فوه وسقطت اسنانه فكان يطبخ له الثريد والشيء اللين فيأكله وكان اذا قيل له انك لست بآكل شق عليه ذلك.

﴿ذكر أولاد عبد الله بن جعفر﴾

كان له عدة أولاد منهم: جعفر الأكبر وبه كان يكنى وأمه أم عمر وبنت خراش بن بغيض وعلي، وعون الأكبر، ومحمد، وعباس، وأم كلثوم وامهم زينب بنت علي (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص)؛ وحسن درج، وعون الاصغر قتل مع الحسين ابن علي (ع) يوم الطفوف ولا بقية له وأمهم جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري وأبو بكر، وعبيد الله؛ ومحمد وامهم الخوصاء بنت حفصة من بني بكر بن وايل، وصالح، ويحيى لا بقية لهما؛ وموسى، لا بقية لهما أيضاً؛ وجعفر؛ وأم أبيها وأمهم ليلى بنت مسعود؛ وحميد، وأم الحسن لأم ولد، وجعفر. وأبو سعيد، وامهما أم الحسين بنت عمر من بني صعصعة ومعاوية، واسحاق؛ واسماعيل، وقثم؛ وعباس؛ وأم عون لأمهات أولاد شتى ولم يسم احد من هاشم ولده بمعاوية إلا عبد الله بن جعفر ولما سماه هجره بنو هاشم فلم يكلموه حتى توفي رحمه الله.

وزوج أحدى بناته الحجاج بن يوسف خوفاً من شره فسقطت منزلته عند الناس والتقاه الوليد بن عبد الملك وهو ولي عهد أبيه يوما بظاهر دمشق فسلم عليه عبد الله فرد عليه الوليد أقبح رد وقال له ويحك يابن جعفر عمدت الى عقيلة آل جعفر فسلمتها الى عبد بني ثقيف يتفخذها والله لئن عشت لك لأرينك العجب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره، ومات عبد الله قبل ان يفضي الأمر الى الوليد.

الباب الثامن

في ذكر الحسن (ع)

وكنيته: أبو محمد؛ ويلقب بالقايم؛ والتقي، والطيب، والسيد، والسبط، والولي؛ ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة واذن رسول الله (ص) في اذنه.

قال احمد بن حنبل في المسند: حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه علي (ع) قال لما ولد لي الحسن سميته باسم عمي حمزة، ولما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله (ص) فقال لي يا أبا تراب ان الله قد أمرني أن أغير اسم هذين الغلامين فسماهما حسناً وحسيناً وأخرجه احمد أيضاً في (الفضائل).

وقال أحمد في المسند: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن هاني بن هاني عن علي (ع) قال لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله (ص) فقال اروني ابني ما سميتوه فقالت حرباً فقال لا بل هو حسن فلما ولد حسين سميته حرباً فقال لا بل هو حسين باسماء ولد هارون شبر وشبير.

وفي رواية: فلما ولد الثالث سميته حرباً فقال رسول الله (ص) بل هو محسن مثل مشبر وهذا يدل على صحة ما ذكره الزبير بن بكار ان فاطمة جاءت من علي بولد آخر اسمه محسن مات طفلا، وقيل ان الحسن ولد لستة اشهر.

وذكر ابن سعد في (الطبقات): ان رسول الله (ص) عق عن الحسن والحسين بكبشين ووزنت فاطمة (ع) شعرهما لما جلقته وتصدقت بوزنه فضة وقيل فضة وذهباً وذلك في اليوم السابع وكان وزن شعرهما درهم.

﴿ذكر فضائل الحسن (ع)﴾

كان من كبار الأجواد؛ وله الخاطر الوقاد وكان رسول الله (ص) يحبه حباً شديداً.

قال احمد في المسند: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثنا عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله (ص) واضعاً الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني احبه فأحبه متفق عليه، وفي رواية فأحب من يحبه.

وقال احمد: أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا عمر بن سعيد عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث ويكنى أبا سروعة قال صلى أبو بكر (رض) صلاة العصر بعد وفاة رسول الله (ص) بليال ثم خرج يمشي ومعه علي (ع) الى جنبه فرأى الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فاحتمله على عاتقه وجعل يقول:

يا بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي

وعلي يضحك انفرد باخراجه البخاري.

وقال احمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن الزهري عن الحسن البصري قال حدثني ابو بكرة ونفيع بن حرب قال رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعلى الحسن أخرى ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين انفرد باخراجه البخاري.

وقال البخاري قال لي عبد الله بن محمد انما ثبت سماع الحسن البصري من أبي بكرة بهذا الحديث.

وفي افراد البخاري عن ابن عباس قال كان رسول الله (ص) يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول ان أباكما ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق، والتامة التي لا نقص فيها لأن كلام المخلوقين ناقص، وقد روى التامات وهو ابلغ من التامة. والهامة كل نسمة تهم بسوء واصل اللامة من لممت الماماً وانما لم يقل ملمة لتوافق لفظ هامة فتكون اخف على اللسان.

واخرج البخاري عن أنس قال: لم يكن احد يشبه بالنبي (ص) إلا الحسن بن علي وكذا أخرج البخاري في الحسين وسنذكره في مقتله عند حضور رأسه بين يدي ابن زياد.

وأخرجه احمد في المسند؛ وفيه كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله، وفي رواية كان الحسن يشبه رسول الله (ص) من رأسه الى سرته، والحسين يشبهه من سرته الى قدميه.

وحكى ابن سعد في (الطبقات) باسناده الى عبد الله بن الزبير قال رأيت رسول الله (ص) وهو ساجد ويجيء الحسن ويركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وقال احمد: حدثنا زكريا بن يحيى عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن عقيل عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج النبي (ص) في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة (ع) فقال اثم لكع فحسبته سنا فظننت انها تلبسه سنحابا أو تغسله فجاء الحسن يشتد حتى عانقه وقبله ساعة وقال اللهم اني أحبه واحب من يحبه متفق عليه، اللكع الصغير في السن وهذا قاله على وجه الملاعبة والسنحاب القلادة، ويشتد يعدو وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال كنت مع رسول الله (ص) في سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت فقال لي يا لكع ثلاثاً أدع لي الحسن بن علي فدعوته فجاء وفي عنقه السنحاب فالتزمه النبي (ص) بيده وقال: اللهم اني أحبه فاحبه وأحب من يحبه، وقوله (ع) لأبي هريرة يا لكع أراد به انه صغير في العلم والقدر.

قال أبو هريرة: فما كان احد عندي أحب اليّ من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله (ص) ما قال.

قال أبو هريرة: وكان رسول الله (ص) يقبله.

وقال أبو نعيم الأصفهاني في (الحلية): حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن نصر حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا العباس بن الفضل عن القاسم بن عبد الرحمان عن محمد بن علي قال حج الحسن بن علي (ع) من المدينة الى مكة عشرين حجة على قدميه والنجايب تقاد معه وكان يقول اني استحي من الله ان القاه ولم امش الى بيته.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) انه حج خمسة عشر حجة ماشياً وانه قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى كان يعطي نعلا ويمسك نعلا وخرج من جميع ماله لله تعالى مرتين؛

وفي رواية وسمع رجلا يسأل الله عشرة آلاف درهم فبعث اليه، وقد ذكره جدي في الصفوة.

﴿ذكر ما جرى له بعد وفاة أمير المؤمنين (ع)﴾

قال علماء السير: بويع الحسن بالخلافة في اليوم الذي استشهد فيه علي (ع) وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فان ذلك يأتي على كل شرط فبايعه وبايعه الناس وقيل انما بايعوه بعد ما قتل علي (ع) بيومين.

وقال الزهري: يقول كان قد بايع علياً (ع) أربعون الفا من أهل العراق على الموت ليسيروا معه الى الشام فلما استشهد بايعوا الحسن (ع) قال وكان الحسن لا يؤثر القتال ويميل الى حقن الدماء وعرف الحسن ان قيس بن سعد لا يوافقه على هذا الرأي فاقام بالكوفة ستة أشهر الى سلخ ربيع الأول سنة احدى وأربعين، ثم خرج من الكوفة ونزل المداين وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر الفا وأقبل معاوية من الشام في جيوشه.

قال الشعبي: فبينا الحسن في سرادقه بالمداين وقد تقدم قيس بن سعد إذ نادى مناد في العسكر ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا فنفروا الى سرادق الحسن فنازعوه حتى أخذوا بساطا كان تحته وطعنه رجل بمشقص فأدماه فازدادت رغبته في الدخول في الجماعة وذعر منهم فدخل المقصورة التي في المداين بالبيضاء وكان الأمير على المداين سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ولاه عليها علي (ع).

فقال له المختار، وكان شابا هل لك في الغناء والشرف قال وما ذلك قال تستوثق من الحسن وتسلمه الى معاوية. فقال له سعد قاتلك الله اثب على ابن رسول الله واوثقه واسلمه الى ابن هند بئس الرجل أنا ان فعلته.

وذكر ابن سعد في (الطبقات): ان المختار قال لعمه سعد هل لك في أمر تسود به العرب قال وما هو قال تدعني أضرب عنق هذا يعني الحسن واذهب به الى معاوية فقال له قبحك الله ما هذا بلاهم عندنا أهل البيت.

ولما رأى الحسن، تفرق الناس عنه واختلاف أهل العراق عليه وغدر أهل الكوفة

به رغب في الصلح وكان معاوية قد كتب اليه في السر يدعوه الى الصلح فلم يجبه ثم أجابه .

قال الشعبي : لما مال الحسن الى صلح معاوية قال له أخوه الحسين انشدك الله ان تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة أبيك فقال أما ترى الى ما نحن فيه ، وقد روى النمري ما يدل على ان معاوية هو الذي راسله في الصلح .

وقد روي عن الحسن البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي على معاوية بكتائب امثال الجبال ، قال عمرو بن العاص اني والله لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل اقرانها فقال له معاوية أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء من لي بامور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضعفتهم فبعث اليه رجلين من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر وقال اذهبا الى هذا الرجل واعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه فأتياه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه فقال لهما الحسن إنا بنو عبد المطلب قد اصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت في دمائها قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فمن لي بهذا الأمر قالا له نحن لك به فما سألهما شيئاً الا قالا نحن لك به فصالحه وكان ذلك بالمداين .

قال الشعبي : صالحه على أن ياخذ من بيت المال بالكوفة خمسة الف الف وان لا يسب علياً (ع) واشياء شرطها عليه وكتبوا الكتاب فاعطاه مائة الف دينار أخرى وجميع ما كان في بيت مال الكوفة ثم سار معاوية فالتقيا بمسكن من أرض العراق ومسكن بكسر الكاف موضع على نهر دجيل قريباً من أوانا عند دير الجاثليق ذكره الخطيب في تاريخه وفي هذا المكان قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير وفيه قبر مصعب وابراهيم بن الأشتر النخعي قيل وانما التقيا باذرح فسلم اليه الأمر والأول ـح وذلك لخمس بقين من ربيع الأول سنة احدى وأربعين فكانت خلافة الحسن ستة أشهر واياماً .

وقال السدي : لم يصالح الحسن معاوية رغبة في الدنيا وانما صالحه لما رأى أهل العراق يريدون الغدر به وفعلوا معه ما فعلوا اخاف منهم ان يسلموه الى معاوية والدليل عليه انه خطب بالنخيلة قبل الصلح فقال أيها الناس ان هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية انما هو حق اتركه إرادة لإصلاح الأمة وحقناً لدمائها وان

أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين.

ثم سار معاوية فدخل الكوفة فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن ان يخطب ليظهر عيه فقال له قم فاخطب فقام وخطب فقال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ونحن أهل بيت نبيكم اذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً وان لهذا الأمر مدة والدنيا دول.

وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين﴾ فضج الناس بالبكاء فالتفت معاوية الى عمرو وقال هذا رأيك ثم قال للحسن حسبك يا أبا محمد.

وفي رواية، انه قال: نحن حزب الله المفلحون وعترة رسوله المطهرون وأهل بيته الطيبون الطاهرون واحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (ص) فيكم فطاعتنا مقرونة بطاعة الله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وان معاوية دعانا الى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فان وافقتم رددناه عليه وخاصمناه الى الله تعالى بظبي السيوف وان أبيتم قبلناه فناداه الناس من كل جانب البقية البقية.

وفي رواية ابن عبد البر المالكي في كتاب (الاستيعاب) وكنيته أبو عامر بن سفيان ابن ياليل الخارجي وقيل ابن ليلى ناداه يا مذل المؤمنين.

وفي رواية هشام: ومسود وجوه المؤمنين فقال له ويحك أيها الخارجي لا تعنفني فان الذي أحوجني الى ما فعلت قتلكم أبي وطعنكم اياي وانتهابكم متاعي وانكم لما سرتم الى صفين كان دينكم امام دنياكم وقد اصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ويحكم أيها الخارجي اني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم وما اغتربهم إلا من ذل ليس احد منهم يوافق رأي الآخر ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة وشدايد مرة وهي أسرع البلاد خراباً وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً

وفي رواية الخارجي لما قال له يا مذل المؤمنين قال ما اذللتم ولكن كرهت ان افنيهم واستأصل شافتهم لأجل الدنيا.

وذكر ابن جرير وغيره. ان الحسن لما صالح معاوية اقام بالكوفة يتجهز حتى برىء من جراحته فخرج الى المسجد فقال يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم من أهل بيت نبيكم فبكى الناس فلما سار نحو المدينة تلقاه الناس من القادسية فقالوا يا مذل العرب.

قال الزهري: كان الحسن متأولا في صلحه لمعاوية.

قلت والذي أشار اليه الزهري ذكره احمد في (الفضائل) فقال حدثنا بهر بن حكيم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد بن حمكان[1] عن سفينة مولى رسول الله (ص) يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا، فقال سفينة واسمه مهران نظرت فاذاً خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشر سنة وخلافة علي خمس سنين وباقي الكسور تمام الثلاثين فكان ما فعل الحسن نظراً للامة.

قال أهل السير ولما سلم الحسن الأمر الى معاوية أقام يتجهز الى المدينة فاجتمع الى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وهو أخو عثمان لامه وكان علي (ع) قد جلده في الخمر وعتبه وقالوا نريد ان تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجله قبل مسيره الى المدينة فنهاهم معاوية وقال انه السن بني هاشم فالحوا عليه فارسل الحسن فاستزاره فلما حضر شرعوا فتناولوا علياً (ع) والحسن ساكت فلما فرغوا حمد الحسن الله وأثنى عليه وصلى على رسوله محمد (ص) قال: ان الذي اشرتم اليه قد صلى الى القبلتين وبايع البيعتين وانتم بالجميع مشركون وبما انزل الله على نبيه كافرون انه حرم على نفسه الشهوات وامتنع من اللذات حتى انزل الله فيه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ وأنت يا معاوية ممن قال رسول الله (ص) في حقه اللهم لا تشبعه أو لا اشبع الله بطنك أخرجه مسلم عن ابن عباس.

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله (ص) من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى انزل الله ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ ووصفه الله بالايمان فقال ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ والمراد به أمير المؤمنين وقال له رسول الله (ص) أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخي في الدنيا والآخرة وأنت يا معاوية نظر النبي (ص) اليك يوم الأحزاب فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله وأخوك يقود الجمل وأنت تسوقه فقال لعن الله الراكب والقائد والسائق وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه وكنت معه ولاك عمر الشام فخنته ثم ولاك عثمان فتربصت عليه وأنت الذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتى قلت مخاطباً له:

---

(١) جهال غ ل.

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا | بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن الى أمر تقلدنا | والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر، واحد، والخندق، والمشاهد كلها تقاتل رسول الله (ص) وقد علمت المسلمين الذي ولدت عليه؛ ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال أما أنت يا ابن النابغة[1] فادعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم وهو العاص وولدت على فراش مشرك وفيك نزل ﴿ان شانئك هو الابتر﴾ وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين وكنت أضر عليهم من كل مشرك وأنت القائل:

ولا انثني عن بني هاشم | بما اسطعت في الغيب والمحضر
وعن عايب اللات لا أنثني | ولولا رضى اللات لم تمطر

وأما أنت يا وليد فلا الومك عن بغض أمير المؤمنين فانه قتل أباك صبراً وجلدك في الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكراناً، وقلت: أزيدكم؟ وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه | ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم | أأزيدكم سكراً وما يدري
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا | لأتت صلاتهم على العشر
فأتوا أبا وهب ولو قبلوا | لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو | تركوا عنانك لم تزل تجري

وسماك الله في كتابه فاسقاً، وسمى أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ وفيك يقول حسان بن ثابت وفي أمير المؤمنين:

انزل الله ذو الجلال علينا | في علي وفي الوليد قرانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله | كمن كان فاسقاً خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل | وعليٌ الى الجزاء عيانا
فعلي يجزى هناك جناناً | ووليد يجزى هناك هوانا

وأما أنت يا عتبة فلا الومك في أمير المؤمنين فانه قتل أباك يوم بدر واشترك في دم ابن عمك شيبة وهلا انكرت على من غلب على فراشك ووجدته نائماً مع عرسك حتى قال فيك نصر بن حجاج:

نبثت عتبة هيأته عرسه لصداقة الهذلي من الحيان
الفاه معها في الفراش فلم يكن فحلا وامسك خشية النسوان
لا تعتبن يا عتب نفسك حبها ان النساء حبايل الشيطان

ثم نفض الحسن ثوبه وقام فقال معاوية:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له وقلت لكم لا تبعثن الى الحسن
فجاء ورب الراقصات عشية بركبانها يهوين من سرة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه وبعد مداه حين اجراره الرسن
فلما أبيتم كنت فيكم كبعضكم وكان خطابي فيه غبناً من الغبن
فحسبكم ما قال مما علمتم وحسبي بما الفاه في القبر والكفن

﴿تفسير غريب هذه الواقعة﴾

قال الأصمعي وهشام بن محمد الكلبي في كتابه المسمى (بالمثالب) وقد وقفت عليه معنى قول الحسن لمعاوية قد علمت الفراش الذي ولدت عليه ان معاوية كان يقال انه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ومسافر بن أبي عمر وأبي سفيان والعباس بن عبد المطلب وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان وكان كل منهم يتهم بهند، فاما عمارة بن الوليد كان من اجمل رجالات قريش وهو الذي وشى به عمرو بن العاص الى النجاشي فدعى الساحر فنفث في احليله فهام مع الوحش وكانت امرأة النجاشي قد عشقته، وأما مسافر بن أبي عمرو فقال الكلبي عامة الناس على ان معاوية منه لأنه كان أشد الناس حباً لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر ان يظهر انه منه فهرب الى ملك الحيرة وهو هند بن عمرو فاقام عنده ثم ان أبا سفيان قدم الحيرة فلقيه مسافر وهو مريض من عشقه لهند وقد سقى بطنه فسأله عن أهل مكة فاخبره وقيل ان أبا سفيان تزوج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة فقال له أبو سفيان اني تزوجت هنداً بعدك فازداد مرضه وجعل يذوب فوصف له الكي فاحضروا له المكاوي والحجام فبينا الحجام يكويه إذ حبق الحجام فقال مسافر (قد يحبق العير والمكواة في النار) فسارت مثلا ثم مات مسافر من عشقه لهند.

وذكر هشام بن محمد الكلبي أيضاً في كتاب (المثالب) وقال: كانت هند من المغيلمات وكانت تميل الى السودان من الرجال فكانت اذا ولدت ولداً أسود قتلته.

قال وجرى بين يزيد بن معاوية وبين اسحاق بن طابة بن عبيد كلام بين يدي معاوية وهو خليفة فقال يزيد لاسحاق ان خيراً لك ان يدخل بنو حرب كلهم الجنة اشار يزيد الى ان أم اسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب فقال له اسحاق ان خيراً لك ان يدخل بنو العباس كلهم الجنة فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاوية فلما قام اسحاق قال معاوية ليزيد كيف تشاتم الرجال قبل ان تعلم ما يقال فيك قال قصدت شين اسحاق وهو كذلك أيضاً قال وكيف قال اما علمت ان بعض قريش في الجاهلية يزعمون اني للعباس فسقط في يدي يزيد.

قال الشعبي وقد اشار رسول الله (ص) الى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا فانها لما جاءت تبايعه وكان قد أهدر دمها فقالت على ما ابايعك فقال على أن لا تزنين فقالت وهل تزني الحرة؟ فعرفها رسول الله (ص) فنظر الى عمر فتبسم

قلت وقد روى عن هند خلاف هذا فذكر صاحب العقد: ان هنداً بنت عتبة كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه من غير إذن فقال فيه يوماً مع هند ثم خرج وتركها فيه نائمة فجاء بعض الأضياف على عادته فوجدها نائمة فولى خارجاً واستقبله الفاكه فدخل على هند فانتبهها وقال من هذا الذي كان عندك؟ فقالت والله ما زلت نائمة منذ خرجت وما رأيت احداً دخل سواك فقال لها الحقي باهلك وخاض الناس في أمرها فقال لها أبوها اخبريني خبرك فان كان صادقاً دسيت اليه من يقتله فينقطع الكلام عنك وان كان كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت والله لكاذب فقال عتبة للفاكه قد رميت ابنتي ببهتان عظيم فاما ان تبين واما ان تحاكمني الى الكاهن فقال ذلك اليك فخرجا في جماعة من أهلها فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند فقال لها أبوها هلا كان هذا قبل ان يشتهر خروجنا بين الناس فقالت والله ما ذاك ولكنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ولعله يخطىء فليسمني بميسم يبقى على السنة العرب فقال أبوها صدقت ولكني سأخبره لك فصفر لفرسه فادلى فعمد الى حبة بر فتركها في احليله واوكىء عليها ثم نزلوا على الكاهن فاكرمهم فقال له عتبة قد أتيناك في أمر خبأت لك خبية فاخبرني بها فقال ثمرة في كمرة فقال اريد أبين من هذا فقال حبة بر في احليل مهر فقال صدقت فانظر في أمر هذه النسوة وكان قد خرج معها نسوة من بني عبد مناف فجعل يمسح على رأس كل واحدة ويقول قومي لشانك حتى مسح على رأس هند فقال قومي غير رشحاء ولا زانية

وستلدين ملكا يقال له معاوية فاخذ الفاكه بيدها فنترتها وقالت والله لاحرصن على ان يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان بعده فولدت معاوية، والرشح: بالحاء المهملة لحم العجز والفخذين.

وأما قول الحسن لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترك، فذكر الكلبي أيضاً في (المثالب) قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكة فوقع عليها العاص بن وايل في عدة من قريش منهم أبو لهب، وأمية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد.

قال ابن الكلبي: وكان الزناة الذين اشتهروا بمكة جماعة منهم هؤلاء المذكورون؛ وأمية بن عبد شمس، وعبد الرحمان بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي معيط فلما حملت النابغة بعمر وتكلموا فيه فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الذين ذكرناهم كل واحد يزعم انه ولده والب عليه العاص بن وايل وأبو سفيان بن حرب كل واحد يقول والله انه مني فحكما النابغة فاختارت العاص فقالت هو منه فقيل لها ما حملك على هذا وأبو سفيان اشرف من العاص؟ فقالت هو كما قلتم إلا انه رجل شحيح والعاص جواد ينفق على بناتي وأبو سفيان لا ينفق عليهن وكان لها بنات.

وأما قول الحسن للوليد بن عقبة: وجلدك علي في الخمر فذكر أرباب السير قاطبة ان عثمان بن عفان ولي الوليد بن عقبة الكوفة سنة ست وعشرين وكان الوليد مدمناً على شرب الخمر وكان يجلس على الشراب وعنده ندماؤه ومغنوه طول الليل الى الفجر فاذا اذنه المؤذن بصلاة الفجر خرج سكراناً فصلى بهم فخرج يوماً في غلالة لا يدري أين هو فتقدم الى المحراب فصلى بهم الفجر أربعاً وقال ازيدكم؟ فقال له عبد الله بن مسعود مازلنا معك في زيادة منذ اليوم ولما سجد قال في سجوده اشرب واسقني فناداه ابن غيلان الثقفي سقاك الله المهل ومن بعثك أميراً علينا ثم حصبه وحصبه أهل المسجد فدخل الوليد القصر وهو يترنح فنام في سريره فهجم عليه جماعة منهم أبو جندب بن زهير الأسدي وابن عوف الأزدي وغيرهما وهو سكران لا يعي فايقظوه فلم ينتبه ثم قاء عليهم الخمر فنزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد انه شرب الخمر فقال وما يدريكم أنه شرب خمراً قالوا شرب الخمر الذي كنا نشربه في الجاهلية فزبرهما ونال منهما فخرجا من عنده

فدخلا على علي (ع) واخبراه بالقصة فدخل على عثمان فقال له دفعت الشهود وابطلت الحدود؟ قال له فما ترى فقال تبعث الى الفاسق فتحضره فان قامت عليه البينة حددته فارسل الى الوليد فاحضره فشهدوا عليه ولم يكن له حجة فرمى عثمان السوط الى علي وقال له حده فقال علي لولده الحسن قم فحده فامتنع الحسن وقال يتولى حارها من تولى قارها والقر البرد؛ ومعناه يتولاه والي الأمر، فقال لعبد الله بن جعفر قم فاجلده فامتنع فلما رآهم لا يفعلون توقياً لعثمان اخذ السوط ودنا من الوليد فسبه الوليد فقال له عقيل بن أبي طالب يا فاسق ما تعلم من أنت الست علجاً من أهل صفورية قرية بين عكا واللجون من اعمال الاردن كان أبوك يهودياً منها فجعل الوليد يحيد عن علي فاخذه فضرب به الأرض فقال له عثمان ليس لك ذلك فقال بلى وشر من ذلك اذ فسق ثم يمتنع ان يؤخذ منه حق الله تعالى ثم جلده أربعين.

وقد أخرج احمد في المسند معنى هذا فقال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن عبد الله بن الداناج عن حصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة قال لما قال علي (ع) للحسن قم فاجلده قال وفيم أنت وذاك؟ فقال علي: بل عجزت ووهنت قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده فقام فجلده وعلي (ع) يعد حتى بلغ أربعين قال امسك ثم قال جلد رسول الله (ص) في الخمر أربعين وضرب أبو بكر (رض) أربعين وضربها عمر (رض) صدراً من خلافته ثم اتمها ثمانين وكلّ سنة.

فان قيل فقد روى احمد في المسند أيضاً عن علي (ع) انه قال: ما من رجل اقمت عليه حداً فمات فاجد في نفسي منه إلا صاحب الخمر فانه لو مات لوديته لأن رسول الله (ص) يسنه واخرجاه في الصحيحين فكيف تقول وكل سنة؟ قلنا لا خلاف ان النبي (ص) ضرب في الخمر فالضرب في الجملة سنة والعدد ثبت باجماع الصحابة.

وقيل هذه القصة انما جرت للحسن مع معاوية والوليد ومن سميناهم بالشام لان الحسن كان يفد على معاوية كل حين ومعه الحسين.

قلت: وقد دعى رسول الله (ص) على الوليد بن عقبة لما رد امانه.

فقال احمد في المسند: حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن داود حدثنا نعيم ابن حكيم عن ابن أبي مريم عن علي (ع) قال جاءت امرأة الوليد بن عقبة تشكوه الى رسول الله (ص) وقالت يا رسول الله ان الوليد يضربني فقال اذهبي اليه وقولي له قد

أجارني رسول الله (ص) فلم نلبث إلا يسيراً حتى جاءت فقالت ما زادني إلا ضربا فأخذ رسول الله (ص) هدبة من ثوبه فدفعها اليها وقال لها قولي هذا أماني من رسول الله فلم نلبث إلا يسيراً حتى جاءت فقالت يا رسول الله ما زادني إلا ضرباً قال فرفع رسول الله (ص) يديه وقال اللهم عليك بالوليد وفي رواية اللهم عليك بالفاسق.

واختلفوا في معنى تسميته بالفاسق على قولين احدهما: ان الوليد قال يوماً لعلي (ع) الست ابسط منك لساناً واحد سناناً فنزلت ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ ذكره ابن عباس.

والثاني: ان النبي (ص) بعثه سنة ثمان من الهجرة الى بني المصطلق يصدقهم وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما بلغهم قدوم الوليد خرجوا يتلقونه بالهدايا والسلاح فرحاً به فلما رآهم ولى راجعاً الى المدينة فقال يا رسول الله قد منعوا الزكاة وقاموا الي بالسلاح فابعث اليهم البعوث فقدم الحرث بن عباد على رسول الله (ص) فقال له يا حارث اردت قتل رسولي ومنعت الزكاة فقال والذي بعثك بالحق ما وصل الينا وانما رجع من الطريق ولقد كذب فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ﴾ الآية.

وذكر هشام بن محمد الكلبي عن محمد بن اسحاق قال: بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولاً الى الحسن (ع) فقال له يقول لك مروان أبوك الذي فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد يعني الخوارج وأنت تفجر بغيرك فاذا قيل لك من أبوك تقول خالي الفرس فجاء الرسول الى الحسن فقال له يا أبا محمد اني أتيتك برسالة ممن يخاف سطوته ويحذر سيفه فان كرهت لم ابلغك اياها ووقيتك بنفسي فقال الحسن لا بل تؤديها ونستعين عليه بالله فاداها فقال له تقول لمروان ان كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك وان كنت كاذباً فالله أشد نقمة فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال من أين أقبلت؟ فقال من عند أخيك الحسن فقال وما كنت تصنع؟ قال أتيت برسالة من عند مروان فقال وما هي؟ فامتنع الرسول من ادائها فقال لتخبرني أولا قتلتك فسمع الحسن فخرج وقال لأخيه خل عن الرجل فقال لا والله حتى اسمعها فاعادها الرسول عليه فقال قل له يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة يا ابن الزرقاء الداعية الى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الراية بسوق عكاظ ويا ابن طريد رسول الله ولعينه اعرف من أنت ومن أمك ومن

أبوك فجاء الرسول الى مروان فاعاد عليه ما قالا فقال له ارجع الى الحسن وقل له اشهد انك ابن رسول الله وقل للحسين اشهد انك ابن علي بن أبي طالب فقال للرسول قل له كلاهما لي ورغمًا.

قال الاصمعي : أما قول الحسين يا ابن الداعية الى نفسها فذكر ابن اسحاق ان أم مروان اسمها أمية وكانت من البغايا في الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء وكان مروان لا يعرف له أب وانما نسب الى الحكم كما نسب عمرو الى العاص.

واما قوله : يا ابن طريد رسول الله يشير الى الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس اسلم الحكم يوم الفتح وسكن المدينة وكان ينقل أخبار رسول الله (ص) الى الكفار من الأعراب وغيرهم ويتجسس عليه.

قال الشعبي : وما أسلم إلا لهذا ولم يحسن اسلامه، ورآه رسول الله (ص) يوماً وهو يمشي يتخلج في مشيته يحاكي رسول الله فقال له كن كذلك فما زال يمشي كأنه يقع على وجهه، ونفاه رسول الله (ص) الى الطايف ولعنه، فلما توفي رسول الله (ص) كلم عثمان أبا بكر ان يرده لأنه كان عم عثمان فقال أبو بكر هيهات شيء فعله رسول الله (ص) والله لا أخالفه أبداً فلما مات أبو بكر وولي عمر كلمه فيه فقال يا عثمان اما تستحي من رسول الله (ص) ومن أبي بكر ترد عدو الله وعدو رسوله الى المدينة والله لا كان هذا ابداً فلما مات عمر وولي عثمان رده في اليوم الذي ولي فيه وقربه وادناه ودفع له مالا عظيمًا ورفع منزلته فقام المسلمون على عثمان وانكروا عليه وهو أول ما انكروا عليه وقالوا رددت عدو الله ورسوله وخالفت الله ورسوله فقال ان رسول الله وعدني برده فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك ثم توفي الحكم في خلافته فصلى عليه ومشى خلفه فشق ذلك على المسلمين وقالوا ما كفاك ما فعلت حتى تصلي على منافق ملعون لعنه رسول الله (ص) ونفاه فخلعوه وقتلوه واعطى ابنه مروان خمس غنائم افريقية خمس مائة الف دينار.

ولما بلغ عائشة ارسلت الى عثمان اما كفاك انك رددت المنافق حتى تعطيه أموال المسلمين وتصلي عليه وتشيعه بهذا السبب قالت اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر.

ولما بلغ مروان انكارها جاء اليها يعاتبها فقالت له اخرج يا ابن الزرقاء اني اشهد

على رسول الله (ص) انه لعن أباك وأنت في صلبه.

قال الشعبي: ان مروان ولد سنة اثنتين من الهجرة وأبوه انما اسلم يوم الفتح ونفاه رسول الله (ص) بعد ذلك.

قلت: وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) معنى الحكاية التي حكيناها عن ابن اسحاق ورسالة مروان الى الحسن وقال فيها كان مروان يشتم علياً (ع) يوم الجمعة على المنبر وكان الحسن يقعد في حجرة رسول الله (ص) حتى يفرغ ثم يخرج فيصلي خلفه فبعث اليه الحسن يعاتبه فقال مروان للرسول قل له ما اجد لك مثلا إلا البغة يقال لها من أبوك فتقول خالي الفرس.

وقال ابن سعد كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد ومن مكارم اخلاق الحسن ما قرأته على أبي القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن الخطيب بالموصل سنة خمس وست مائة. قال أنبأنا والدي أبو الفضل عبد الله بن احمد وعمي عبد الرحمان بن احمد بن محمد الطوسي قالا أنبأنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلاف أنبأنا عبد الملك بن محمد بن بشران أنبأنا أبو العباس احمد بن ابراهيم الكندي بمكة في المسجد الحرام سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة قرأته عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرايطي صاحب كتاب اعتلال القلوب قال أنبأنا أبو زيد عمرو بن شبية حدثنا أيوب بن عمرو الغفاري قال أنبأنا خالي محمد بن عمارة الغفاري قال طلق عبد الله بن عامر امرأته بنت سهيل بن عمرو فقدمت المدينة ومعها ابنتها ووديعة جوهر لابن عامر فتزوجها الحسن ثم أراد ابن عامر العمرة فاتى المدينة فلقي الحسن فقال: يا أبا محمد ان لي الى ابنة سهيل حاجة فأذن لي في الدخول عليها فقال لها الحسن البسي ثيابك فهذا ابن عامر يستأذن عليك فدخل عليها فسألها وديعته فجاءته بها عليها خاتمه فقال خذي ثلثها فقالت ما كنت لآخذ على امانة ائتمنت عليها ثمناً أبداً فقال ان ابنتي قد بلغت واحب ان تخلي بيني وبينها فبكت وبكت ابنتها ورق لهما ابن عامر فقال الحسن فهل لكما فوالله ما محلل خير مني فخجل ابن عامر وقال والله ما اخرجتها من عندك أبداً فكفلها الحسن حتى مات.

وقال الشعبي : طلق الحسن امرأة وبعث اليها عشرة آلاف درهم فبكت وقالت (متاع قليل من حبيب مفارق) فبلغ الحسن فقال لو راجعت امرأة لراجعتها.

وقال ابن سعد في (الطبقات) كان الحسن لا يفارقه اربع حراير وكانت عنده ابنة منظور بن يسار الفزاري وامرأة من بني اسد فطلقهما وبعث الى كل واحدة بعشرة آلاف درهم مع مولاه يسار، فقالت الفزارية جزاه الله خيراً وقالت الاسدية (متاع قليل من حبيب مفارق) فأخبره فراجع الأسدية وترك الفزارية.

وفي رواية: انه تزوج تسعين امرأة.

قال ابن سعد: وكان مطلقا؛ وقيل لم يراجع الأسدية.

وقال ابن سعد: ما فارق امرأة إلا وهي تحبه.

﴿ذكر وفاته (ع)﴾

قال علماء السير: اقام الحسن بالمدينة بعدما صالح معاوية الى سنة تسع واربعين فمرض أربعين يوماً وتوفي لخمس ليال بقين من ربيع الأول.

وقال الواقدي توفي سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين والأول اشهر واختلفوا في سنه على قولين، احدهما: تسع وأربعين سنة والثاني سبع وأربعون سنة والاول أصح ودفن بالبقيع وقبره ظاهر يزار.

وقال ابن سعد في (الطبقات) رأى الحسن في المنام مكتوباً بين عينيه قل هو الله احد فاستبشر أهل بيته بذلك فبلغ سعيد بن المسيب فقال ان صدقت رؤياه فمابقي[1] من أجله إلا القليل فمات بعد أيام.

﴿سبب موته (ع)﴾

قال علماء السير: منهم ابن عبد البر سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي.

وقال السدي : دس اليها يزيد بن معاوية ان سمي الحسن واتزوجك فسمته فلما

---

(١) وفي نسخة: فما بقي من عمره إلا ثمانية أيام.

مات ارسلت الى يزيد تسأله الوفاء بالوعد فقال أنا والله ما ارضاك للحسن افنرضاك لأنفسنا.

وقال الشعبي: انما دس اليها معاوية فقال سمي الحسن وازوجك يزيد واعطيك مائة الف درهم فلما مات الحسن بعثت الى معاوية تطلب انجاز الوعد فبعث اليها بالمال وقال اني أحب يزيد وأرجو حياته لولا ذلك لزوجتك اياه.

وقال الشعبي: ومصداق هذا القول ان الحسن كان يقول عند موته وقد بلغه ما صنع معاوية لقد عملت شربته وبلغ امنيته والله لا يفي بما وعد ولا يصدق فيما يقول.

وقد حكى جدي في كتاب (الصفوة) قال: ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه ان جعدة هي التي سمته وقال الشاعر في ذلك:

تغر فكم لك من سلوة ... تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي ... وقتل الحسين وسم الحسن

وقال ابن سعد في (الطبقات) سمه معاوية مراراً لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين (ع).

وقال أبو نعيم: أنبأنا محمد بن علي حدثنا أبو عروبة الحراني عن سليمان بن عمرو بن خالد عن ابن علية عن ابن عون عن عمير بن اسحاق قال دخلت أنا ورجل على الحسن نعوده في مرض موته فقال يا فلان سلني حاجة فقال لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله فقال سلني قبل ان لا تسألني فلقد القيت طائفة من كبدي واني سقيت السم مراراً فلم اسق مثل هذه المرة.

قال: ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال له يا أخي من تتهم قال لم لتقتله قال نعم قال ان يك الذي اظن فالله أشد باساً واشد تنكيلا وان لم يكن فما احب ان يقتل بي بريء ثم قضى نحبه.

وفي رواية: انه جزع وبكى بكاء شديداً فقال له الحسين يا أخي ما هذا الجزع وما هذا البكاء وانما تقدم على رسول الله (ص) وعلى أبيك وعمك جعفر وفاطمة وخديجة وقد قال لك جدك انك سيد شباب أهل الجنة ولك سوابق كثيرة منها انك حججت ماشياً خمس عشرة مرة وقاسمت الله مالك مرتين وفعلت وفعلت وعدد

مكارمه فوالله ما زاده ذلك إلا بكاء وانتحاباً. ثم قال: يا أخي الست اقدم على هول عظيم وخطب جسيم لم اقدم على مثله قط ولست أدري اتصير نفسي الى النار فاعزيها، أو الى الجنة فأهنيها.

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال: أنبأنا محمد بن أبي منصور وعلي بن ابي عمر قال: قالا أنبأنا رزق الله وطراد بن محمد الزيني قالا أنبأنا علي بن بشران أنبأنا أبو بكر القرشي عن اسحاق بن اسماعيل عن احمد بن عبد الجبار عن سفيان بن عيينة عن رؤبة بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن (ع) الموت قال: اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرجوه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم اني احتسب عندك نفسي فانها اعز الأنفس علي لم اصب بمثلها اللهم ارحم صرعتي وآنس في القبر وحدتي. ثم توفي (ع).

ولما توفي تولى امره أخوه الحسين واخرجه الى المسجد وكان سعيد بن العاص أمير المدينة، فقالت بنو هاشم لا يصلي عليه إلا الحسين فقدمه الحسين وقال لولا السنة لما قدمتك.

وقال ابن سعد عن الواقدي: لما احتضر الحسن قال ادفنوني عند أبي يعني رسول الله (ص) فاراد الحسين ان يدفنه في حجر رسول الله (ص) فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان والياً على المدينة فمنعوه وقامت بنو هاشم لتقاتلهم فقال أبو هريرة أرأيتم لو مات ابن لموسى اما كان يدفن مع أبيه.

قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة وقالت لا يدفن مع رسول الله (ص) أحد.

قال: وحمل مروان بن الحكم سرير الحسن على عنقه الى البقيع فقال له الحسين تحمل سريره وقد كنت تجرعه الغيظ.

قال: وكتب مروان الى معاوية ان بني هاشم أرادوا أن يدفنوا الحسن عند رسول الله (ص) ومال معهم سعيد بن العاص ومنعتهم لأجل عثمان المظلوم ايكون في البقيع وحسن مع رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فكتب اليه معاوية يشكره ثم عزل سعيد بن العاص وولى مرواناً المدينة.

ولما دفن قام أخوه محمد بن الحنفية على قبره باكياً وقال رحمك الله أبا محمد لئن

عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح عمر به بدنك ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك وكيف لا وأنت سليل الهدى وحليف أهل التقى وخامس أصحاب الكسا ربيت في حجر الإسلام ورضعت ثدي الإيمان ولك السوابق العظمى والغايات القصوى وبك أصلح الله بين فئتين عظيمتين ولم بك شعث الدين فعليك السلام فلقد طبت حياً وميتاً وأنشد:

أأدهن رأسي أم تطيب محاسني ... وخدك معفور وأنت سليب
سأبكيك ما ناحت حمامة ايكة ... وما اخضر في دوح الرياض قضيب
غريب واكناف الحجاز تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب

قال الواقدي: ولما بلغ معاوية موته وكان بالخضراء كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد.

وذكر ابن سعد: ان ابن عباس كان بالشام لما توفي الحسن وكان بصره قد ذهب فدخل على معاوية وقال لقائده لا تقدني لئلا يشمت بي معاوية فقال معاوية والله لأخبرنه بما هو أشد عليه من شماتتي به، فقال له هلك الحسن بن علي فقال إنا لله وإنا اليه راجعون ووالله لن تبقى بعده يا معاوية.

وروي ان ابن عباس قال له امات الحسن قال نعم قال لا يحزنك الله ولا يسؤك.

فقال ابن عباس: أما ما أبقاك الله لي فلا يحزنني ولا يسؤني فاعطاه معاوية على كلمته هذه مائة الف درهم وعروضاً وقال اقسمها على أهلك.

﴿ذكر أولاده﴾

قال الواقدي وهشام: كان له خمسة عشر ذكراً وثمان بنات فمن الذكور علي الأكبر، وعلي الاصغر وجعفر، وفاطمة وسكينة، وأم الحسن، وعبد الله، والقاسم، وزيد، وعبد الرحمان، واحمد، واسماعيل والحسين وعقيل، والحسن، وهو أبو عبد الله حسن بن حسن بن علي (ع) وهذا المذكور انما هو ترتيب الواقدي، ومحمد بن هشام.

وأما محمد بن سعد فقد رتبهم في (الطبقات) على غير هذا الترتيب وزاد فقال كان للحسن (ع) من الولد محمداً الاصغر، وجعفر؛ وحمزة؛ وفاطمة؛ درجوا وأمهم أم

كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب؛ ومحمد الأكبر وبه كان يكنى؛ والحسن وأمهم خولة بنت منظور غطفانية، وزيد وأم الحسن، وأم الخير وأمهم أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري واسمه عقبة بن عمرو، واسماعيل ويعقوب وأمهما جعدة بنت الاشعث بن قيس التي سمته؛ والقاسم، وأبو بكر وعبد الله قتلوا مع الحسين يوم الطفوف وأمهم أم ولد ولا بقية لهم وقيل أسم امهم نفيلة التي قال عبد الله بن حسن للسفاح وأشار اليها تبني قصوراً نفعها لبني نفيلة لما نذكر وحسين الاثرم، وعبد الرحمان، وأم سلمة لأم ولد تسمى ظمياء وعمر لأم ولد لا بقية له، وأم عبد الله وهي أم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) وأمها أم ولد تدعى صافية، وطلحة لا بقية له وأمه أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي؛ وعبد الله الاصغر وأمه زينب بنت سبيع بن عبد الله أخي جرير بن عبد الله البجلي وهذا أصح.

وذكر الواقدي انه كان لزيد بن الحسن أولاد منهم؛ محمد لأم ولد لا بقية له؛ ونفيسة بنت زيد تزوجها الوليد بن عبد الملك فتوفيت عنده وأمها لبانة بنت عبد الله ابن العباس؛ وحسن بن زيد ولي المدينة لابي جعفر المنصور وأمه أم ولد.

قال الواقدي توفي زيد بن الحسن ببطحاء بن زاهر على اميال من المدينة فحمل الى البقيع، قال ولم يذكر لنا تاريخ موته الا انه من الطبقة الثانية من التابعين ومن أولاد الحسن بن الحسن بن علي (ع) كان له أولاد منهم عبد الله بن حسن بن علي (ع)، وحسن بن حسن؛ وابراهيم بن حسن بن حسن بن علي (ع) وكلهم ماتوا في حبس المنصور بالكوفة لما نذكر، وزينب بنت حسن بن حسن بن علي (ع) وتزوجها الوليد ابن عبد الملك ثم فارقها، وأم كلثوم بنت حسن وأم الجميع فاطمة بنت الحسين بن علي (ع) وأمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله؛ وجعفر بن حسن بن حسن، وداود، وفاطمة، وأم القاسم ومليكة لأم ولد تدعى حبيبة فارسية، وأم كلثوم لأم ولد، وكل هؤلاء ولد الحسن بن الحسن بن علي (ع)، والمشهور منهم عبد الله بن حسن بن حسن بن علي (ع).

فنذكر بعض سيرته قال الواقدي: فيما حكاه عنه ان كنيته أبو محمد وكان مقيماً بالمدينة حتى زال ملك بني أمية فلما ولي أبو العباس السفاح الخلافة قدم من المدينة في جماعة من الطالبيين وهو بالانبار فأحسن جايزتهم وقدم عبد الله وحباه وقربه وادناه وصنع به شيئاً لم يصنعه باحد وكان يسمر معه بالليل فسمر معه ليلة الى نصف الليل

فدعى أبو العباس بسفط فيه جواهر ففتحه ثم قال يا أبا محمد هذا والله الجوهر الذي وصل الي من الجوهر الذي كان في يد بني أمية فقاسمه اياه ثم نعس أبو العباس فخفق برأسه فانشأ عبد الله يقول:

الم تـر حـوشبـاً أمسى وبيني ... قصـورا نفعهـا لبني نفـيلة
يؤمـل ان يعمـر عمـر نـوح ... وأمـر الله يأتي كـل لـيلة

وانتبه أبو العباس ففهم ما قال، فقال اتمثل هذا الشعر عندي وقد رأيت صنيعي بك وانني لم ادخر عنك شيئاً؛ فقال يا أمير المؤمنين والله مااردت بهاسوء وانها ابيات خطرت لي فان رأيت أن تحمل ما كان مني فلتفعل فقال قد فعلت.

وذكر الصولي في كتاب (الأوراق): ان هذين البيتين انشدهما عبد الله في غيرهذا الوجه؛ فقال لما قدم عبد الله على أبي العباس اخذ بيده وجعل يمر به على قصوره وابنيته التي بناها بالهاشمية وكان معجباً بها فأنشد هذين البيتين فغضب السفاح واحمرت عيناه وجذب يده من يده وقال ما أردت بها فقال والله ما أردت إلا أن أزهدك فيها، فقال السفاح:

اريـد حيـاتـه ويـريـد قتـلي ... عـذيـرك من خليلك من مـراد

فقال اغفرها لي فقال السفاح لا غفر الله لي ان غفرتها لك أبداً.

وفي رواية: فقال له عبد الله اقلني قال لا اقالني الله ان اقلتك أو بت في عسكري فاخرجه الى المدينة.

فلما توفي السفاح حبس أبو جعفر المنصور عبد الله بن حسن بالمدينة.

وذكر الصولي في كتاب (الأوراق) ان السفاح لما غضب على عبد الله بن حسن كلمه فيه المنصور فضحك وقال تكلمني فيه ووالله لا يحيفه سواك.

وقال الصولي: لما قدم عبد الله على السفاح أعطاه ألف ألف درهم وذلك لأنه لما قدم عليه قال له يوماً يا أمير المؤمنين سمعت بالف الف درهم وما رأيتها قط فامر أبو العباس بحملها الى بين يديه فلما احضرت ورآها عبد الله استهابها فقال احملوها معه فجاء الناس يهنون عبد الله فقال شكرتم رجلا اعطانا بعض حقنا وفاز بالباقي فبلغ أبا العباس فلم يقل شيئاً.

﴿ذكر حبس المنصور لعبد الله بن حسن واخوته﴾

قال علماء السير: كان لعبد الله بن حسن بن حسن عدة أولاد نذكرهم بعد وكان المشار اليه منهم، محمد، وابراهيم وكانا يترشحان للخلافة وكان المنصور يخاف منهما وكانا يسكنان البوادي خوفاً منه ثم ينتقلان في الامصار من الحجاز الى اليمن ثم الى البصرة ثم الى الهند ثم الى السند فلما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة اجتمع بعبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة فسأله عن ولديه فقال لا علم لي بهما فاغلظ له أبو جعفر فقال يا ماص بظرأمه؛ فقال له عبد الله يا أبا جعفر بأي امهاتي تمصني بفاطمة بنت رسول الله أم بفاطمة بنت الحسين أم بام اسحاق بنت طلحة أم بخديجة بنت خويلد، ثم حبسه، وقيل انه لما سأله عن ولديه قال والله لو كانا تحت قدمي ما رفعتها عنهما.

وذكر الصولي في (الأوراق) ان عبد الله بن حسن لما لامه الناس في كتم أمر ولديه قال بليتي أعظم من بلية الخليل (ع) لان الله تعالى امره بذبح ابنه وهو طاعة الله تعالى قال الله ان هذا لهو البلاء المبين وهذا يطلب مني ان ادله على ولدي ليقتلهما وهو لله معصية فامر بحبسه فاقام عبد الله محبوساً ثلاث سنين وحبس معه جماعة منهم: حسن، وابراهيم ابنا حسن أخو عبد الله بن حسن وحسن بن جعفر بن حسن وأبو بكر بن حسن بن حسن أخو عبد الله أيضاً وسليمان، وعبد الله، وعلي، وعباس بنو داود بن حسن بن حسن، ومحمد واسحاق ابنا ابراهيم بن حسن بن حسن، وعباس ابن حسن بن حسن بن علي (ع) اخذوه وهو قاعد على بابه فنادت أمه عائشة بنت طلحة بالله دعوني اشمه فلم يفعلوا؛ وعلي بن حسن بن حسن العابد؛ وموسى بن عبد الله بن حسن بن حسن وعلي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، وكان الذي تولى حبسهم رياح بن عثمان ولاه أبو جعفر المدينة فقيدهم وضيق عليهم.

وأول من حبس منهم عبد الله ثم تتابعوا ولم يزالوا محبوسين حتى حج أبو جعفر في سنة أربع وأربعين ومائة هذه السنة وكان حبس عبد الله على ما قيل سنة احدى واربعين؛ فلما قفل أبو جعفر من مكة بعث الى رياح فحملهم وحمل معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وأخو بني حسن بن حسن لامهم جميعاً ويسمى بالديباج وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) فاخذهم رياح فزادهم قيوداً

واغلالا وضيق عليهم حلق الحديد فاثرت في ارجلهم حتى أتى بهم الربذة لأن أبا جعفر لم يدخل في تلك الحجة الى المدينة بل أقام بالربذة حتى وصلوا في المحافل عراة ليس تحتهم وطأ ولا وسائد وأبو جعفر ينظر اليهم من وراء ستر.

قال الطبري: حمل معهم نحواً من أربعمائة من (جهينة ومزينة) وغيرهم من القبائل.

قال عبد الرحمان بن أبي الموالي فانا رأيتهم بالربذة ملقين في الشمس فدعى أبو جعفر بمحمد الديباج وكانت ابنته تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن فقال له اخبرني اين الكذابان الفاسقان يعني ابراهيم، ومحمد، ابني عبد الله بن حسن بن حسن فقال والله ما أدري فضربه أربعمائة سوط ثم القى عليه قميصاً غليظاً ثم نزعه فخرج جلده معه وكان من أحسن الناس ولهذا سمي الديباج وأصاب عينه سوط فذهبت عينه وحمل مكبلا الى أخيه عبد الله بن حسن وهو عطشان فلم يتجاسر احد يسقيه ماء فصاح عبد الله يا معشر المسلمين أيموت أولاد رسول الله (ص) عطاشا ثم ركب أبو جعفر في محمل ومعادله الربيع في الشق الآخر وحمل بنو حسن على اقتاب الجمال مكشوفة رؤوسهم والشمس تقرعها وليس تحتهم غطاء عرايا عطاشا جياعا فمر بهم يوماً أبو جعفر وهو في محمله وقد غطاه بالحرير والديباج فناداه عبد الله بن حسن يا أبا جعفر هكذا فعلنا بكم يوم بدر فلم يكلمه، يشير الى فعل النبي (ص) بالعباس لما أسر يوم بدر وبات يئن في قيوده أو في قيده فقال لقد منعني انين العباس الليلة ان انام ثم حل عنه.

وذكر الصولي في (الأوراق) أن ابن أبي الزناد السعدي لما اخرجوا من المدينة على الجمال وكل واحد يعادله جندي قال:

من لنفس كثيرة الاشفاق	ولعين كثيرة الاطراق
جمدت للذي دهاها زماناً	ثم جادت بدمها المهراق
لفراق الذين راحوا الى المو	ت عيانا والموت مر المذاق
ثم ظلوا يسلمون علينا	باكف مشدودة في وثاق

قال هشام بن محمد: واسم ابنه الديباج التي زوجها ابراهيم رقية فلم يزالوا سائرين حتى قدم بهم أبو جعفر الكوفة على اسوء حال.

قال الواقدي: وكانوا عشرين من أولاد الحسن (ع) فحبسهم بها وقيل حبسهم بالهاشمية مقابل الكوفة في سرداب تحت الارض لا يعرفون ليلا ولا نهاراً وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة موضعه معروف يزار ولم يكن عندهم بئر للماء فكانوا يبولون ويتغوطون في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة فكان الورم يبدو في اقدامهم وكانوا اذا مات عندهم ميت لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون اليه، وقيل بل ردم عليهم الحبس فماتوا.

وقال الطبري: انهم ماتوا عطشاً لأنهم ما كانوا يسقون ماءاً.

واختلف علماء السير في موت عبد الله بن حسن هل كان موته قبل خروج ولديه محمد وابراهيم على المنصور أم بعد ذلك؟ قال قوم بعد موته وقال آخرون قبل موته وهو الاصح لما نذكر.

﴿ذكر خروج محمد وابراهيم على أبي جعفر المنصور﴾

قال علماء السير: لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن وأهله الى العراق اشفق محمد وابراهيم من ذلك فخرجا الى اليمن ثم الى الهند والسند ثم قدما الكوفة مستخفيين وكان أبو جعفر قد وضع عليهما العيون وكانت له مرآة ينظر فيها فيرى ما في الدنيا فنظر يوماً فيها فقال هذا محمد وابراهيم معاً في العسكر وبايع محمداً وابراهيم خلق من عسكر أبي جعفر ثم انهما خافا فمضى محمد الى الحجاز وابراهيم الى البصرة.

﴿ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن﴾

قال علماء السير: كان قد بويع له في عامة الامصار لما رأى الناس من جبروت أبي جعفر وعسفه فخرج محمد بالمدينة في مائتين وخمسين فارساً في رجب وكبروا وأتى السجن فكسر بابه واخرج من فيه وحبس رياح بن عثمان في دار هشام ثم صعد محمد المنبر فخطب وقال: أيها الناس انه قد كان من أمر الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم وقد بنى القبة الخضراء معاندة لله وتصغيراً للكعبة الحرام وانما اخذ الله فرعون حين قال: (أنا ربكم الأعلى) وان أحق الناس بالقيام في هذا الامر أبناء المهاجرين والانصار اللهم انهم قد احلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من اخفت وأخافوا من آمنت اللهم فاخصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم احداً ثم نزل.

قلت: هكذا وقعت هذه الرواية ان محمداً قال وقد بنى القبة الخضراء وهي وهم فان بغداد بنيت بعد قتل محمد وابراهيم.

قال الواقدي: واستولى محمد على المدينة ومكة واليمن.

وذكر ابن جرير في (تاريخه) قال: استفتى مالك بن انس في الخروج مع محمد وقيل له ان في اعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال مالك انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته فما خرج منه.

قال الواقدي وغيره: وكان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور محبوساً عنده فقال أبو جعفر شاوروه فقال ان البخل قد قتل أبا جعفر مروه بانفاق الأموال فان غلب عادت اليه وان لم يغلب لم يقدر عدوه على درهم.

قال هشام بن محمد ولما بلغ أبا جعفر خروج محمد كتب اليه من أمير المؤمنين أبي جعفر الى محمد بن عبد الله قال الله تعالى ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً﴾ إلى قوله ﴿إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم﴾ ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ان تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك فأنت آمن وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعك على دمائهم وأموالهم وأعطيك الف الف درهم وانزلك أي البلاد أحببت واطلق من في حبسي من أهلك وان شئت ان تستوثق لنفسك فابعث الّي من شئت ليأخذ لك الامان والمواثيق والعهود والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله: من محمد ابن عبد الله المهدي الى عبد الله بن محمد (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طايفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي وانما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وخطبتم بفضلنا وان أبانا علي هو الوصي وهو الامام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر احد له نسبنا وشرفنا لسنا من أبناء الطلقاء ولا الطرداء ولا اللعناء ولا يمت احد من بني هاشم بمثل ما نمت به من القرابة

والمسابقة والفضل وإنا بنو أم رسول الله (ص) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو فاطمة بنت رسول الله (ص) في الإسلام فوالدنا علي أول الناس إسلاماً وأول من صلى مع رسول الله وجدنا رسول الله (ص) وجدتنا خديجة الطاهرة وان هاشمًا ولد أبانا مرتين مرة من قبل أبيه ومرة من قبل أمه فاطمة بنت أسد وكذا ولد حسناً مرتين فانا أوسط بني هاشم نسباً واشرفهم أباً لم يتنازع في امهات ولا اولاد ولم يعرق في العجم ولك من الامان على مثل ما ذكرت ان دخلت في طاعتي واجبت دعوتي ان أومنك على نفسك وولدك ومالك وأهلك وعلى كل حدث احدثته إلا حداً من حدود الله وحقاً لمسلم أو معاهد.

وأما قولك عن الامان: فاي الامانات تعطيني، أمان عمك عبد الله بن علي أو أمان أبي مسلم أو أمان ابن هبيرة والسلام.

فكتب اليه أبو جعفر، أما بعد: فاني وقفت على كتابك فاذاً جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاناث كالعصبة والأولياء فان الله تعالى جعل العم أباً؛ وأما ما ذكرت من أولاد فاطمة بنت عمرو فقد حجبها الكفر فلا ترث هي ولا احد من أولادها، وأما قولك ان هاشمًا ولد علياً مرتين فرسول الله سيد الأولين والآخرين لم يلده هاشم إلا مرة وزعمت انك لم تلدك أمهات الأولاد فقد فخرت على من هو خير منك وهو ابراهيم بن رسول الله وما خياركم إلا من أمهات الاولاد لأنه ما ولد فيكم بعد رسول الله (ص) مثل علي بن الحسين وأمه أم ولد وهو خير منك ومن جدك حسن بن حسن وكذا اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمان أمه أم ولد وكذا محمد بن علي بن الحسين أمه أم ولد وما كان فيكم مثله ولا مثل ابنه جعفر وأمه أم ولد وأما قولكم انكم بنوا رسول الله فالله تعالى يقول: ﴿ما كان محمد أبا احد من رجالكم﴾ وأنتم بنوا ابنته وهي وإن كانت قرة عين إلا انها لا تحوز الميراث ولا الولاية ولا يجوز لها الامامة ولا القضاء اليس الاجماع منعقداً على ان الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون مع العصبة، وأما ما فخرت به من سابقة علي وفضله فهذا لا ادفعه غير ان رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة أمر بالصلاة غيره وكان في الستة الذين كانوا شورى فتركوه وقدم عبد الرحمان بن عوف عثمان بن عفان وقتل عثمان وهو متهم به وأبا سعد وصدور الصحابة كابن عمر واسامة بن زيد وغيرهم فانهم تخلفوا عن بيعته وقاتله طلحة والزبير وعائشة واغلقوا أبواب الخلافة

دونه ثم قاتل عليها بكل وجه وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل التحكيم وبعده حتى قاتله منهم جماعة ثم حكم حكمين رضي بهما واعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان جدك حسن بعده فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز ورفع الامر الى غير أهله واخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه واخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان فقتلوا زيداً بالكوفة وابنه يحيى بخراسان واسروا صبيانكم ونسائكم وحملوهم في المحامل بغير وطأ كالسبي المجلوب الى الشام وطافوا برأس عمك حسين بن علي في البلدان حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثاركم وادركنا بدمائكم وأورثناكم ارضهم وديارهم وقد كانت بنو أمية تلعن جدكم علياً على المنابر كما تلعن الكفرة وفي الصلوات المكتوبات فاز لنا ذلك ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقي الحجيج الأعظم وعمارة المسجد الحرام وولاية المقام وزمزم فنازعنا فيها جدك فقضي لنا عليه ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلا بأبينا ولم يتقرب الى الله إلا به وابوكم حاضر فلم يتوسل به ولم يكن بعد رسول الله شرف ولا فضل إلا والعباس أحق به وقد علمت ان الإسلام جاء والعباس يموّن أبا طالب وعياله للازمة التي اصابته ولولا ان العباس اخرج الى بدر مكرهاً لمات طالب وعقيل جوعاً وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فاذهب الله به عنكم العار والسبة وكفاكم النفقة والمؤنة ثم فدى عقيلا يوم بدر فكيف تفخرون علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الاسر وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الانبياء وطلبنا بثاركم فادركنا ما عجزتم عنه والسلام.

ولما يئس أبو جعفر منه بعث اليه عيسى بن موسى عمه وقال ما ابالي أيهما قتل صاحبه لأن السفاح كان قد عهد الى عيسى بعد أبي جعفر وابو جعفر كان يكره ذلك وجهز مع عيسى أربعة آلاف ثم قال له ابذل له الامان قبل قتاله، وسار عيسى فلما وصل الى فيد كتب الى جماعة من اصحاب محمد فتفرقوا عنه وكان قد اجتمع مع محمد بمائة الف فحفر خنادق المدينة واستعد.

وقال الصولي: لما نزل اصحاب ابي جعفر بعقوة محمد لم يكن همه إلا ان حرق ديوانه وكان فيه اسامي من كاتبه وبايعه؛ فلما فرغ من ذلك قال الآن طبت نفساً

بالموت ولولا فعله ذلك لوقع الناس في أمر عظيم وجاء عيسى فوقف على سلع ثم قال يا محمد لك الامان فصاح به محمد والله ما نسمع ما تقول وان الموت في عز خير من الحياة في ذل ثم ترحل فقد بقي معه من مائة الف ثلاثمائة وستة عشر رجلاً على عدد أهل بدر ثم اغتسل هو وأصحابه وتحنطوا وعرقبوا دوابهم ثم حملوا على عيسى وأصحابه فهزموا ثلثاً ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم وقتل حميد بن قحطبة محمداً ولم يعرفه وجاء برأسه الى عيسى واورت أخته زينب وابنته فاطمة جسده بالبقيع وحمل رأسه الى أبي جعفر فنصبه في الكوفة وطاف به في البلدان، وكان مكثه منذ ظهر الى ان قتل شهرين وسبعة يوماً لانه خرج في اول رجب وقتل لاربع عشرة ليلة خلت من رمضان وسنه يوم قتل خمس واربعون سنة وكان قتله عند احجار الزيت، وكان معه ذو الفقار فاخذه عيسى بن موسى ثم انتقل الى الرشيد.

قال الأصمعي انا رأيته وفيه ثمان عشرة فقارة، ولما التقوا قدم قادم على ابي جعفر فقال له ما الخبر فقال هرب محمد فقال ابو جعفر كذبت نحن اهل بيت لا نفر.

وقال ابن سعد في (الطبقات) وام محمد بن عبيد الله هند بنت أبي عبد بن عبد الله ابن زمعة بن الاسود بن المطلب وكنيته أبو عبد الله وهو من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل المدينة.

قال ابن سعد وكان لمحمد من الولد عبد الله قتله هشام بن عمر ببلاد القشمير في المعركة، وعلي مات بالسجن بمصر؛ وحسن قتله موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بفخ صبراً، وفاطمة تزوجها إبن ابن عمها حسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي (ع)، وزينب تزوجها محمد ابن السفاح وكان أبو جعفر قد جهزه مع عيسى بن موسى لقتال محمد فدخل بها ليلة قتل أبوها؛ ثم مات عنها محمد بن السفاح فتزوجها عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ففارقها فتزوجها، محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم فارقها فتزوجها ابراهيم بن حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب (ع) وام جميع من ذكرنا، أم سلمة بنت محمد بنت محمد بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، والطاهر وأمه فاختة بنت فليح من آل الزبير بن العوام، وابراهيم لام ولد أسند الحديث محمد عن نافع مولى ابن عمر وغيره وحدث عنهم.

﴿ذكر مقتل ابراهيم بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله﴾

قال علماء السير وفي هذه السنة ابتدأ المنصور بعمارة بغداد، فبينما هو مشغول بالعمارة إذ ورد عليه الخبر بخروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة وانه غلب على الأهواز وفارس وانه في خلق عظيم ومال الناس اليه وازدادوا حرصاً على قتال أبي جعفر لما قتل محمداً.

وكان خروج ابراهيم غرة شوال وقيل غرة رمضان من هذه السنة فانصرف أبو جعفر من عمارة بغداد وهجر النساء واللذات. وقال والله لا أعود الى شيء منها حتى أعلم رأس ابراهيم لي أو رأسي له وكان قد انضم الى ابراهيم مائة الف وليس عند أبي جعفر سوى الفي فارس كان قد فرق جيوشه في الشام وافريقية وخراسان، ثم سار ابراهيم في العساكر نحو الكوفة فنزل بباخمرى قريباً من الكوفة وكان قد أشار عليه أهل البصرة ان لا يخرج منها فقال له وفد الكوفة ان بالكوفة مائة الف ينتظرون قدومك فاذا رأوك ماتوا دونك فقدم بهذا الطمع فلما نزل بباخمرى خرج ليلة يطوف في عسكره فسمع أصوات الغناء والطنابير فقال ما أظن أن عسكراً فيه هذا ينتصر.

ثم جهز أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال ابراهيم فقيل له بيت عيسى فقال أكره التبييت فقيل له تطلب الملك وتكره القتل ثم التقوا بباخمرى.

قال الشعبي وهي ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا فانهزم أصحاب أبي جعفر إلا عيسى ثبت في مائة رجل من أهله وخواصه وظهر الظفر لابراهيم فبينا هو في المعركة جاء سهم عابر لا يدري من أين هو فذبحه فوقع وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً أردنا أمراً وأراد الله غيره.

وانهزم أصحابه وجاء أصحاب عيسى فجزوا رأسه وأتوا به عيسى فسجد ثم بعثه الى أبي جعفر.

وكان قتله يوم الإثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة من هذه السنة وكان سنه يوم قتل ثمان وأربعون سنة، وكان مدة مقامه من حين خرج الى ان قتل ثلاثة اشهر إلا خمسة أيام.

ولما أتى برأس ابراهيم الى أبي جعفر بكى حتى جرت دموعه على خد ابراهيم ثم

قال أما والله لقد كنت كارهاً لهذا ثم نصبه بالكوفة، ثم قال للربيع احمله الى أبيه عبد الله الى السجن فحمله الربيع فوافاه يصلي فقال له اسرع فاسرع وسلم فنظر الى الرأس فاخذه فوضعه في حجره ثم قال رحمك الله ابا القاسم وأهلا بك وسهلا لقد وفيت بعهد الله وميثاقه.

فقال له الربيع: كيف كان أبو القاسم في نفسك فقال كما قيل:

فتى كان يحميه من الذل سيفه ... ويكفيه سوآت الذنوب اجتنابها

ثم قال للربيع: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك مثلها والملتقى بيننا القيامة والله الحاكم.

قال الربيع: فابلغته ما قال فما رأيته منكسراً مثل انكساره حين قلت له ذلك.

وقال الأصمعي: احضر يوماً الى أبي جعفر هريسة الفستق ومعها مصارين الدجاج محشوة بشحم البط والسكر ودهن الفستق فقال ان ابراهيم ومحمداً أرادا أن يسبقاني الى هذا فسبقتهما اليه.

قال الأصمعي: وباخرى من ارض الطف وقد ذكرها دعبل في قصيدته التائية التي رثى فيها جماعة من أهل البيت وهي:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي موحش العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
الم تر أني مذ ثلاثين حجة ... أروح واغدو دائم الحسرات
أرى فيأهم في غيرهم متقسمًا ... وأيديهم من فيئهم صفرات
وآل رسول الله تحف جسومهم ... وآل زياد غلظة القصرات
بنات زياد في القصور مصونة ... وبنت رسول الله في الفلوات
أحب قصي الرحم من أجل حبكم ... واهجر فيكم زوجتي وبناتي
وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيف لأهل الحق غير مسوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد ... تقطع قلبي اثرهم حسرات
خروج امام لا محالة كائن ... يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنعمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس ابشري ... فغير بعيد كلما هو آتي
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الاولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين بالأطراف مفترقات
هم أهل ميراث النبي اذا اعتزوا ... وهم خير سادات وخير
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلواتي
وأخرى بأرض الجوزجان محلها ... وقبر بباخرى لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمان في الغرفات
فاما المضات التي ليس بالغاً ... مبالغها مني بكنه صفات
نفوس لدى النهرين من ارض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
تقسمهم نهب المنون فما ترى ... لهم عفرة مغشية الحجرات
وقد كان منهم بالحجون وأهلها ... ميامين نحارون في السنوات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والقرآن ذي السورات
ملامك في أهل النبي فانهم ... أوداي ما عاشوا و أهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري لأنهم ... على كل حال خيرة الخيرات
فيارب زدني في يقيني بصيرة ... وزد حبهم يارب في حسناتي
بنفسي أنتم من كهول وفتية ... لفك عناة أو لحمل ديات
لقد خفت في الدنيا وأيام عيشها ... واني لأرجو الامن بعد وفاتي

قوله: قبور بكوفان يريد الكوفة واسمها كوفان وهي الرملة الحمراء وبها سميت وطيبة المدينة سماها رسول الله (ص) بذلك وفخ إسم الشعب الذي فيه محمد بن الحنفية بينه وبين مكة ستة أميال والمقتول فيه الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي (ع) قتله فيه موسى بن عيسى في أيام موسى الهادي سنة تسع وستين ومائة وكان معه سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن فضربوا عنقه بمكة.

فاما الذي بارض الجوزجان فيحيى بن زيد وسنذكر ذلك، خرج في أيام الوليد بن عبد الملك فقتل في المعركة.

وقال ابن سعد في (الطبقات) أم ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن هند بنت

أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب قال لما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة وسلم عليه بالخلافة بعث أخاه ابراهيم الى البصرة فدخلها أول شهر رمضان في هذه السنة يعني سنة خمس وأربعين وقبض وخرج معه من الفقهاء على أبي جعفر عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ وعباد بن العوام واسحاق بن يوسف الازرق ومعاوية ابن هيثم بن بشير في جماعة من العلماء ولم يزل مقيما بالبصرة حتى قتل أخوه محمد بالمدينة فسار الى العراق فقتل وكان له من الولد حسن بن امامة بنت عصمة كلابية وعلي لأم ولد.

وفي هذه السنة قتل أبو جعفر محمد الديباج وهو يعلم ببرائة ساحته وسببه انه حبسه مع عبد الله بن حسن بن حسن فكتب اليه نائبه أبو عون بخراسان ان خراسان قد انتقضت علينا بخروج محمد وابراهيم وطال عليهم أمرهما فضرب عنق محمد الديباج وبعث برأسه اليه بعث معه رجالا يحلفون بالله انه رأس محمد بن عبد الله بن حسن وان أمه فاطمة بنت رسول الله فلما انكشف الامر لأهل خراسان قالوا: لم نطلع لابي جعفر على كذبة غير هذه.

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن حسن بن حسن ومن معه.

فقال ابن سعد في (الطبقات) حدثنا الواقدي قال أول من مات منهم في الحبس عبد الله بن حسن فقال السجان ليخرج أقربكم فليصل عليه فخرج أخوه حسن بن حسن بن حسن فصلى عليه وذلك في يوم عيد الأضحى وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل توفي في بغداد والأول أصح وقيل كان ابن ست وسبعين سنة والأول أشهر.

وذكر الخطيب في (تاريخه) قال: أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن فقيده وحبسه في داره فلما أراد الخروج الى الحج وقفت له ابنة صغيرة لعبد الله على الطريق واسمها فاطمة فلما مر بها أبو جعفر قالت:

ارحم كبيراً سنه متهدماً ... في السجن بين سلاسل وقيود
وارحم صغار فتى يزيد فانهم ... يتموا لفقدك لا لفقد يزيد
ان جدت بالرحم القريبة بيننا ... ما جدنا من جدكم ببعيد

فقال أبو جعفر اذكرتنيه ثم أحدره الى المطبق فكان آخر العهد به قولها (وارحم

صغار فتى يزيد) انما وقع من فلتات لسان فاطمة لا أنه كان لعبد الله بن حسن ابن اسمه يزيد ولا يعرف في آل أبي طالب من اسمه يزيد إلا يزيد بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر وقد انكر عليه بنو هاشم هذا وهجروه لأجل ما سمي به.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني ان عمر بن عبد العزيز (رض) كان يحترم عبد الله بن حسن بن حسن ويعظمه ويقضي حوائجه ورآه يوماً واقفاً ببابه فقال له الم اقل لك اذا كانت لك حاجة فارفعها الي فوالله اني لأستحي من الله ان يراك على بابي.

قال الواقدي: وأم عبد الله بن حسن فاطمة بنت الحسين (ع) وكان له من الولد محمد وابراهيم وقد ذكرناهما وموسى، وادريس وهارون وفاطمة وزينب ورقية؛ وأم كلثوم؛ وأم كلهم هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب، وعيسى. وادريس الاصغر صاحب الأندلس والبربر وداود أمهم عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر المخزومي؛ وسليمان ويحيى صاحب الديلم وأمها قريبة بنت ركيح بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب.

وقال ابن سعد في (الطبقات) كنية عبد الله بن حسن بن حسن أبو محمد وهو من الطبقة الرابعة من التابعين من أهل المدينة.

وقال وحكى الواقدي انه كان من العباد وكان له شرف وهيبة ولسان فصيح.

قال الواقدي: وولده ادريس بن عبد الله كان بالمدينة صغيراً فلما خرج حسين بن علي بفخ خرج معه فلما قتل حسين هرب إدريس إلى الأندلس وأقام هناك وولد له بها وغلب أولاده على تلك الناحية وخلف بالمدينة ابنة اسمها فاطمة فتزوجها ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وقال هشام واما علي فطلبه هارون فلحق بالديلم فاجتمع اليه خلق كثير فبعث اليه هارون الفضل بن يحيى فآمنه فقدم عليه فرده الى المدينة فلما خرج حسين بن علي بفخ صار اليه ثم افلت.

قال الواقدي: ثم مات بعد عبد الله بن حسن بن حسن، ثم محمد الديباج الذي بعث برأسه أبو جعفر الى المشرق وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي (ع) كان أبوه يدعى المطرف لجماله وكان أصغر ولد أمه وكان أخوته لأمه يحبونه وبسببهم قتله أبو جعفر وكان له من الولد خالد، وعبد

العزيز، وعبد الله، والقاسم؛ وعثمان وأمهم أم كلثوم بنت ابراهيم بن محمد بن طلحة التيمي؛ وأمها لبانة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

وقال ابن سعد في (الطبقات) كان معهم في الحبس علي بن حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وهو أبو حسين بن علي بن حسن بن حسن بن حسن صاحب فخ وكان من أفضل أهل زمانه نسكا وعبادة لم يأكل لاحد من أهل بيته طعاماً ولا من القطايع التي كانت أقطعها أبو عباس وابو جعفر ولا توضأ من تلك العيون ولا شرب منها وكانوا يبكون عليه في الحبس ويقولون هذا البائس دهي بسببنا.



الباب التاسع في ذكر الحسين (ع)

وكنيته: أبو عبد الله، ويلقب: بالسيد، والوفي، والولي، والمبارك، والسبط، وشهيد كربلا، ولد سنة أربع من الهجرة في شعبان.

وقال ابن سعد في (الطبقات) علقت به فاطمة (ع) لخمس ليال خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة فكان بين ذلك وبين ولادة الحسن خمسون ليلة ووضعته في شعبان لليال خلون منه سنة أربع.

قال ابن سعد ولما ولد اذن رسول الله (ص) في اذنه.

وقال ابن عباس كان رسول الله (ص) يحبه ويحمله على كتفيه ويقبل شفتيه وثناياه.

قال: ودخل عليه يوماً جبرئيل وهو يقبله، قال اتحبه؟ قال: نعم؛ قال: أمتك ستقتله.

وقال ابن سعد في (الطبقات) أنبأنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي حدثنا حاتم ابن أبي صغيرة عن سماك ان أم الفضل امرأة العباس قالت يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك سقط في بيتي فقال خيراً تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قثم قال فولدت فاطمة الحسين فكفلته أم الفضل قالت فاتيت به الى رسول الله فبينا هو يقبله إذ بال عليه فقال خذيه فاخذته فقرصته قرصة بكى منها فقال يا أم الفضل آذيتيني أبكيت ابني ثم دعا بماء فحدره عليه حدراً وقال اذا كان غلاماً فاحدروه عليه حدراً واذا كانت جارية فاغسلوه غسلا، وفي رواية انما يصب على بول الغلام ويغسل بول الجارية؛ وفي رواية يا أم الفضل لقد أوجع قلبي ما فعلت به ثم قال ينضح أو يرش بول الغلام ويغسل بول الجارية.

وقال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل أخبرنا مهدي عن محمد بن أبي يعقوب عن ابن أبي نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) هما ريحانتاي من الدنيا

يعني الحسن والحسين؛ وهذا الحديث في افراد البخاري.

وقال احمد في المسند حدثنا أبو نعيم أنبأنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقد أخرجه الترمذي أيضاً وقال هذا حديث حسن صحيح وأخبرنا غير واحد عن محمد بن عبد الباقي.

أخبرنا أبو محمد الجوهري: أنبأنا القاضي بن معروف؛ حدثنا أبو محمد بن صادق حدثنا يوسف بن موسى القطان اخبرنا أبو بكر بن عياش حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال:قال رسول الله (ص) هذان ابناي فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني يعني الحسن والحسين.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي عن شداد بن عمار عن واثلة بن الاسقع قال أتيت فاطمة (ع) اسألها عن علي (ع) فقالت توجه الى رسول الله (ص) فجلست انتظره واذا برسول الله (ص) قد اقبل ومعه علي والحسن والحسين قد اخذ بيد كل واحد منهم حتى دخل الحجرة فاجلس الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى واجلس علياً وفاطمة بين يديه ثم لف عليهم كساه أو ثوبه ثم قرأ ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً وهذا الحديث مشتمل على فضل الحسين وغيره.

وذكر احمد في (الفضائل) عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وقال من احبني واحب هذين واباهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) عن يعلى بن عبيد الله بن الوليد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه.

وذكر ابن سعد أيضاً: ان الحسين جاء يوماً الى عمر وهو يخطب على منبر رسول الله (ص) فقال له انزل عن منبر أبي فاخذه فاقعده الى جنبه؛ وقال وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك.

وقال عكرمة؛ حدثني ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب (رض) يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما

عشرة آلاف درهم واعطى ولده عبد الله الف درهم فعاتبه ولده وقال قد علمت سبقتي في الإسلام وهجرتي وأنت تفضل علي هذين الغلامين فقال ويحك يا عبد الله إيتني بجد مثل جدهما وأب مثل ابيهما وأم مثل امهما وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالهما وخالة مثل خالتهما وعم مثل عمهما وعمة مثل عمتهما جدهما رسول الله (ص) وابوهما علي وامهما فاطمة وجدتهما خديجة وخالهما ابراهيم بن رسول الله (ص) وخالتهما زينب ورقية وأم كلثوم وعمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال: كان ابن عباس يمسك بركاب الحسن والحسين حتى يركبا ويقول هما ابنا رسول الله.

وذكر ابن سعد أيضاً عن أبي يحيى قال: قال مروان بن الحكم يوماً للحسن والحسين انكم أهل بيت ملعونين فقال له الحسين يا ملعون يا بن الملعون لقد لعن رسول الله (ص) أباك وأنت في صلبه نحن أهل بيت أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا.

وذكر الثعلبي في تأويل قوله تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ عن سفيان الثوري وسعيد بن جبير ان البحرين علياً وفاطمة والبرزخ محمد رسول الله (ص) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين (ع).

وقال ابن سعيد: كان الحسين يخضب بالحناء والكتم، وفي رواية بالوسمة وفي رواية بالسواد.

﴿ذكر سيرته (ع) مختصراً﴾

قال علماء السير: أقام الحسين بعد وفاة أخيه الحسن يحج في كل عام من المدينة الى مكة ماشياً الى أن توفي معاوية وقام يزيد في سنة ستين وكان معاوية قد قال ليزيد لما أوصاه اني قد كفيتك الحل والترحال ووطأت لك البلاد والرجال واخضعت لك اعناق العرب واني لأتخوف عليك ان ينازعك هذا الامر الذي اسست لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمان بن

أبي بكر، فاما ابن عمر فرجل قد وقذته[1] العبادة واذا لم يبق أحد غيره بايعك، واما الحسين فان أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقا عظيًا، وأما ابن أبي بكر فانه ليست له همة إلا في النساء واللهو فاذا رأى أصحابه قد صنعوا شيئاً صنع مثله، واما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويطرق اطراق الافعوان ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك ابن الزبير فان وثب عليك وامكنتك الفرصة منه فقطعه ارباً اربا.

فلما مات معاوية، كان على المدينة الوليد بن عتبة بن ابي سفيان؛ وعلى مكة عمرو ابن سعيد بن العاص، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد؛ فلم يكن ليزيدهم بعد موت أبيه إلا بيعة النفر الذين سماهم أبوه.

فكتب الى الوليد بن عتبة فامره بأخذ البيعة عليهم اخذاً شديداً ليس فيه رخصة فلما وقف على الكتاب بعث الى مروان بن الحكم فاحضره واوقف على كتاب يزيد واستشاره وقال كيف ترى ان اصنع بهؤلاء قال أرى أن تبعث اليهم الساعة فتدعوهم الى البيعة والدخول في الطاعة فان لم يفعلوا وإلا ضربت اعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية لانهم إن علموا اوثب كل واحد منهم في جانب واظهر الخلاف والمنابذة ودعا الى نفسه إلا ابن عمر فانه لا يرى الولاية والقتال إلا أن يدفع عن نفسه أو يدفع اليه هذا الأمر عنواً، فارسل الوليد عمر بن عثمان الى الحسين والى عبد الله بن الزبير فوجدهما في المسجد فقال أجيبا الأمير فقالا انصرف فالآن نأتيه.

ثم قال ابن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث الينا في هذه الساعة التي ليس له عادة بالجلوس فيها إلا لأمر.

فقال الحسين أظن طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذ البيعة علينا ليزيد قبل أن يفشو في الناس الخبر.

قال ابن الزبير هو ذاك فما تريد أن تصنع قال اجمع فتياني وأذهب اليه فجمع أهله وفتيانه ثم قال اذا دعوتكم فاقتحموا.

ثم دخل على الوليد ومروان عنده فاقرأه كتاب يزيد ودعاه الى البيعة فقال مثلي لا

---

(١) وقذه: صرعه وتركه عليل.

يبايع سراً بل على رؤوس الناس وهو أحب اليكم وكان الوليد يحب العافية فقال انصرف في دعة الله حتى تأتينا مع الناس، فقال له مروان والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت عليه أبداً حتى تكثر القتلى بينكما احبس الرجل عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب الحسين قائماً وقال يا ابن الزرقاء هو يقتلني أو أنت كذبت ومنت؛ ثم خرج فقال الوليد يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس واني قتلت حسينا.

وأما ابن الزبير فانه قال الآن آتيكم ثم خرج في الليل الى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر بن الزبير فارسلوا الطلب خلفهم ففاتهم.

وخرج الحسين في الليلة الآتية بأهله وفتيانه وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير فلحق بمكة.

وبعث الوليد الى ابن عمر فقال: اذا بايع الناس بايعت.

وقال أبو سعيد المقري: سمعت الحسين (ع) يتمثل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول[1] ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في غسق الصبح مغيراً ولا دعوت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيماً والمنايا يرصدنني ان احيدا

ويروى: (حين أعطى مخافة الموت ضيماً) ويروى: (اذا دعوت يزيدا).

قال: فقلت في نفسي ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريده، فخرج بعد ليلتين الى مكة.

وقال السدي: خرج الحسين من المدينة وهو يقرأ فخرج منها خائفاً يترقب فلما دخل مكة فقال له عمرو بن سعيد ما اقدامك فقال عائذاً بالله وبهذا البيت، واقام الحسين بمكة ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة وولاها عمرو بن سعيد الأشدق.

وقال الواقدي: لم يكن ابن عمر بالمدينة حين مات معاوية بل كان بمكة ثم قدم

---

(١) هو يزيد بن مفرغ، الشاعر المشهور.

المدينة بعد ذلك هو وابن عباس ولما استقر الحسين بمكة وعلم به أهل الكوفة كتبوا اليه يقولون إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة فاقدم علينا فنحن في مائة الف؛ فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه ونرجوا أن يجمعنا الله بك على الحق وينفي عنا بك الظلم فانت احق بهذا الامر من يزيد وأبيه الذي غصب الامة فيها وشرب الخمر ولعب بالقرود والطنابير وتلاعب بالدين وكان ممن كتب اليه سليمان بن صرد والمسيب بن نجية ووجوه أهل الكوفة.

قال الواقدي: ولما نزل الحسين مكة كتب يزيد بن معاوية الى ابن عباس أما بعد فان ابن عمك حسينا وعدو الله ابن الزبير التويا ببيعتي ولحقا بمكة مرصدين للفتنة معرضين انفسهما للهلكة، فاما ابن الزبير فانه صريع الفناء وقتيل السيف غداً وأما الحسين فقد احببت الاعذار اليكم أهل البيت مما كان منه وقد بلغني ان رجالا من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنونه الخلافة ويمنيهم الامرة وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتايج الارحام وقد قطع ذلك الحسين وبته وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك فالقه فاردده عن السعي في الفرقة ورد هذه الأمة عن الفتنة فان قبل منك وأناب اليك فله عندي الامان والكرامة الواسعة واجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه، وان طلب الزيادة فاضمن له ما اريك الله انفذ ضمانك واقوم له بذلك وله علي الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كل الامور عليه، عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إلي وقبلي والسلام.

قال هشام بن محمد وكتب يزيد في أسفل الكتاب:

يا أيها الراكب الغادي لمطيته	على عذافرة في سيرها قحم
ابلغ قريشا على نأي المزاربها	بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده	عهد الاله غداً يوفى به الذمم
هنيتم قومكم فخراً بأمكم	أم لعمرى حسان عفة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد	بنت الرسول وخير الناس قد علموا
اني لأعلم أو ظناً لعالمه	والظن يصدق أحياناً فينتظم
ان سوف يترككم ما تدعون به	قتلى تهاداكم العقبان والرخم
يا قومنا لا تشبوا الحرب اذ سكنت	وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا

قد غرت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الامم
فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فرب ذي بذخ زلت به القدم

فكتب اليه ابن عباس: أما بعد: فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فاما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه يكاتمنا مع ذلك أضغانا يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد لا فك الله أسيرها فاراً في أمره ما انت رائه. وأما الحسين فانه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فاخبرني ان عمالك في المدينة أساؤا اليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش فاقبل الى حرم الله مستجيراً به وسألقاه فيما أشرت اليه ولن ادع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفئ به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الامة فاتق الله في السر والعلانية ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة ولا ترصده بمظلمة ولا تحفر له مهواة فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه وكم من مؤمل املا لم يؤت امله وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا واباطيلها فان كل ما شغلت به عن الله يضر ويفنى، وكل ما اشتغلت به من اسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام.

قال هشام بن محمد: ثم ان حسين كثرت عليه كتب أهل الكوفة وتواترت اليه رسلهم ان لم تصل الينا فانت آثم فعزم على المسير فجاء اليه ابن عباس ونهاه عن ذلك وقال له يا ابن عم ان أهل الكوفة قوم غدر قتلوا أباك وخذلوا أخاك وطعنوه وسلبوه وسلموه الى عدوه وفعلوا ما فعلوا، فقال هذه كتبهم ورسلهم وقد وجب علي المسير لقتال اعداء الله فبكا ابن عباس وقال واحسيناه.

وذكر المسعودي في كتاب (مروج الذهب): ان ابن عباس قال له ان كرهت المقام بمكة خوفاً على نفسك فسر الى اليمن فان فيها عزلة ولنا بها أنصار وأعوان وبها قلاع وشعاب واكتب الى أهل الكوفة فان اخرجوا أميرهم وسلموها الى نايبك فسر اليهم فانك ان سرت اليهم على هذه الحالة لم آمن عليك منهم وان عصيتني فاترك أهلك وأولادك ها هنا فوالله اني لخائف عليك ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وأهله ينظرون اليه.

قلت: وهذا معنى قول علي (ع) لله در ابن عباس فانه ينظر من ستر رقيق فلما يئس ابن عباس منه حزن لفقده ولقي ابن الزبير فقال يا ابن الزبير قرت عينك وأنشد:

يـا لـك من قبـرة بمعمـر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

قال الواقدي: ولما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين دخل عليه سفري فلامه ووبخه ونهاه عن المسير وقال له يا ابا عبد الله سمعت جدك رسول الله (ص) يقول ما لي وللدنيا وما للدنيا ومالي وأنت بضعة منه.

وذكر له نحو ما ذكر ابن عباس فلما رآه مصراً على المسير قبل ما بين عينيه وبكى وقال استودعك الله من قتيل.

ولما بلغ ابن الزبير عزمه دخل عليه وقال له لو اقمت ها هنا بايعناك فانت أحق من يزيد وأبيه وكان ابن الزبير أسرّ الناس بخروجه من مكة وانما قال له هذا لئلا ينسبه الى شيء آخر.

ولما بلغ محمد بن الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طشت فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره ولما كثروا عليه أنشد أبيات أخي الأوس:

سأمضي فما في الموت عار على الفتى اذا ما نوى خيراً وجاهد مغرما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما
وان عشت لم اذمم وان مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ثم قرأ (وكان أمر الله قدراً مقدورا) ثم بعث الحسين قبل خروجه من مكة الى الكوفة مسلم بن عقيل وقال له أنظر ما كتبوا به الينا فان كان حقاً فاخبرني فاستعفاه مسلم فلم يعفه فقال له يا ابن عم الناس كثير فبالله لا تلقى الله بدمي فقال له لا بد من مسيرك فسار حتى أتى الكوفة.

وأما الحسين (ع): فانه خرج من مكة سابع ذي الحجة سنة ستين فلما وصل بستان بني عامر لقي الفرزدق الشاعر وكان يوم التروية فقال له الى أين يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الموسم قال لو لم اعجل لاخذت اخذاً فاخبرني يا فرزدق عما ورائك فقال تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية فاتق الله في نفسك وارجع.

فقال له: يا فرزدق ان هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان

وأظهروا الفساد في الأرض وابطلوا الحدود وشربوا الخمور واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين وأنا أولى من قام بنصرة دين الله واعزاز شرعه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا؛ فاعرض عنه الفرزدق وسار.

﴿ذكر مسير مسلم بن عقيل وقتله﴾

قال علماء السير: ولما قدم مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له عوسجة ودب اليه أهل الكوفة فبايعه منهم اثني عشر الفاً وقيل ثمانية عشر الفاً فكتب إلى الحسين يخبره بذلك فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية فدخل على النعمان بن بشير وكان والياً على الكوفة فقال له انك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد وأخبره بقصة مسلم فقال له النعمان والله لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب اليّ من أن أكون قوياً في معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله.

فكتب الى يزيد بقوله وكان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد وانما احتاج اليه.

فكتب اليه إني قد وليتك الكوفة مع البصرة وان الحسين قد سار الى الكوفة فاحترز منه وان مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثما فما مر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا وعليك السلام يا بن بنت رسول الله وهم يظنون انه الحسين (ع) فلم يزل كذلك حتى نزل قصر الامارة فدعى مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال اذهب فسل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة فأعلمه انك من شيعته وادفع اليه هذا المال ليتقوى به فلم يزل يتلطف حتى دخل على مسلم بن عقيل وعنده هاني بن عروة فبايعه ودفع اليه المال وتحول مسلم بن عقيل الى دار هاني بن عروة المرادي، فقال ابن زياد لأهل الكوفة ما بال هاني بن عروة لم يأتني فقال محمد بن الأشعث أنا آتيك به فجاء محمد فدخل على هاني وقال له ان الأمير قد ذكرك ولم يزل به حتى جاء به اليه وعند ابن زياد شريح القاضي. فلما نظر اليه ابن زياد قال أتتك بخائن رجلاه فلما سلم عليه قال له يا هاني أين مسلم فقال لا أدري فامر ابن زياد مولاه الذي أعطاه الدراهم فخرج فلما رآه هاني اسقط في يديه وقال والله ما دعوته وانما جاء فرمى بنفسه علي في منزلي فقال آتيني به فقال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فضربه ابن زياد بقضيب فشجه ومال هاني الى سيف

شرطي ليأخذ سيفه فدفع عنه . فقال ابن زياد قد احل الله دمك واجتمعت مذحج على باب القصر وصاحوا فقال ابن زياد للقاضي شريح اخرج اليهم وقل لهم انما حبسه ليسأله فقال له هاني يا شريح اتق الله فانه قاتلي فخرج اليهم شريح فقال لهم ذلك فتفرقوا .

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر فخرج من دار هاني ونادى بشعاره فاجتمع اليه أربعة آلاف من أهل الكوفة فعبأهم وسار إلى القصر وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة فقال لهم قوموا ففرقوا عشايركم عن مسلم وإلا ضربت اعناقكم فصعدوا على القصر وجعلوا يكلمونهم فتفرق من كان مع مسلم وتسللوا عنه ودهمه الليل وقد بقي وحده فجاء الى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت اليه فقال لها يا أمة الله اسقيني ماءاً فسقته وقالت من أنت فقال أنا مسلم بن عقيل فقالت ادخل فدخل وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فاخبر ابن الأشعث فاخبر ابن زياد فبعث اليه عمرو بن حريث المخزومي وكان على شرطته ومعه محمد بن الاشعث فأحاطوا بالدار فخرج اليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الاشعث وجاء به الى ابن زياد فامر به فاصعد الى أعلى القصر فضربت عنقه والقى رأسه الى الناس وصلبت جثته بالكناسة ثم فعل بهاني بن عروة كذلك فقال الشاعر :

فان كنت لاتدرين بالموت فانظري الى هانيء بالسوق وابن عقيل
أصابهما ريب المنون فاصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل

وقال آخر في ممالاة ابن الاشعث على مسلم بن عقيل ،

وتركت عمك لم تقاتل دونه فشلا ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد حزب آل محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الاشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد وكان قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم وقيل يوم رحيله ولم يعلم الحسين بما جرى في الكوفة .

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل الى دمشق الى يزيد ، وهو أول رأس حمل من رؤوس بني هاشم وجثة مسلم أول جثة صلبت منهم .

وذكر ابن هشام بن محمد وابن اسحاق في قصة مسلم بن عقيل ما هو أتم من هذا، فقالا لما خرج الحسين (ع) من المدينة لقيه عبد الله بن مطيع فقال يا أبا عبد الله الى اين جعلت فداك فقال الى مكة فقال له اياك وأهل الكوفة وذكر غدرهم وفعلهم بعلي (ع) والحسن؛ ثم قال له الزم الحرم فانك سيد العرب ولن يعدلوا بك احداً ويأتيك الناس من كل جانب فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فأقبل حتى نزل مكة واختلف الناس اليه من الآفاق وابن الزبير قد لزم الكعبة يصلي عندها نهاراً ويطوف ليلا ويين كل راحتين وفي كل يوم يأتي حسيناً وهو اثقل خلق الله على ابن الزبيرلعلمه بميل الناس الى الحسين دونه وكان ابن الزبير يشير اليه بالخروج.

قال ابن اسحاق: فلما بلغ الشيعة بالكوفة ان الحسين بمكة وانه قد امتنع من بيعة يزيد اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد فقال لهم يا قوم قد امتنع الحسين من بيعة يزيد وانتم شيعة أبيه فان كنتم تنصرونه وتجاهدوا عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل بنفسه، فقالوا لا والله بل ننصره ونبذل نفوسنا دونه فكتبوا اليه بما قدمنا ذكره، وبعثوا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال فقدما الى الحسين لعشرة مضين من رمضان ثم بعثوا بعدهما بيومين قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمان بن عبد الله الارجي وعمارة بن عبد الله السلولي ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من أهل الكوفة ثم لبثوا يومين وسرحوا هاني بن هاني السبعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبوا معهما الى الحسين كتاباً فيه الناس ينتظرون قدومك لا رأي لهم في غيرك فحي هلا العجل العجل.

وكتب اليه شبث بن ربعي وحجار بن أبحر وزيد بن الحرث وعروة بن قيس في آخرين، أما بعد: فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار فاقدم فانك تقدم على جند مجند لك والسلام.

واجتمعت الرسل كلها بمكة عنده، فحينئذ بعث اليهم مسلم بن عقيل وكتب معه كتاباً قد بعثت اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب الّي بحالكم فان كتب إلي انه قد اجتمع رأي ملئكم وذي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم قدمت عليكم وإلا لم اقدم والسلام.

ثم دعا مسلم بن عقيل فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله

السلولي وعبد الرحمان بن عبد الله الارحبي وأمره بكتمان الامر فسار مسلم الى الكوفة فلما وصلها نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي واقبلت الشيعة اليه فقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا بأجمعهم ثم قالوا والله لنضربن بين يديه بسيوفنا حتى نموت جميعاً وبلغ النعمان بن بشير الخبر فخطب وقال احذروا الفتن وسفك الدماء وكان النعمان يحب العافية فناداه عبد الله بن مسلم بن السعيد الحضرمي حليف بني أمية والله انه لا يصلح ما ترى إلا الغشم وان رأيك رأي المستضعفين فقال لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله خير من ان أكون قوياً في معصية الله.

فكتب عبد الله إلى يزيد بذلك فعزل النعمان وولى ابن زياد، فلما دخل ابن زياد الكوفة طلب مسلم بن عقيل على ما قدمناه وقتله وبعث برأسه ورأس هاني بن عروة الى يزيد وكتب اليه الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه، فكتب اليه يزيد يشكره ويقول: قد عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش وقد صدق ظني فيك وبلغني ان الحسين قد توجه الى العراق فضع له المناظر والمسالح واحترس منه واحبس على الظنة وخذ على التهمة واكتب اليّ كل ما يحدث من خير وشر والسلام.

وقال هشام: كان مخرج الحسين من المدينة الى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة.

وقال هشام بن محمد أيضاً: كان الحسين قد بعث قيس بن مسهر الى مسلم بن عقيل ليستعلم خبره قبل ان يصل اليه فأخذه ابن زياد وقال له قم في الناس واشتم الكذاب ابن الكذاب يعني الحسين فقام على المنبر وقال أيها الناس اني تركت الحسين بالحاجر وأنا رسوله اليكم لتنصروه فلعن الله الكذاب ابن الكذاب ابن زياد فطرح من القصر فمات.

﴿ذكر وصول الحسين (ع) إلى العراق﴾

قال علماء السير: ولم يزل الحسين قاصداً الكوفة مجداً في السير ولا علم له بما جرى على مسلم بن عقيل حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال تلقاه الحر بن

يزيد التميمي فسلم عليه وقال أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال أريد هذا المصر فقال له ارجع فوالله ما تركت لك خلفي خيراً ترجوه وأخبره بقتل مسل بن عقيل وهاني بن عروة وقدوم ابن زياد الكوفة واستعداده له فهم بالرجوع وكان معه اخوة مسلم بن عقيل فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا ونقتل فقال لا خير في الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوايل خيل ابن زياد، فلما رأى ذلك عدل الى كربلا فاسند ظهره الى قصب وحلف ألا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب ابنيته وكان في خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

وكان[1] ابن زياد قد جهز عمر بن سعد بن أبي وقاص لقتال الحسين في أربعة آلاف وجهز خمسمائة فارس فنزلوا على الشرايع.

وقال ابن زياد لعمر بن سعد: إكفني هذا الرجل- وكان عمر يكره قتاله- فقال أعفني؛ فقال لا أعفيك، وكان ابن زياد قد ولى عمر بن سعد الري وخوزستان فقال قاتله وإلا عزلتك فقال امهلني الليلة فأمهله ففكر فاختار ولاية الري على قتل الحسين فلما اصبح غدا عليه فقال أنا اقاتله.

---

(١) قلت: الذي استفاض في روايات الشيعة وهم أهل هذا البيت وادرى بما في البيت، ان العسكر الذين أحاطوا بالحسين وأهله (ع) يقربون الى ثلاثين الفاً، بل حكي أزيد من ذلك الى مائة الف وأكثر، والثلاثون الفاً هو المروي عن صادق أهل البيت (ع)، ومن اشعار رجزه المعروفة في المعركة:

وابن سعد قد رماني عنوة بجنود كوكوف الهاطلين

وفي كتاب (مطالب السؤول) من تأليفاتهم انهم كانوا إثنين وعشرين الفاً: وفي كتاب محمد بن أبي طالب ما حاصله: ان ابن زياد سير ابن سعد الى الحسين في تسعة آلاف؛ ثم يزيد بن ركاب الكلبي في الفين والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف والمازني في ثلاثة آلاف ونصر بن فلان في الفين فذلك عشرون الفا ما بين فارس وراجل.

وذكر السيد ابن طاوس (ره): ان الحسين (ع) بعد قتل أصحابه وأنصاره دعا الناس الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه حتى قتل مقتلة عظيمة، وعن بعض من حضر المعركة انه قال والله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا منه وان كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليهم بسيفه فينكشفون عنه انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين الفاً فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ثم يرجع الى مركزه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (وقال) ابن شهر اشوب ومحمد بن أبي طالب ولم يزل يقاتل حتى قتل الف رجل وتسعمائة رجل وخمسين رجلا فقال عمر بن سعد لقومه الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون هذا ابن الانزع البطين هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب وكانت الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهام، قلت: والعجب ان المصنف مع بعض انصافه في غير المقام ما أنصف ها هنا بل هون الأمر وسهل الخطب وأراد إخفاء الشجاعة الحسينية الموروثة من أبيه وجده (ص) فقد حكي ان الناس بعد وقعة الطف ما كانوا يذكرون شجاعة من سلف حتى أمير المؤمنين (ع) وانما يذكرون شجاعته وشجاعة أصحابه وأولاده فان علي بن الحسين قتل من القوم مأتي فارس شجاع ويقرب منه غيره والذي يظهر ان المقتولين منهم يزيدون على الاربعة آلاف والذين ذكرهم المصنف.

قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب (ع) في هذا فانه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال ويحك يا ابن سعد كيف بك اذا اقمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار.

وقال الواقدي وغيره: لما رحل الحسين (ع) من القادسية وقف يختار مكاناً ينزل فيه واذا سواد الخيل قد أقبل كالليل وكأن راياتهم اجنحة النسور واسنتهم اليعاسيب فنزلوا مقابلهم ومنعوهم الماء ثلاثة أيام، فناداه عبد الله بن حصن الأزدي يا حسين ألا تنظر الى الماء كأنه كبد السماء ووالله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال الحسين اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً فكان بعد ذلك يشرب الماء ولا يروى حتى سقي بطنه فمات عطشاً.

وناداه عمرو بن الحجاج يا حسين هذا الماء تلغ فيه الكلاب وتشرب منه خنازير أهل السواد والحمر والذئاب وما تذوق منه والله قطرة حتى تذوق الحميم في نار الجحيم فكان سماع هذا الكلام على الحسين أشد من منعهم إياه الماء. قال فلما أشتد بالحسين وأصحابه العطش بعث بالعباس بن علي (ع) أخيه الى المشارع في ثلاثين فارساً وعشرين راجلا فاقتتلوا عليه ولم يمكنوهم من الوصول اليه.

وكان عمر بن سعد يكره قتال الحسين فبعث اليه يطلب الاجتماع به فاجتمعا خلوة فقال له عمر ما جاء بك فقال أهل الكوفة فقال ما عرفت ما فعلوا معكم فقال من خادعنا في الله انخدعنا له، فقال له عمر قد وقعت الآن فما ترى فقال دعوني ارجع فأقيم بمكة أو المدينة أو اذهب الى بعض الثغور فاقيم به كبعض أهله فقال أكتب الى ابن زياد بذلك فكتب الى ابن زياد يخبره بما قال فهم ابن زياد ان يجيبه الى ذلك فقال شمر بن ذي الجوشن الكلابي لا تقبل منه حتى يضع يده في يدك فانه ان افلت كان أولى بالقوة منك وكنت أولى بالضعف منه فلا ترض إلا بنزوله على حكمك؛ فقال ابن زياد نعم ما رأيت وكتب الى ابن سعد اما بعد: فاني لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله وتمنيه السلامة وتكون شافعاً له عندي فان نزل على حكمي ووضع يده في يدي فابعث به اليّ وان أبى فازحف عليه واقتله وأصحابه واوطىء الخيل صدره وظهره ومثل به وان ابيت فاعتزل عملنا وسلمه الى شمر بن ذي الجوشن فقد أمرناه فيك بامر وكتب الى أسفل الكتاب:

الآن حين تعلقته حبالنا   يرجو الخلاص ولات حين مناص

ورفع الكتاب الى شمر وقال: اذهب اليه فان فعل ما أمرته به وإلا فاضرب عنقه وأنت الامير على الناس وابعث اليَّ برأسه.

قلت: وقد وقع في بعض النسخ ان الحسين (ع) قال لعمر بن سعد دعوني أمضي الى المدينة أو الى يزيد فاضع يدي في يده ولا يصح ذلك عنه فان عقبة بن سمعان قال صحبت الحسين من المدينة الى العراق ولم أزل معه الى ان قتل والله ما سمعته قال ذلك.

قال الواقدي: ولما وصل شمر الى عمر بن سعد ناداه عمر بن سعد لا أهلا والله بك ولا سهلا يا ابرص لا قرب الله دارك ولا ادنى مزارك وقبح ما جئت به، ثم قرأ الكتاب وقال والله لقد ثنيته عما كان في عزمه ولقد اذعن ولكنك شيطان فعلت ما فعلت فقال له شمر ان فعلت ما قال الأمير وإلا فخل بيني وبين العسكر فبعث عمر الى الحسين فأخبره بما جرى فقال والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً وأنشد:

.(لا ذعرت السوام في فلق الصبح)

وقد ذكرناه، وذكر جدي أبو الفرج في كتاب (المنتظم) ان شمر بن ذي الجوشن وقف على اصحاب الحسين وقال اين بنو أختنا؟ فخرج اليه العباس وعثمان وجعفر بنو علي بن أبي طالب (ع) فقالوا ما الذي تريد؟ فقال أنتم يا بني أختي آمنون فقالوا لعنك الله ولعن أمانك اتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له.

قلت ومعنى قول شمر أين بني اختنا يشير الى أم البنين بنت حزام الكلابية وشمر كان كلابياً.

وقال ابن جرير: وكان شمر قد أخذ من ابن زياد اماناً لبنيها وكانت تحت علي (ع) وهؤلاء الثلاثة بنوها.

وذكر ابن جرير أيضاً: أن جرير بن عبد الله بن مخلد الكلابي. كانت أم البنين عمته فأخذ لهم أماناً هو وشمر بن ذي الجوشن.

﴿ذكر مقتله (ع)﴾

قال هشام ثم ان عمر بن سعد لما يئس منه نادى يا خيل الله اركبي فزحفوا اليه ولما علم الحسين انهم قاتلوه عرض على أصحابه وأهله الإنصراف وان يتفرقوا عنه فبكوا

وقالوا قبح الله العيش بعدك وسمعته أخته زينب بنت علي (ع) فقامت تجر ثوبها وتقول واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم قتل أبي علي اليوم ماتت أمي فاطمة اليوم مات أخي الحسن يا خليفة الماضين ويا ثمال الباقين ثم لطمت وجهها والحسين يعزيها وهي لا تقبل العزاء. والثمال الغياث وأصله من الثميلة وهي البقية من الماء.

ثم قال الحسين ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا (كربلا) ويقال لها أرض (نينوى) قرية بها فبكى وقال كرب وبلاء؛ اخبرتني أم سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله (ص) وأنت معي فبكيت فقال رسول الله (ص) دع ابني فتركتك فأخذك ووضعك في حجره فقال جبرئيل أتحبه؟ قال نعم؛ قال فان أمتك ستقتله. قال وان شئت أن أريك تربة ارضه التي يقتل فيها؟ قال نعم؛ قالت: فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلا فأراه إياها، فلما قيل للحسين هذه أرض كربلا شمها وقال هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله وانني اقتل فيها.

وفي رواية: قبض منها قبضة فشمها وقد ذكر ابن سعد في (الطبقات) عن الواقدي بمعناه وقال: فاستيقظ رسول الله (ص) وبيده تربة حمراء.

وذكر ابن سعد أيضاً عن الشعبي قال لما مر علي (ع) بكربلا في مسيره صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات وقف ونادى صاحب مطهرته اخبر أبا عبد الله ما يقال لهذه الأرض فقال كربلا فبكا حتى بلّ الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال كان عندي جبرئيل آنفاً واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشط الفرات بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب فشمني اياها فلم املك عيني ان فاضتا.

وقد روى الحسن بن كثير وعبد خير قالا: لما وصل علي (ع) الى كربلا وقف وبكى وقال بابيه اغيلمة يقتلون ها هنا هذا مناخ ركابهم هذا موضع رحالهم هذا مصرع الرجل ثم ازداد بكاؤه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قام يصلي ويدعو ويترحم على أخيه الحسن، وذلك لأن الحسن قال له لما احتضر يا أخي اسمع ما أقول ان اباك لما قبض رسول الله (ص) تسوف الّي بهذا الامر رجاء ان يكون صاحبه فصرف عنه الى غيره؛ فلما احتضر أبو بكر تسوف أن يكون صاحبه فصرف عنه الى عمر فلما احتضر عمر تسوف ان يكون صاحبه فصرف عنه الى عثمان تجرد أبوك

للطلب بالسيف ولم يدركه وابى الله ان يجعل بيننا أهل البيت النبوة والدنيا والخلافة والملك فاياك وسفهاء أهل الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص.

ولما طلع الفجر: وهو يوم الجمعة عاشر المحرم؛ وقيل يوم السبت من سنة احدى وستين عبىء أصحابه ميمنة وميسرة وكانوا كما ذكرنا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل؛ وقال قوم كانوا سبعين فارساً ومائة راجل وقيل كان معه ثلاثون فارساً.

وذكر المسعودي: انه كان معه الف والأول أصح.

وقال المسعودي: قتل منهم احد وثمانون نفساً ولم يحضر قتال الحسين أحد من أهل الشام بل كلهم من أهل الكوفة ممن كاتبه وكانوا ستة آلاف مقاتل فأعطى الحسين الراية أخاه العباس وجعل البيوت والحرم خلفه فاطلق القوم النار من وراء البيوت فناداه شمر يا حسين تعجلت النار في الدنيا فقال له الحسين يا ابن راعية المعزى إليّ تقولَ هذا أنت والله أولى بها صلياً؛ ثم ناداه محمد بن الأشعث ابشر الساعة ترد الجحيم فقال من هذا فقالوا ابن الأشعث فقال لعنك الله وقومك.

ثم نادى الحسين يا أهل الكوفة أما هذه كتبكم إليّ اقدمتموني وغررتموني أين عهودكم ومواثيقكم فلم يجبه أحد، وفي رواية انه نادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الأشعث ويا زيد بن الحرث ويا فلان ويافلان ألم تكتبوا اليّ؟ فقالوا ما ندري ما تقول.

وكان الحر بن يزيد اليربوعي من ساداتهم فقال له بلى والله لقد كاتبناك ونحن الذين اقدمناك فابعد الله الباطل وأهله والله لا أختار الدنيا على الآخرة ثم ضرب رأس فرسه ودخل في عسكر الحسين فقال له الحسين أهلا بك وسهلا أنت والله الحر في الدنيا والآخرة ثم ناداهم الحر ويحكم لا أم لكم أنتم الذين أقدمتموه فلما أتاكم اسلمتموه فصار كالاسير ومنعتموه وأهله الماء الجاري الذي تشرب منه اليهود والنصارى والمجوس ويتمرغ فيه خنازير السواد بئس ما خلفتم محمداً في أهله وذريته واذا لم تنصروه وتفوا له بما حلفتم عليه فدعوه يمضي حيث شاء من بلاد الله أما أنتم بالله مؤمنون وبنبوة محمد جده مصدقون وبالمعاد موقنون ثم حمل وقال:

أضرب في أعناقكم بالسيف   عن خير من حل منى والخيف

وقتل منهم جماعة، ثم تكاثروا عليه فقتلوه.

قال الواقدي: أول من رمى في عسكر الحسين بسهم عمر بن سعد.

وقال هشام بن محمد: لما رآهم الحسين مصرين على قتله أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى بيني وبينكم كتاب الله وجدي محمد رسول الله يا قوم بم تستحلون دمي الست ابن بنت نبيكم ألم يبلغكم قول جدي في وفي أخي هذان سيدي شباب أهل الجنة إن لم تصدقوني فسألوا جابراً وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري أليس جعفر الطيار عمي؟ فناداه شمر الساعة ترد الهاوية؛ فقال الحسين ﴿الله اكبر﴾ اخبرني جدي رسول الله فقال رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي وما أخالك إلا إياه، فقال شمر أنا اعبد الله على حرف ان كنت أدرى ما تقول فالتفت الحسين فاذا بطفل له يبكي عطشاً فأخذه على يده وقال يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل؛ فرماه رجل منهم بسهم فذبحه، فجعل الحسين يبكي ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، فنودي من الهوى دعه يا حسين فان له مرضعاً في الجنة؛ ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول اللهم اني أشكو اليك ما يفعل بي وبأخوتي وولدي وأهلي ثم اشتد به العطش فهم أن يلقي نفسه بين القوم ثم شرفت نفسه عن ذلك ثم جاء وقت صلاة الظهر فصلى بأصحابه صلاة الخوف فبينا هم في الصلاة تكالبوا عليه فحمل زهير بن القين يذب عن الحسين ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين اردكم بالسيف عن حسين

ثم صاح زهير بالحسين:

اقدم هديت هادياً مهديا اليوم تلقى جدك النبيا
وحسناً والمرتضى عليا

فخفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول رأيت الساعة جدي رسول الله وهو يقول يا بني اصبر الساعة تأتي الينا، وصاح شمر ما تنتظرون به احملوا عليه فتشدد الحسين ولبس سراويلا ضيقا فأعجلوه؛ فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط، وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى فأبانها فجعل يبكي، وحمل عليه سنان بن أنس النخعي فطعنه برمح في ترقوته ثم نزل فحز رأسه بعد أن

ذبحه. وقد اختلفوا في قاتله على أقوال أحدها: سنان بن أنس النخعي، (قال هشام ابن محمد)، والثاني (الحصين بن نمير رماه بسهم ثم نزل فذبحه وعلق رأسه في عنق فرسه ليتقرب به الى ابن زياد)، والثالث مهاجر بن أوس التميمي، (والرابع كثير بن عبد الله الشعبي)، والخامس شمر بن ذي الجوشن. والاصح انه سنان بن أنس النخعي وشاركه شمر بن ذي الجوشن.

ولما دخل سنان على الحجاج قال له أنت قاتل الحسين؟ قال نعم، قال ابشر فانك أنت واياه لا تجتمعان في دار أبداً.

قالوا فما سمع من الحجاج كلمة خيراً منها؛ ثم عدوا ما في جسده فوجدوه ثلاثاً وثلاثين طعنة برمح وأربعاً وثلاثين ضربة بسيف ووجدوا في ثيابه مائة وعشرين رمية بسهم، وسلبوه جميع ما كان عليه حتى سرواله اخذه بحر بن كعب التميمي، واخذ قميصه اسحاق بن حوية الحضرمي، واخذ سيفه القلانس النهشلي، واخذ قطيفته قيس بن الأشعث الكندي، واخذ نعليه الأسود بن خالد الأزدي، واخذ عمامته جابر بن يزيد، واخذ برنسه مالك بن بشير الكندي

وقال عمر بن سعد من جاء برأس الحسين فله الف درهم.

وقال عمر أيضاً: من يوطىء الخيل صدره؟ فأوطؤوا الخيل ظهره وصدره ووجدوا في ظهره آثاراً سوداً فسألوا عنها فقيل كان ينقل الطعام على ظهره في الليل الى مساكن أهل المدينة، واخذ ملحفة فاطمة بنت الحسين واحد، واخذ حليها آخر وعروا نساءه وبناته من ثيابهن.

قال الواقدي: وجاء سنان بن أنس (وقيل شمر) فوقف على باب فسطاط عمر بن سعد وقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وابا ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فناداه عمر بن سعد: أو مجنون أنت لو سمعك ابن زياد لقتلك.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) ان سنان بن أنس النخعي جاء الى باب ابن زياد وانشد هذه الأبيات فلم يعطه ابن زياد شيئاً.

﴿ذكر من قتل مع الحسين (ع) من أهله﴾

قال هشام بن محمد: قتل من آل أبي طالب جماعة، منهم: الحسين بن علي (ع) قتله سنان بن أنس، والعباس بن علي قتله زيد بن رقاد، وقتل أخوه جعفر وعبد الله وعثمان وهم من أم البنين التي ذكرناها؛ وقتل محمد بن علي (ع) وأمه أم ولد، وقتل أبو بكر بن علي وأمه ليلى بنت مسعود بن دارم؛ وقتل علي بن الحسين بن علي وهو علي الاكبر وأمه ليلى بنت مرة الثقفية، قتله مرة بن سعد العبدي؛ وقتل عبد الله بن الحسين وأمه الرباب بنت امرء القيس قتله هاني بن ثابت الحضرمي؛ واستصغروا علي بن الحسين فلم يقتلوه؛ وقتلوا أبا بكر بن الحسين بن علي وأمه أم ولد قتله عبد الله بن عقبة الغنوي؛ وقتل عبد الله بن الحسن بن علي (ع) وأمه أم ولد قتله سعد بن عمر بن نفيل الازدي وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه جمانة بنت المسيب بن نجية قتله عبد الله بن قطبية الطائي. وكان لجعفر ولد آخر اسمه عون أمه أسماء بنت عميس وقد ذكرناه؛ وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الحوط بنت حفصة تميمية، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب وأمه أم البنين ابنة النفراء قتله بشر بن حوط الهمداني، وقتل أخوه عبد الله بن عقيل وأمه أم ولد قتله عمر بن صبيح. وقد ذكرنا أنّ زياداً قتل مسلم بن عقيل وأمه أم ولد، وقتل عبد الله ابن مسلم بن عقيل وأمه رقية بنت علي (ع) وأمها أم ولد قتله عمر بن صبيح الصيداوي، وقتل محمد بن مسلم بن عقيل وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر الجهني (واستصغروا الحسن بن الحسن بن علي فلم يقتلوه) واستصغروا أيضاً عمر بن الحسن بن علي (ع) فلم يقتلوه وتركوه.

فالحاصل إنهم قتلوا من آل أبي طالب تسعة عشر، سبعة لعلي (ع) الحسين، والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعثمان، ومحمد، وأبو بكر، ومن ولد الحسين اثنان علي، وعبد الله، ومن ولد الحسن بن علي ثلاثة أبو بكر، والقاسم وعبد الله، ومن ولد عبد الله بن جعفر اثنان عون، ومحمد، ومن ولد عقيل خمسة، مسلم؛ وجعفر، وعبد الله بن مسلم بن عقيل وأخاه محمد بن مسلم.

وذكر المدايني: انه قتل مع الحسين عبد الرحمان بن عقيل وعون بن عقيل، فعلى هذا هم احد وعشرون. وفيهم يقول سراقة الباهلي:

يـا عـين إبكي بعبـرة وعـويـل وانـدبي ان نـدبت آل الـرسـول
سبعـة منهم لـصلب عـلـي قـد ابـيـدوا وسبعـة لـعقيـل
لـعن الله حـيـث حـل زيـاداً وابنـه والـعـجـوز ذات بـعـول

يعني- (سمية)- وكانت من البغايا وقصتها مشهورة، وقيل مرجانة.

وقال الشعبي، أول قتيل منهم: العباس بن علي، ثم علي بن الحسين الأكبر خرج هو يقول:

أنـا علي بن الحسـين بن عـلي نـحن وبيت الله أولى بـالـنبي
من شمرو وعمـرو ابن الدعـي

فطعنه رجل فقتله؛ ثم من بعده عون بن جعفر ثم القاسم بن الحسن بن علي ثم عبد الله بن الحسين ثم عبد الله بن علي، ثم عثمان بن علي؛ ثم عبد الرحمان بن عقيل ثم محمد بن عبد الله بن جعفر؛ ثم الحسين (ع) وتتابعوا بعده وكان زهير بن القين قد قتل مع الحسين.

وقالت امرأة لغلام له اذهب فكفن مولاك؛ فذهب فرأى الحسين مجرداً فقال أكفن مولاي وادع الحسين لا والله فكفنه ثم كفن مولاه في كفن آخر.

وحكى محمد بن سعد عن محمد بن الحنفية انه قال: لقد قتلوا تسعة عشر شاباً كلهم ركنوا[1] في رحم فاطمة وهذا يدل على انه قتل معه خلق كثير من أهله من أولاده وأولاد الحسن بن علي (ع).

وكان مقتله يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر، لأنه صلى صلاة الخوف بأصحابه (وقيل يوم السبت) وقد ذكرناه.

﴿ذكر انفاذ الرؤوس والسبايا إلى ابن زياد﴾

قال هشام بن محمد، والواقدي، وابن اسحاق: ثم بعث عمر بن سعد إلى ابن زياد برأس الحسين ورؤوس أصحابه وبناته ومن بقي من الاطفال مع خولى بن يزيد الأصبحي وفيهم علي بن الحسين الأصغر وكان مريضاً فلما مروا على جثة الحسين بن

(١) وفي نسخة: كلهم ركضوا في رحم.

علي (ع) صاحت زينب بنت علي وامحمداه صلى عليك إله السماء هذا حسين مرمل بالعراء في الدماء وبناتك سبايا وذريتك قتلى تسفي عليهم الصبا يا محمداه فابكت كل عدو وصديق » وحمل مع رأس الحسين اثنان وتسعون رأساً.

وفي أفراد البخاري عن ابن سيرين قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد جعل طست وجعل يضرب ثناياه بالقضيب وقال في حسنه شيئاً وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال كان أشبههم برسول الله وكان مخضوباً بالوسمة.

وروي انه كان مخضوباً بالسواد، قالوا ولا يثبت في ذلك وانما غيرته الشمس.

وقد روى ابن أبي الدنيا: انه كان عند ابن زياد زيد بن ارقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطال ما رأيت رسول الله (ص) يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي فقال له ابن زياد ابكى الله عينيك لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فنهض زيد وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن أخياركم وليستعبدن شراركم فبعداً لمن رضي بالذل والعار.

ثم قال يا ابن زياد لاحدثنك حديثاً اغلظ من هذا رأيت رسول الله (ص) أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال اللهم اني استودعك إياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة رسول الله (ص) عندك يا ابن زياد.

وقال هشام بن محمد: لما وضع الرأس بين يدي ابن زياد قال له كاهنه قم فضع قدمك على فم عدوك فقام فوضع قدمه على فيه ثم قال لزيد بن ارقم كيف ترى فقال والله لقد رأيت رسول الله (ص) واضعاً فاه حيث وضعت قدمك.

وقيل ان هذه الواقعة جرت ليزيد بن معاوية مع زيد بن أرقم.

وذكر ابن جرير: ان الذي كان حاضراً عند يزيد أبو برزة الأسلمي لما نذكر.

وقال الشعبي: كان عند ابن زياد قيس بن عباد فقال له ابن زياد ما تقول فيّ وفي حسين فقال يأتي يوم القيامة جده وأبوه وأمه فيشفعون فيه ويأتي جدك وأبوك وأمك فيشفعون فيك فغضب ابن زياد وأقامه من المجلس.

وقال المدايني: كان ممن حضر الواقعة رجل من بكر بن وايل يقال له جابر أو جبير فلما رأى ما صنع ابن زياد قال في نفسه لله علي الا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا على ابن زياد إلا خرجت معهم فلما طلب المختار بثأر الحسين والتقى العسكران برز هذا الرجل وهو يقول:

وكـل شيء قـد أراه فـاسـداً　　إلا مقـام الرمـح في ظل الفـرس

ثم حمل على صفوف ابن زياد وصاح: يا ملعون يا ابن ملعون ويا خليفة الملعون فتفرق الناس عن ابن زياد فالتقيا بطعنتين فوقعا قتيلين.

وقيل انما قتل ابن زياد ابراهيم بن الأشتر لما نذكر.

وقال هشام: لما حضر علي بن الحسين الأصغر مع النساء عند ابن زياد وكان مريضاً قال ابن زياد كيف سلم هذا اقتلوه فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا ان قتلته فاقتلني معه وقال علي يا بن زياد إن كنت قاتلي فانظر الى هذه النسوة من بينه وبينهن قرابة يكون معهن، فقال ابن زياد أنت وذاك.

قال الواقدي: وانما استبقوا علي بن الحسين لأنه لما قتل أبوه كان مريضاً فمر به شمر فقال اقتلوه ثم جاء عمر بن سعد فلما رآه قال لا تتعرضوا لهذا الغلام ثم قال لشمر ويحك من للحرم.

قال علي: فأخذني رجل من أهل الكوفة فأكرمني وتركني في منزله وجعل كلما دخل علّي وخرج يبكي، فاقول ان يكن عند رجل من أهل الكوفة خير فعند هذا، فبينا أنا ذات يوم عنده اذا منادي ابن زياد من كان عنده علي بن الحسين فليأت به وله ثلاثمائة درهم قال فدخل وهو يبكي ويقول أخاف منهم فربط يدي الى عنقي وسلمني اليهم وأخذ الدراهم.

وقال ابن هشام: قال ابن زياد في ذلك المجلس لزينب الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب احدوثتكم، فقالت بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا به تطهيراً وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وان الله كتب القتل على أهلنا فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بيننا وبينكم فتحاكم بين يديه.

قال ابن أبي الدنيا: ثم جمع ابن زياد الناس في المسجد ثم خطب وقال: الحمد لله

الذي قتل الكذاب ابن الكذاب حسين وشيعته، فقام اليه عبد الله بن عفيف الازدي وكان منقطعاً في المسجد ذهبت عينه اليمنى[1] مع علي (ع) يوم صفين فقال يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك يا ابن مرجانه اتقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الفاسقين.

فقال ابن زياد دونكم واياه، فصاح عفيف بشعار الأزد فثار اليه منهم سبعمائة رجل فحملوه الى داره.

ثم قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله الى أهله وهو يقول في طريقه ما رجع أحد مثل ما رجعت اطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة، وهجره الناس وكان كلما مرّ على ملأ من الناس اعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه وكل من رآه قد سبه فلزم بيته الى ان قتل.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) قال: قالت مرجانة أم ابن زياد لابنها يا خبيث قتلت ابن رسول الله والله لا ترى الجنة ابداً ثم ان ابن زياد نصب الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب وكانت زيادة على سبعين رأساً وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة.

وذكر عبد الله بن عمرو الوراق في كتاب (المقتل) أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجاماً فقال قوره فقوره واخرج لغاديده ونخاعه وما حوله من اللحم، واللغاديد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم.

فقام عمرو بن حريث المخزومي فقال يا ابن زياد قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لي ما القيت منه فقال ما تصنع به فقال أواريه فقال خذه فجمعه في مطرف خز كان عليه وحمله الى داره فغسله وطيبه وكفنه ودفنه عنده في داره وهي بالكوفة تعرف بدار الخز دار عمرو بن حريث المخزومي؛ وقيل ان الرباب بنت امرىء القيس زوجة الحسين أخذت الرأس ووضعته في حجرها وقبلته وقالت:

واحسيناً فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الأعداء

---

(١) وفي نسخة: عينه اليسرى.

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وقال عبيد بن عمير: لقد رأيت في هذا القصر عجباً (يعني قصر الكوفة) رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد موضعاً. ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار موضعاً ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب ابن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان. قيل له فكم كانت المدة؟ فقال: مقدار ثلاث سنين فأف لدنيا تنتهي الى هذا.

ثم ان ابن زياد حط الرؤوس في يوم الثاني وجهزها والسبايا الى الشام الى يزيد بن معاوية.

﴿ذكر حمل الرأس الى يزيد﴾

قال الواقدي: ثم دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفي وسلم اليه الرؤوس والسبايا وجهزه الى دمشق، فحكى ربيعة بن عمر وقال كنت جالساً عند يزيد بن معاوية في بهو له إذ قيل هذا زجر بن قيس بالباب فاستوى جالساً مذعوراً واذن له في الحال فدخل فقال ما وراك فقال ما تحب ابشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين في سبعين راكباً من أهل بيته وشيعته فعرضنا عليهم الامان والنزول على حكم ابن زياد فابوا واختاروا القتال فما كان الا كنومة القايل أو حز جزور حتى اخذت السيوف مأخذها من هام الرجال جعلوا يلوذون بالآكام فهاتيك اجسامهم مجردة وهم صرعى في الفلاة.

قال: فدمعت عينا يزيد وقال لعن الله ابن مرجانة ورحم الله أبا عبد الله لقد كنا نرضى منكم يا أهل العراق بدون هذا قبح الله ابن مرجانة لو كان بينه وبينه رحم ما فعل به هذا.

فلما حضرت الرؤوس عنده قال فرقت سمية بيني وبين أبي عبد الله وانقطع الرحم لو كنت صاحبه لعفوت عنه ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا؛ رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام.

وفي رواية: لعن الله ابن مرجانة لقد اضطره الى القتل لقد سأله ان يلحق ببعض البلاد أو الثغور فمنعه لقد زرع لي ابن زياد في قلب البر والفاجر والصالح والطالح العداوة ثم تنكر لابن زياد ولم يصل زجر بن قيس بشيء.

ثم بعث بالرأس الى ابنته عاتكة فغسلته وطيبته.

قلت: وهكذا وقعت هذه الرواية رواها هشام بن محمد.

وأما المشهور عن يزيد في جميع الروايات: انه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران ويقول أبيات ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلنا[1] قتل بدر فاعتدل

حكى القاضي أبو يعلى عن احمد بن حنبل في كتاب (الوجهين والروايتين) انه قال: إن صح ذلك عن يزيد فقد فسق.

قال الشعبي وزاد فيها يزيد فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

قال مجاهد: نافق، وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظره على جيرون فأنشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول واشرقت تلك الشموس على ربى جيرون

نعب الغراب فقلت[2] صح أولا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني ١٥

وذكر ابن أبي الدنيا انه لما نكت بالقضيب ثناياه انشد لحصين بن الحمام المري:

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما

نفلق هاماً من رؤوس احبة الينا وهم كانوا أعق واظلما

قال مجاهد فوالله لم يبق في الناس أحد إلا من سبه وعابه وتركه.

قال ابن أبي الدنيا: وكان عنده أبو برزة الأسلمي فقال له يا يزيد إرفع قضيبك فوالله لطال ما رأيت رسول الله (ص) يقبل ثناياه.

وذكر البلاذري: ان الذي كان عند يزيد وقال هذه المقالة أنس بن مالك وهو

---

(١) وفي نسخة: (وعدلناه ببدر فاعتدل).

(٢) وفي نسخة: (نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح).

غلط من البلاذري لأن أنساً كان بالكوفة عند ابن زياد ولما جيء بالرأس بكى وقد ذكرناه.

وقال هشام: لما أنشد يزيد الأبيات قال له علي بن الحسين بل ما قال الله أولى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير.

وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال فناداه علي يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنا موثقين في الحبال عرايا على أقتاب الجمال فلم يبق في القوم إلا من بكى.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري قال ضرب يزيد رأس الحسين ومكاناً كان يقبله رسول الله (ص) ثم تمثل الحسن:

سمية أمسى نسلها عدد الحصا   وبنت رسول الله ليس لها نسل

وقال ابن سعد بعث ابن زياد بالرأس مع محفر بن ثعلبة العايذي وأمر يزيد نسائه فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام.

وحكى هشام بن محمد عن أبيه عن عبيد بن عمير قال: كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد فقال ليزيد هذا رأس من؟ فقال رأس الحسين قال ومن الحسين قال ابن فاطمة، قال ومن فاطمة؟ قال بنت محمد، قال: نبيكم؟ قال نعم، قال: ومن أبوه؟ قال علي بن أبي طالب، قال ومن علي بن أبي طالب؟ قال ابن عم نبينا، فقال تباً لكم ولدينكم ما أنتم وحق المسيح على شيء، ان عندنا في بعض الجزاير دير فيه حافر حمار ركبه عيسى السيد المسيح ونحن نحج اليه في كل عام من الاقطار وننذر له النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم فاشهد انكم على باطل ثم قام ولم يعد اليه.

وحكى محمد بن سعد في (الطبقات) عن محمد بن عبد الرحمان قال لقيني رأس الجالوت فقال ان بيني وبين داود سبعين نبياً وان اليهود تعظمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم.

وذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب (السيرة) الذي أخبرنا القاضي الاسعد أبو البركات عبد القوي بن أبي المعالي ابن الحبار السعدي في جمادى الأول سنة تسع وستمائة بالديار المصرية قراءة عليه ونحن نسمع قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن

رفاعة بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن سعيد النحاس النحيي أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن رنجويه البغدادي أنبأنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي أنبأنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي البصري. قال لما انفذ ابن زياد رأس الحسين (ع) إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله (ص) على اقتاب الجمال موثقين مكشفات الوجوه والرؤوس وكلما نزلوا منزلا اخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل الى وقت الرحيل ثم يعيدوه الى الصندوق ويرحلوا فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته واسندوا الرمح الى الدير فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس الى عنان السماء فأشرف على القوم وقال من أنتم؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد قال وهذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة بنت رسول الله (ص) قال نبيكم؟ قالوا نعم قال بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكناه احداقنا ثم قال هل لكم في شيء قالوا وما هو قال عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة واذا رحلتم تأخذونه قالوا وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله فلما اسفر الصبح قال يا رأس لا املك إلا نفسي وأنا أشهد ان لا إله إلا الله وان جدك محمداً رسول الله واشهد الله انني مولاك وعبدك ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

قال ابن هشام في السيرة: ثم انهم أخذوا الرأس وساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فأخذوا الاكياس وفتحوها واذا الدنانير قد تحولت خزفاً وعلى احد جانب الدينار مكتوب ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ الآية وعلى الجانب الأخر ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ فرموها في بردا[1].

---

(١) بردا: نهر بدمشق، مخرجه من الزبداني.

وذكر هشام بن محمد: انه لما دخل النساء على يزيد نظر رجل من أهل الشام الى فاطمة بنت الحسين (ع) وكانت وضيئة فقال ليزيد هب لي هذه فانهن لنا حلال فصاحت الصبية وارتعدت واخذت بثوب عمتها زينب فصاحت زينب ليس ذلك الى يزيد ولا كرامة فغضب يزيد وقال لو شئت لفعلت فقالت زينب صلّ الى غير قبلتنا ودن بغير ملتنا وافعل ما شئت فسكن غضبه.

وقال الزهري لما دخلت نساء الحسين وبناته على نساء يزيد قمن اليهن وصحن وبكينّ واقمن المأتم على الحسين ثم قال يزيد لعلي الأصغر ان شئت اقمت عندنا فبررناك؛ وان شئت رددناك الى المدينة فقال لا أريد إلا المدينة فرده اليها مع أهله.

وقال الشعبي: لما دخلتْ نساء الحسين على نساء يزيد قلن واحسيناه فسمعهن يزيد فقال:

يا صيحة تحمد من صوايح ما أهون الموت على النوايح

وكان في السبايا الرباب بنت أمرىءالقيس زوجة الحسين وهي أم سكينة بنت الحسين وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها:

لعمرك انني لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب
احبهما وابذل فوق جهدي وليس لعاذل عندي عتاب
وليس لهم وان عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب

فخطبها يزيد والاشراف من قريش فقالت والله لا كان لي حمواً آخر بعد ابن رسول الله وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمداً.

ولم تستظل بعد الحسين بسقف.

وذكر ابن جرير في تاريخه ان يزيد لما جيء برأس الحسين سرّ أولا ثم ندم على قتله وكان يقول وما عليّ لو احتملت الأذى وانزلت الحسين معي في داري حفظاً لقرابة رسول الله ورعاية لحرمته لعن الله ابن مرجانة لقد بغضني الى المسلمين وزرع لي في قلوبهم البغضاء ثم غضب على ابن زياد ونوى قتله.

اختلفوا في الرأس على أقوال: اشهرها انه رده الى المدينة مع السبايا ثم رد الى الجسد بكربلا فدفن معه، قاله هشام وغيره.

والثاني: انه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة (ع) قاله ابن سعد قال لما وصل الى المدينة كان سعيد بن العاص والياً عليها فوضعه بين يديه واخذ بارنبة أنفه ثم أمر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة (ع).

وذكر الشعبي: ان مروان بن الحكم كان بالمدينة فاخذه وتركه بين يديه وتناول ارنبة انفه وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الاحمر في الخدين

والله لكأني انظر الى ايام عثمان، وقال ابن الكلبي سمع سعيد بن العاص أو عمرو بن سعيد الضجة من دور بني هاشم فقال:

عجت نساء بني تميم عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والبيت لعمرو بن معدي كرب والرواية (عجت نساء بني زياد). وروى ان مروان أنشد:

ضرب الدوسر فيهم ضربة اثبتت أوتاد ملك فاستقر

والثالث: انه بدمشق حكى ابن ابي الدنيا قال وجد رأس الحسين في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكر البلاذري في (تاريخه) قال هو بدمشق في دار الامارة وكذا ذكر الواقدي ايضاً.

والرابع: انه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة. ذكره عبد الله بن عمر الوراق في كتاب (المقتل) وقال لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال لأبعثنه الى آل أبي معيط عن راس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه اليهم فدفنوه في بعض دورهم ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع قال وهو الى جانب سدرة هناك وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاءاً ولا صيفا.

والخامس: ان الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس الى عسقلان ثم نقلوه الى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار في الجملة ففي اي مكان رأسه او جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر انشدنا بعض اشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى حسين بارض شرق أو بغرب

ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

واختلفوا في سنه على أقوال أحدها ست وخمسون سنة قاله الواقدي لأنه ولد سنة أربع من الهجرة، والثاني خمس وخمسون قاله السدي، والثالث ثمان وخمسون.

﴿حديث الجمال التي حمل عليها الرأس والسبايا﴾

أخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار أنبأنا الحسين بن علي الطناجيري حدثنا عمر بن احمد بن شاهين حدثنا احمد بن عبد الله ابن سالم حدثنا علي بن سهل حدثنا خلد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن ابن مرة أبي الوصين مروان بن الوصين قال نحرت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين وأصحابه فلم يستطيعوا أكل لحومها كانت أمر من الصبر.

وقال الواقدي لما وصل الرأس إلى المدينة والسبايا لم يبق بالمدينة أحد وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح واحسيناه واخوتاه واأهلاه وامحمداه ثم قالت:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي أما لكم ... عهد اما انتم توفون بالذمم
ذريتي وبنوا عمي بمضيعة ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

﴿ذكر قول أم سلمة، والحسن البصري، والربيع بن خيثم وغيرهم ما قالوا فيه﴾

ذكر ابن سعد عن أم سلمة لما بلغها قتل الحسين (ع) قالت أوقد فعلوها ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها.

وروى ابن سعد: انها قالت: لعن الله اهل العراق.

وقال الزهري: لما بلغ الحسن البصري قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه ثم قال واذل أمة قتلت ابن بنت نبيها والله ليردن رأس الحسين الى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانة.

وقال الزهري: لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بكى وقال لقد قتلوا فتية لو

رآهم رسول الله (ص) لأحبهم اطعمهم بيده واجلسهم على فخذه.

وذكره ابن سعد أيضاً، وحكى الزهري عن الحسن البصري انه قال أول داخل دخل على العرب ادعاء معاوية زياد بن أبيه وقتل الحسين (ع).

وقال عامر الشعبي: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل الحسين (ع) خطب بمكة وقال: ألا ان أهل العراق قوم غدر وفجر ألا وإن أهل الكوفة شرارهم انهم دعوا الحسين ليولوه عليهم ليقيم أمورهم وينصرهم على عدوهم ويعيد معالم الإسلام فلما قدم عليهم ثاروا عليه يقتلوه وقالوا له إن لم تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد الملعون فيرى فيك رأيه فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسينا واخزى قاتله ولعن من أمر بذلك ورضي به افبعد ما جرى على أبي عبد الله ما جرى يطمئن أحد الى هؤلاء أو يقبل عهود الفجرة الغدرة أما والله لقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل وأولى بينهم من الفاجر ابن الفاجر والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء ولا بالصيام شرب الخمور ولا بقيام الليل الزمور ولا بمجالس الذكر الركض في طلب الصيود واللعب بالقرود قتلوه فسوف يلقون غيا ألا لعنة الله على الظالمين ثم نزل.

﴿ذكر منام ابن عباس﴾

أخبرنا زيد بن الحسن اللغوي أنبأنا أبو منصور القزاز أنبأنا احمد بن علي بن ثابت أنبأنا ابن زرق أنبأنا محمد بن عمر الحافظ حدثنا الفضل بن الحباب حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله (ص) فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فقلت يا رسول الله ما هذه القارورة قال دم الحسين وأصحابه ما زلت التقطه منذ اليوم قال فنظرنا فاذاً قد قتل الحسين في ذلك اليوم، وقيل الذي رأى المنام عمار بن أبي عمار.

﴿ذكر نوح الجن عليه﴾

حكى الزهري: عن أم سلمة قالت: ما سمعت نواح الجن إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين سمعت قائلا يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد ... ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا ... الى متجبر في ثوب عبد

قالت: فعلمت انه قد قتل الحسين. وقال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلا يقول في الليل:

أبكي قتيلا بكربلاء مضرج الجسم بالدماء
أبكي قتيل الطغاة ظلمًا بغير جرم سوى الوفاء
أبكي قتيلا بكى عليه من ساكن الأرض والسماء
هتك أهلوه واستحلوا ما حرّم الله في الإماء
يا بأبي جسمه المعرى إلا من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء وما لذا الرزء من عزاء

وقال الزهري: ناحت عليه الجن فقالت:

خير نساء الجن يبكين شجيات ويلطمن خدوداً كالدنانير نقيات
ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

قال ومما حفظ من قول الجن:

مسح النبي جبينه وله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجده خير الجدود
قتلوك يا إبن الرسول فاسكنوا نار الخلود

﴿ذكر بعض مراثيه﴾

ذكر هشام بن محمد قال: لما قتل الحسين (ع) سمع قاتلوه قائلا يقول من السماء:

أيها القاتلون جهلا حسينا إبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل

فكانوا يرون انه بعض الملائكة وقد أكثر الناس فيها.

قال السدي: أول من رثاه عقبة بن عمرو العبسي فقال:

إذا العين قرت في الحياة وأنتم تخافون في الدنيا فاظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلا ففاضت عليه من دموعي غزيرها

وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ... ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وناديت من حول الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا ... وقل لها مني سلام يزورها
سلام بآصال العشي وبالضحى ... تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا برح الزوار زوار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها

وقال الربيع بن أنس، رثاه عبد الله بن الحر فقال:

يقول أمير غادر أي غادر ... ألا كنت قاتلت الشهيدا بن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
فيا ندمي ألا أكون نصرته ... ألا كل نفس لا تسدد نادمة
واني على أن لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما ان تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نصره سقيا من الغيث دائمة
وقفت على اطلالهم ومحالهم ... فكاد الحشا ينفض والعين ساجمة
لعمري لقد كانوا سراعاً الى الوغى ... مصاليت في الميجا حماة خضارمة
فان يقتلوا في كل نفس بقية ... على الارض قد اضحت لذلك واجمة
وما ان رأى الراؤون أفضل منهم ... لدى الموت سادات وزهر قماقمة
أيقتلهم ظلمًا ويرجو ودادنا ... فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد ارغمتمونا بقتلهم ... فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهم مراراً أن أسير بجحفل ... الى فئة زاغت عن الحق ظالمة
فكفوا وإلا زرتكم في كتايب ... أشد عليكم من زحوف الديالمة

ولما بلغ ابن زياد هذه الابيات طلبه فقعد على فرسه ونجا منه، وقال آخر من أبيات وقد مر بكربلا:

كربلا لا زلت كرباً وبلا ... ما لقي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا ... من دم سال ومن دمع جرى
يا رسول الله لو أبصرتهم ... وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن ... عاطش يسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الاضاحي نسله ... ثم ساقوا أهله سوق الإما

هاتفات برسول الله في … شدة الخوف وعثرات الخطا
قتلوه بعد علم منهم … انه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا … أمة الطغيان والكفر جزا
يا جبال المجد عزاً وعلا … وبدور الأرض نوراً وسنا
جعل الله الذي نالكم … سبب الحزن عليكم والبكا
لا أرى حزنكم يسلي ولا … رزؤكم ينسي وان طال المدى

وذكر المدايني، عن رجل من أهل المدينة قال: خرجت أريد اللحاق بالحسين (ع) ـ لما توجه الى العراق ـ فلما وصلت الربذة اذا برجل جالس فقال لي يا عبد الله لعلك تريد ان تمد الحسين؟ قلت نعم، قال وأنا كذلك ولكن اقعد فقد بعثت صاحباً لي والساعة يقدم بالخبر؛ قال فما مضت إلا ساعة وصاحبه قد اقبل وهو يبكي فقال له الرجل ما الخبر فقال:

والله ما جئتكم حتى بصرت به … في الأرض منعفر الخدين منحوراً
وحوله فتية تدمى نحورهم … مثل المصابيح يغشون الدجى نورا
وقد حثثت قلوصي كي أصادفهم … من قبل ما ينكحون الخرد الحورا
يا لهف نفسي لو اني لحقتهم … اذاً[1] تقرت اذا حلوا أساريرا

فقال الرجل الجالس:

اذهب فلا زال قبراً أنت ساكنه … حتى القيامة يسقى الغيث ممطورا
في فتية بذلوا لله انفسهم … قد فارقوا المال والأهلين والدورا

وذكر الشعبي وحكاه ابن سعد أيضاً قال: مر سليمان بن قتة[2] بكربلا فنظر الى مصارع القوم فبكى حتى كاد أن يموت ثم قال:

وإن قتيل الطف من آل هاشم … أذل رقاباً من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد … فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها … وان أصبحت منهم برغمي تخلت

---

(١) وفي نسخة: (اذاً لحليت إذ حلوا أساويرا).
(٢) قتة: كقبة ـ سليمان التابعي.

ألم تر ان الأرض أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن هلا قلت (أذل رقاب المسلمين فذلت)

وأنشدنا أبو عبد الله محمد بن البذيجي البغدادي قال: أنشدنا بعض مشايخنا ان ابن المبارية الشاعر اجتاز بكربلا مجلس يبكي على الحسين وأهله وقال بديهاً:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسماً يكون الحق عنه مسايلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من اعدائكم عللا وحد السمهري الذابل
لكنني اخرت عنك لشقوتي فبلابلي بين الغري وبابل
هبني حرمت النصر من اعدائكم فأقل من حزن ودمع سايل

ثم نام في مكانه فرأى رسول الله (ص) في المنام فقال له يا فلان جزاك الله عني خيراً إبشر فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين.

وأنشدنا أبو عبد الله النحوي بمصر قال: كحل بعض العلماء عينه يوم عاشورا فعوتب على ذلك فقال:

وقائل لم كحلت عيناً يوم استباحوا دم الحسين
فقلت كفوا احق شيء تلبس فيه السواد عيني

وقد ذكر جدي في كتاب (التبصرة) وقال انما سار الحسين الى القوم لأنه رأى الشريعة قد دثرت فجد في رفع قواعد أصلها فلما حصروه فقالوا له انزل على حكم ابن زياد فقال لا أفعل واختار القتل على الذل وهكذا النفوس الأبية ثم أنشد جدي رحمه الله فقال:

ولما رأوا بعض الحياة مذلة عليهم وعز الموت غير محرم
أبوا ان يذوقوا العيش والذل واقع عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للاسد ان ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وحتف عليّ في حسام ابن ملجم

﴿ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء وما يلتحق بها﴾

ذكر ابن سعد في (الطبقات) ان هذه الحمرة لم تر في السماء قبل ان يقتل الحسين.

قال جدي أبو الفرج في كتاب (التبصرة) لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فليستدل بذلك على غضبه وانه أمارة السخط والحق سبحانه ليس بجسم فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق، وذلك دليل على عظم الجناية.

وذكر جدي أيضاً في هذا الكتاب ولما اسر العباس يوم بدر سمع رسول الله (ص) أنينه فما نام تلك الليلة فكيف لو سمع أنين الحسين.

قال ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له رسول الله غيب وجهك عني فاني لا أحب من قتل الأحبة قال وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على اقتاب الجمال.

وقال ابن سيرين: لما قتل الحسين اظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة.

وأخبرنا غير واحد عن علي بن عبيد أنبأنا علي بن احمد اليسري أنبأنا أبو عبد الله ابن بطة أنبأنا محمد بن هارون الحضرمي حدثنا هلال بن بشر بن عبد المطلب بن موسى عن هلال بن ذكوان قال لما قتل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر الى غروب الشمس، قال وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد ما رفع حجر في الدنيا إلا وتحته دم عبيط؛ ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت.

وقال السدي: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها.

وقال ابن سيرين: وجد حجر قبل مبعث النبي (ص) بخمس مائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه الى العربية فاذا هو:

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

وقال سليمان بن يسار وجد حجر عليه مكتوب:

لا بد أن ترد القيامة فاطم ... وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في يوم القيامة ينفخ

﴿حديث عبد الله بن عمر (رض)﴾

قال احمد في المسند: حدثنا أبو النصر حدثنا مهدي عن محمد بن أبي يعقوب عن أبن أبي نعيم قال جاء رجل الى ابن عمر وانا جالس عنده يسأله عن دم البعوض يكون في الثوب طاهر هو أم نجس فقال له ابن عمر من أين أنت قال من أهل العراق فقال انظروا الى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله وقد سمعته يقول هما ريحانتاي من الدنيا انفرد باخراجه البخاري.

﴿ذكر الكتاب الذي كتبه يزيد بن معاوية الى ابن عباس﴾

ذكر الواقدي: وهشام وابن اسحاق وغيرهم قالوا: لما قتل الحسين (ع) بعث عبد الله بن الزبير الى عبد الله بن عباس ليبايعه، وقال أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر وقد علمت سيرتي وسيرته وسوابق أبي الزبير مع رسول الله (ص) وسوابق معاوية فامتنع ابن عباس، وقال الفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح ومالي ولهذا إنما أنا رجل من المسلمين فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فكتب الى ابن عباس سلام عليك، أما بعد: فقد بلغني أن الملحد في حرم الله دعاك لتبايعه فأبيت عليه وفاءاً منك لنا فانظر من بحضرتك من أهل البيت ومن يرد عليك من البلاد فاعلمهم حسن رأيك فينا وفي ابن الزبير، وان ابن الزبير إنما دعاك لطاعته والدخول في بيعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً وقد اعتصمت في بيعتنا طاعة منك لنا ولما تعرف من حقنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما جازى به الواصلين أرحامهم الموفين بعهودهم فما أنس من الأشياء ما أنا بناس برك وتعجيل صلتك بالذي أنت أهله فانظر من يطلع عليك من الآفاق فحذرهم زخارف ابن الزبير وجنبهم لقلق لسانه فانهم منك اسمع ولك أطوع والسلام.

فكتب اليه ابن عباس: بلغني كتابك تذكر أني تركت بيعة ابن الزبير وفاءاً مني لك ولعمري ما اردت حمدك ولا ودك تراني كنت ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بني المطلب مضرجين بالدماء مسلوبين بالعراء تسفي عليهم الرياح وتنتابهم الضباع حتى اتاح الله لهم قوماً واروهم فما انس ما انس طردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله وكتابك الى ابن مرجانة تأمره بقتله، وإني لأرجو من الله أن يأخذك عاجلا حيث قتلك عترة

نبيه محمد (ص) ورضيت بذلك، وأما قولك إنك غير ناس بري فاحبس أيها الإنسان برك عني وصلتك فاني حابس عنك ودي ولعمري إنك ما تؤتينا مما لنا من قبلك إلا اليسير وإنك لتحبس عنا منه العرض الطويل ثم إنك سألتني ان احث الناس على طاعتك وان أخذلهم عن ابن الزبير فلا مرحباً ولا كرامة تسألني نصرتك ومودتك وقد قتلت ابن عمي وأهل رسول الله مصابيح الهدى ونجوم الدجى غادرتهم جنودك بأمرك صرعى في صعيد واحد قتلى أنسيت انفاد أعوانك الى حرم الله لقتل الحسين فما زلت ورائه تخيفه حتى اشخصته إلى العراق عداوة منك لله ورسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنحن أولئك لا آبائك الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة أكباد الإبل والحمير الأجلاف أعداء الله وأعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله في كل موطن وجدك وأبوك هم الذين ظاهروا على الله ورسوله ولكن ان سبقتني قبل أن آخذ منك ثأري في الدنيا فقد قتل النبيون قبلي وكفى بالله ناصراً ولتعلمن نبأه بعد حين ثم إنك تطلب مودتي وقد علمت لما بايعتك ما فعلت ذلك إلا وأنا أعلم أن ولد أبي وعمي أولى بهذا الأمر منك ومن أبيك ولكنكم معتدين مدعين أخذتم ما ليس لكم بحق وتعديتم الى من له الحق واني على يقين من الله ان يعذبكم كما عذب قوم عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، يا يزيد وان من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين مسلوبين ترى الناس قدرتك علينا وإنك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله وفي ظنك إنك أخذت بثار أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر وأظهرت الإنتقام الذي كنت تخفيه والاضغان الذي تكمن في قلبك كمون النار في الزناد وجعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلة الى اظهارها فالويل لك من ديان يوم الدين ووالله لئن أصبحت آمناً من جراحة يدي فما أنت بآمن من جراحة لساني الكثكث وأنت المنفذ المثبور ولك الاثلب وأنت المذموم ولا يغرنك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لئن لم نظفر بك اليوم لنظفرن غداً بين يدي الحاكم العدل الذي لا يجور في حكمه وسوف يأخذك سريعاً اليّا ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً أثيًا فعش لا أبا لك ما استطعت فقد ازداد عند الله ما اقترفت والسلام على من اتبع الهدى.

قال الواقدي: فلما قرأ يزيد كتابه أخذته العزة بالإثم وهم بقتل ابن عباس فشغله عنه أمر ابن الزبير ثم أخذه الله بعد ذلك بيسير أخذاً عزيزاً. (الكثكث) بكسر

الكاف فتات الحجارة والتراب ويفتح الكاف أيضاً و(الفند) ضعف الرأي و(الأثلب) التراب أيضاً و(الثبور) الهلاك، كل هذا في معنى الدعاء على الانسان وذمه.

﴿ذكر أولاد الحسين (ع)﴾

(علي الأكبر): قتل مع أبيه يوم كربلاء ولا بقية له، وأمه آمنة بنت أبي مر بن عروة ابن مسعود الثقفي وأمها بنت أبي سفيان بن حرب، (وعلي الأصغر وهو زين العابدين) والنسل له وأمه أم ولد، قال ابن قتيبة كانت أسدية ويقال لها السلافة وقيل غزالة، تزوجها بعد الحسين زبيد مولى الحسين فولدت له عبد الله فهو أخو علي زين العابدين بالرضاعة ويقال اسم زبيد زيد، وعقبه ينزلون ينبع.

وقال الزهري: زوجها من زبيد ولدها.... ثم اعتق زين العابدين جارية له فتزوجها فعابه عبد الملك بن مروان فكتب اليه زين العابدين لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة اعتق رسول الله (ص) جويريه وصفية وتزوجهما، واعتق زيد بن حارثة وزوجه زينب بنت جحش بنت عمته.

وقال الزهري: كان علي باراً بامه لم يأكل معها في قصعة قط فقيل له في ذلك فقال أخاف أن أمد يدي الى ما وقعت عينها عليه فاكون عاقاً لها، وكان للحسين من الولد أيضاً جعفر لا بقية له وأمه السلافة قضاعية، وفاطمة أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله؛ وعبد الله قتل مع أبيه يوم الطف، وسكينة وأمها الرباب بنت امرىء القيس وقد ذكرناها؛ ومحمد قتل مع أبيه.

فاما فاطمة بنت الحسين فكانت عند الحسن بن الحسن بن علي (ع) ثم تزوجها عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان فأولدها الديباج وقد ذكرناه.

وأما سكينة: فتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها فتزوجها عبد الله بن عثمان ابن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له عثمان الذي يقال له قرير، ثم تزوجها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان اخو عمر بن عبد العزيز؛ ثم فارقها قبل الدخول بها وماتت في أيام هشام بن عبد الملك ولها السيرة الجميلة والكرم الوافر والعقل التام وهذا قول ابن قتيبة.

أما غيره فيقول اسمها آمنة وقيل اميمة وأول من تزوجها مصعب بن الزبير قهراً

وهو الذي ابتكرها ثم قتل عنها وقد ولدت له فاطمة وكانت من الجمال والأدب والظرف والسخاء بمنزلة عظيمة وكانت تأوي الى منزلها الأدباء والشعراء والفضلاء فتجيزهم على مقدارهم وكان مصعب بن الزبير اصدقها ستمائة الف ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطبها فقالت ابعد ما قتل ابن الزبير لا والله لا كان هذا أبداً.

وقال هشام بن محمد: اجتمع على بابها جماعة من الشعراء لتخاير بينهم، وكانوا يرضون بحكمها لما يعرفون من أدبها وبصارتها بالشعر فأحسنت ضيافتهم واكرمتهم، وكان فيهم الفرزدق، وجرير، وكثير عزة، ونصيب، وجميل فنصبت بينها وبينهم ستاراً واذنت لهم فدخلوا عليها، وكانت لها جارية قد روت الأشعار والاخبار وعلمتها الأدب فخرجت من عندها الجارية فقالت أيكم الفرزدق؟ فقال ها أنا، فقالت ألست القائل:

همـا دلتاني من ثمـانين قـامـة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا احي فيـرجى أم قتيـل نحـاذره

فقال نعم؛ فقالت فما الذي دعاك الى افشاء سرك وسرها هلا سترت عليها وعلى نفسك خذ هذه الف دينار والحق بأهلك.

ثم قالت: أيكم جرير؟ فقال ها أنا، فقالت ألست القائل:

طـرقتك صـائدة القلوب وليس ذا وقت الـزيـارة فـاذهبي بسـلام

قال نعم، قالت وأي ساعة احلى من ساعة الزيارة، خذ هذه الف دينار والحق بأهلك.

ثم قالت: أيكم كثير عزة؟ فقال ها أنا ذا، فقالت أنت القائل:

يقـر بعيني مـا يقـر بعينهـا واحسن شيء مـا به العين قـرت

فقال نعم، قالت أفسدت الحب بهذا التعريض خذ هذه الف دينار وانصرف.

ثم قالت: أيكم نصيب؟ فقال ها أنا ذا، فقالت أنت القائل:

من عـاشقين تـواعـدا وتـراسـلا حتى اذا نجم الثـريـا حـلقـا

باتا بأنعم ليلة والذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال نعم، قالت وهل في الحب تداني؟ خذ هذه الف دينار وانصرف.

ثم قالت: ايكم جميل؟ قال ها أناذا؟ فقالت ان مولاتي تسلم عليك ولم تزل مشتاقة اليك منذ سمعت قولك:

فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة بوادي القرى اني اذاً لسعيد
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

قال: جزاك الله خيراً، جعلت حديثنا بشاشة وقتيلنا شهيدا ، قد حكمنا لك على الجميع خذ هذه أربعة آلاف دينار وانصرف راشداً.

وروى ان الجارية كانت تدخل على مولاتها في كل مرة ثم تخرج فتقول: أين فلان وتذكر شعره.

قال هشام: وكانت قدولدت من مصعب ابنة سمتها اللباب وكانت فائقة الجمال لم يكن في عصرها اجمل منها فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما ألبسها إياه إلا حتى تفضحه. واختلفوا في وفاتها، قال ابن سعد: توفيت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وكان على المدينة خالد بن عبد الله بن الحرث بن الحكم فقال انتظروني حتى اصلي عليها وخرج في حاجة فخافوا عليها ان تتغير فاشتروا لها كافوراً بثلاثين ديناراً ثم أمر شيبة بن نصاح فصلى عليها.

وأما غير ابن سعد فانه يقول: انها توفيت بمكة في هذه السنة، وفي هذه السنة أيضاً توفيت اختها لأبيها فاطمة بنت الحسين (ع) وأمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن علي فولدت له عبد الله وابراهيم، وحسن وزينب ثم مات عنها، فخلف عليها عبد الله بن عمر وبن عثمان زوجها منه ابنها عبد الله بن حسن بن حسن بأمرها فولدت منه محمد الديباج وقد ذكرناه، وفاطمة هذه هي التي خطبها عبد الرحمان بن الضحاك بن قيس الفهري وكان والياً على المدينة فامتنعت عليه فآذاها وضيق عليها فبعثت الى يزيد بن عبد الملك تشكوه فشق على يزيد ذلك وغضب وقال بلغ من أمر عبد الرحمان أن يتعرض لبنات رسول الله! من يسمعني موته وأنا على فراشي هذا؟ ثم بعث اليه من طاف به المدينة في جبة صوف ثم

عزله واغرمه أمواله كلها ومات فقيراً وكانت وفاة فاطمة بالمدينة والله الموفق للصواب.

فصل في عقوبة قاتليه

﴿والإنتصار من ظالميه﴾

قال الزهري: ما بقي منهم أحد إلا وعوقب في الدنيا، أما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة.

وقال جدي أبو الفرج في كتاب (المنتظم) عن ابن عباس قال أوحى الله الى محمد (ص) إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفاً، وإني قاتل بابن فاطمة سبعين الفاً، وسبعين الفاً، وفي رواية، وإني قاتل بابن بنتك.

قلت: وقد ذكر جدي هذا الحديث في (الموضوعات) ورواه عن الفرا عن الخطيب باسناده الى ابن عباس، فكيف يذكره في (التاريخ) ولم ينبه فيه والعلة فيه محمد بن شداد فانه في اسناده ابن الخطيب. رواه عن ابن نباح عن محمد بن ابراهيم عن ابن شداد وهو المسمعي عن أبي نعيم عن عبدالله بن حبيب عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومحمد بن شداد ضعيف باتفاقهم، ثم هذه الجملة لم يقل به الحسين عليه السلام.

وحكى الواقدي عن ابن الرماح قال: كان بالكوفة شيخ اعمى قد شهد قتل الحسين فسألناه يوماً عن ذهاب بصره فقال كنت في القوم وكنا عشرة غير اني لم اضرب بسيف ولم اطعن برمح ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين وحمل رأسه رجعت الى منزلي وأنا صحيح وعيناي كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلة فاتاني آت في المنام وقال اجب رسول الله، قلت مالي ولرسول الله فاخذ بيدي وانتهرني ولزم تلبابي وانطلق بي الى مكان فيه جماعة ورسول الله (ص) جالس هو مغتم متحير حاسر عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع واذا أصحابي العشرة مذبحين بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك ولا حياك يا عدو الله الملعون اما استحييت مني تهتك حرمتي وتقتل عترتي ولم ترع حقي؟ قلت يا رسول الله ما قاتلت قال نعم ولكنك كثرت السواد واذا بطست عن يمينه فيه دم الحسين فقال اقعد فجثوت بين يديه فاخذ مروداً واحماه ثم

كحل به عيني فاصبحت اعمى كما ترون.

وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الاصبغ المجاشعي قال: لما أتي بالرؤوس الى الكوفة إذا بفارس احسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام امرد كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح فاذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض فقلت له رأس من هذا؟ فقال هذا رأس العباس بن علي؛ قلت ومن أنت؟ قال حرملة بن الكاهل الأسدي، قال فلبثت اياماً واذا بحرملة ووجهه اشد سواداً من القار فقلت له لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب انضر وجهاً منك وما أرى اليوم لا اقبح ولا اسود وجهاً منك فبكى وقال والله منذ حملت الرأس والى اليوم ما تمر علي ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي الى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا انكص فتسفعني كما ترى ثم مات على اقبح حال.

وحكى السدي قال: نزلت بكربلا ومعي طعام للتجارة فنزلنا على رجل فتعشينا عنده وتذاكرنا قتل الحسين وقلنا ما شرك احد في دم الحسين إلا ومات اقبح موتة فقال الرجل ما أكذبكم أنا شركت في دمه وكنت فيمن قتله وما اصابني شيء قال فلما كان آخر الليل اذا بصياح قلنا ما الخبر قالوا قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت اصبعه ثم دب الحريق في جسده فاحترق؛ قال السدي فانا والله رأيته كأنه فحمة.

فصـــل

فاما قتل ابن زياد وجماعة آخرين فذكر علماء السير قالوا: لما قتل الحسين سقط في ايدي القوم الذين قعدوا عن نصرته وقاموا مكفرين نادمين، فلما مات يزيد بن معاوية منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين تحركت الشيعة بالكوفة وكانوا يخافون منه وقيل انما تحركت في هذه السنة قبل موت يزيد وهو الأصح.

فذكر هشام بن محمد قال: لما قتل الحسين تحركت الشيعة وبكوا ورأوا إنه لا ينجيهم ولا يغسل عنهم العار والاثم إلا قتل من قتل الحسين أو يقتلوا فيه عن آخرهم وفزعوا إلى خمسة من رؤساء أهل الكوفة وهم سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع رسول الله (ص)؛ والمسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي (ع) وخيارهم، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن والي التميمي؛ ورفاعة ابن شداد البجلي، وكان اجتماعهم في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا وتعاهدوا

وتعاقدوا على المسير الى قتال أهل الشام والطلب بدم الحسين وان يكون اجتماعهم بالنخيلة سنة خمس وستين.

قلت: وما لقتالهم لأهل الشام معنى لأنه لم يحضر أحد من أهل الشام قتال الحسين وانما قتله أهل الكوفة، فان كان طلبهم ليزيد فقد مات وقد كان ينبغي أن يقتلوا قتلته بالكوفة يطلبوا ابن زياد ثم انهم كاتبوا الشيعة فأجابهم أهل الأمصار وقيل انهم تحركوا عقيب قتل الحسين أول سنة إحدى وستين ولم يزالوا في جمع الاموال والاستعداد حتى مات يزيد.

ثم ان المختار بن أبي عبيدة في هذه السنة وثب بالكوفة في رمضان يوم الجمعة بعد موت يزيد بخمسة أشهر وكان قدومه من مكة من عند عبد الله بن الزبير نايباً عنه في زعمه فوجد الشيعة قد اجتمعوا على سليمان بن صرد فحسده فقال انما جئت من عند محمد بن الحنفية وهو المهدي وأنا أمينه ووزيره فانضمت اليه طائفة من الشيعة وجمهورهم مع سليمان بن صرد فكان المختار يحسده له ويقول ليس لسليمان خبرة بالحرب وانه يقتلكم ويقتل نفسه ووالله لأقتلن بقتلة الحسين عدد من قتل على دم يحيى بن زكريا؛ ولما دخلت سنة خمس وستين اجتمع سليمان بن صرد بالنخيلة مع الشيعة وكان قد حلف له من الكوفة ثمانية عشر الفاً فصفى له خمسة آلاف فلما عزم على المسير الى الشام قال له عبد الله بن سعد تمضي الى الشام وقتلة الحسين كلهم بالكوفة عمر بن سعد ورؤوس الأرباع.

قلت: وهذا موافق لما أوردته من المواخذة.

فقال سليمان: هو ما تقول غير ان الذي جهز اليه الجيوش بالشام هو الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة وكان ابن زياد لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة الى الشام فالتجى الى مروان بن الحكم وهو الذي ولاه الخلافة، قال سليمان فاذا قتلناه عدنا الى قتلة الحسين (ع) ثم سار سليمان بمن معه وكانوا يسمون (التوابين) فلم يزالوا سائرين الى عين وردة وهي بالخابور- قريبة من اعمال قرقيسيا- فالتقاهم عبيد الله بن زياد هناك في جيوش أهل الشام جهزهم معه مروان بن الحكم فاقتتلوا أياماً وكانوا في أربعة آلاف وابن زياد في ثلاثين الفاً ثم التقوا يوماً فكانت لسليمان في أول النهار ثم عادت عليه في آخره وقيل لم يكن ابن زياد حاضراً بل كان مقدم الجيش الحصين بن

نمير ثم قتل سليمان وافترقوا وكانت الوقعة في رجب ومات مروان بن الحكم في رمضان.

ذكر ابن جرير أن ابن زياد لما فرغ من التوابين جاءه نعي مروان بالطاعون فسار حتى نزل الجزيرة.

وقيل ان الواقعة كانت بالشام بعين وردة من عمل بعلبك؛ والاول اصح ذكره ابن سعد وغيره، ثم عاد من بقي من التوابين الى العراق فوثب المختار بن أبي عبيدة وجاءه الامداد من البصرة والمدائن والامصار وقام معه ابراهيم بن الاشتر النخعي وخرج والشيعة معه ينادون يا لثارات الحسين.

﴿ذكر سليمان بن صرد﴾

قال ابن سعد: هو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكنيته أبو المطرف صحب رسول الله (ص) وكان اسمه يسار فسماه رسول الله (ص) سليمان وكان له سن عالية وشرف في قومه فلما قبض رسول الله (ص) تحول فنزل الكوفة وشهد مع علي (ع) (الجمل وصفين) وكان في الذين كتبوا الى الحسين ان يقدم الكوفة غير انه لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، ثم قدم بعد قتل الحسين فجمع الناس فالتقوا بعين وردة وهي من اعمال قرقيسيا وعلى أهل الشام الحصين بن نمير فاقتتلوا فترجل سليمان فرماه الحصين بن نمير بسهم فقتله فوقع وقال فزت ورب الكعبة وقتل معه المسيب بن نجبة فقطع رأسيهما وبعث بهما الى مروان بن الحكم، وقال: وكان سن سليمان يوم قتل ثلاث وتسعون سنة ولما دخلت سنة ست وستين اعلن المختار بالطلب بثأر الحسين وكان ابن زياد بالجزيرة ثم نفى المختار عبد الله بن مطيع والي ابن الزبير على الكوفة الى مكة وملك القصر ثم أخذ المختار من شهد قتل الحسين باقبح القتلات واشنعها فلم يبق من الستة آلاف الذين قاتلوه مع عمر بن سعد وملكوا الشرائع احداً وبعث الى خولي بن زيد الأصبحي الذي حمل رأس الحسين الى ابن زياد فاحاطوا بداره فاختبأ في المخرج فقالوا لامرأته أين هو؟ فقالت في المخرج فاخرجوه فمثلوا به وحرقوه؛ وقال المختار لأقتلن رجلا يرضى بقتله أهل السموات والارض، وقد كان أعطى عمر بن سعد أماناً ان لا يخرج من الكوفة فاتى رجل الى عمر وقال له: قد قال المختار كذا وكذا والله ما يريد سواك فارسل اليه عمر ولده

حفصاً وقال للمختار يقول لك أبي أتفي لنا بالذي وعدتنا أو بالذي كان بيننا وبينك؟ فقال لحفص اجلس؛ ثم سير المختار رجلين فغابا ثم عادا وبيد أحدهما رأس عمر بن سعد فقال ولده حفص اقتلتم أبا حفص فقال المختار أنت تطمع الحياة بعده لا خير لك فيها فضرب عنقه، وقال المختار عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين ولا سواء؛ ثم قال: والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا ولا بأنملة من انامله؛ ثم قتل شمر أقبح قتلة، وقيل ذبح شمر كما ذبح الحسين. وكان شمر أبرص وأوطأ الخيل صدره وظهره.

قال أبو سعد: قدم أبو شمر الضبابي الكلابي وكنيته أبو شمر؛ ويقال أبو النابغة ويقال له ذو الجوشن، قدم على رسول الله (ص) فقال له أسلم؟ فلم يفعل، فقال له رسول الله (ص) ما يمنعك ان تكون في أول هذا الامر؟ فقال رأيت قومك كذبوك واخرجوك وقاتلوك فان ظهَرت عليهم تبعتك وان لم تظهر عليهم لم اتبعك؛ فقال له رسول الله (ص) سترى ظهوري عليهم.

قال ذو الجوشن: فوالله اني لفي قومي اذ قدم علينا ركب فقلنا ما الخبر؟ فقالوا ظهر محمد على قومه وكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن سعد: وكان ذو الجوشن جاء رسول الله (ص) بعد فراغه من بدر وأهدى له فرساً يقال له العرجاء فلم يقبلها منه.

قال ابن سعد: وبعث المختار بالرؤوس الى محمد بن الحنفية ثم جاء ابن زياد فنزل الموصل في ثلاثين الفاً فجهز اليه المختار ابراهيم بن الاشتر في ثلاثة آلاف وقيل في سبعة آلاف وذلك في سنة تسع وستين فالتقى بابن زياد فقتله على الزاب وكان من غرق من أصحابه أكثر ممن قتل واختلفوا في قاتل ابن زياد.

فذكر ابن جرير عن ابراهيم بن الأشتر انه قال: قتلت رجلا شممت منه رائحة المسك على شاطىء نهر جاذر قال ضربته فقددته نصفين، وقيل ان الذي قتله شريك ابن جرير الثعلبي، وقيل جابر أو جبير، وقد ذكرناه، وبعث ابن الأشتر برأس ابن زياد الى المختار فجلس في القصر والقيت الرؤوس بين يديه فالقاها في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين وأصحابه ونصب المختار رأس ابن زياد في المكان الذي نصب

فيه رأس الحسين ثم القاه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس.

قال عمار بن عمير: فبينا انا واقف عند الرؤوس بالكناسة اذ قال الناس قد جاءت قد جاءت فاذا حية عظيمة تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري ابن زياد وخرجت فغابت ساعة ثم عادت ففعلت كذلك وقيل انما فعلت الحية ذلك بالقصر بين يدي المختار فقال المختار دعوها دعوها وفي رواية فعلت ذلك ثلاثة أيام.

فصل في يزيد بن معاوية

ذكر علماء السير عن الحسن البصري انه قال: قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الارض ببعضها لكفاهم وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين؛ وادعاؤه زياداً. وقتله حجر بن عدي وأصحابه وبتوليته مثل يزيد على الناس.

قال: وقد كان معاوية يقول لولا هواي في يزيد لابصرت رشدي.

وذكر جدي أبو الفرج في كتاب (الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد) وقال: سألني سائل فقال ما تقول في يزيد بن معاوية؟ فقلت له يكفيه ما به؛ فقال اتجوز لعنه؟ فقلت قد أجاز العلماء الورعون منهم احمد بن حنبل فانه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة.

قال جدي وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز أنبأنا أبو اسحاق البرمكي أنبأنا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر أنبأنا احمد بن محمد بن الخلال حدثنا محمد بن علي عن مهنا بن يحيى قال: سألت احمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت ما فعل؟ قال نهب المدينة قلت فنذكر عنه الحديث؟ قال لا؛ ولا غرامة[1] لا ينبغي لاحد ان يكتب عنه الحديث.

وحكى جدي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى بن الفراء في كتابه (المعتمد في الأصول) باسناده الى صالح بن احمد بن حنبل قال: قلت لأبي ان قوماً ينسبوننا الى توالي يزيد؟ فقال يا بني وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله فقلت فلم لا تلعنه؟ فقال وما رأيتني لعنت شيئاً يا بني لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه فقلت وأين لعن الله يزيد

---

(١) لا ولا كرامة الخ.

في كتابه؟ فقال في قوله تعالى ﴿فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى أبصارهم﴾ فهل يكون فساد اعظم من القتل[1] وفي رواية: لما سأله صالح فقال: يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه وذكره.

قال جدي وصنف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد وقال في الكتاب المذكور الممتنع من جواز لعن يزيد أما ان يكون غير عالم بذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك وربما استفز[2] الجهال بقوله (ع): المؤمن لا يكون لعاناً.

قال القاضي: وهذا محمول على من لا يستحق اللعن، فان قيل فقوله تعالى ﴿فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض﴾ نزلت في منافقي اليهود فقد أجاب جدي عن هذا في الرد على المتعصب وقال الجواب ان الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان ذكره في تفسيره وقد اجمع عامة المحدثين على كذبه كالبخاري ووكيع والساجي والسدي والرازي والنسائي وغيرهم، وقال فسرها احمد بانها في المسلمين فكيف يقبل قول احمد انها نزلت في المنافقين؛ فان قيل فقد قال النبي (ص) أول جيش يغزوا القسطنطينية[3] مغفور له ويزيد أول من غزاها، قلنا فقد قال النبي (ص) لعن الله من اخاف مدينتي والآخر ينسخ الاول.

قال احمد في المسند: حدثنا أنس بن عياض حدثني يزيد بن حفصة عن عبد الله ابن عبدالرحمان بن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن السايب بن خلاد ان رسول الله (ص) قال: من اخاف أهل المدينة ظلماً اخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

وقال البخاري حدثنا حسين بن حريث أنبأنا أبو الفضل عن جعيدة عن عائشة قالت سمعت سعداً يقول سمعت رسول الله (ص) يقول لا يكيد أهل المدينة إلا ان ماع كما يماع الملح في الماء.

---

(١) من قتل الحسين (ع).

(٢) وربما استفز الجهال الخ.

(٣) وأما قوله (ص) أول جيش يغزو القسطنطينية فإنما عنى أبو ايوب الأنصاري لأنه كان فيهم.

واخرجه مسلم أيضاً بمعناه، وفيه لا يريد أهل المدينة احد بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص؛ ولا خلاف ان يزيد أخاف أهل المدينة وسبى أهلها ونهبها واباحها وتسمى وقعة الحرة وسببه ما رواه الواقدي وابن اسحاق وهشام بن محمد أن جماعة من أهل المدينة وفدوا على يزيد سنة اثنتين وستين بعد ما قتل الحسين فرأوه يشرب الخمر ويلعب بالطنابير والكلاب فلما عادوا الى المدينة اظهروا سبه وخلعوه وطردوا عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان وقالوا قدمنا من عند رجل لا دين له يسكر ويدع الصلاة وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل؛ وكان حنظلة يقول يا قوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء رجل ينكح الامهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ويقتل أولاد النبيين والله لو يكون عندي احد من الناس لا بلى الله فيه بلاءاً حسناً، فبلغ الخبر الى يزيد فبعث اليهم مسلم بن عقبة المري في جيش كثيف من أهل الشام فاباحها ثلاثاً وقتل ابن الغسيل والاشراف واقام ثلاثاً ينهب الاموال ويهتك الحريم.

قال ابن سعد وكان مروان بن الحكم يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة فبلغ يزيد فشكر مروان وقربه وادناه ووصله.

وذكر المدايني في كتاب (الحرة) عن الزهري قال: كان القتلى يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الموالي؛ واما من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء الى قبر رسول الله (ص) وامتلأت الروضة والمسجد قال مجاهد التجأ الناس الى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم.

وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة فكان بينها وبين موت يزيد ثلاثة اشهر ما امهله الله بل اخذه اخذ القوي وهي ظالمة وظهرت فيه الآثار النبوية والاشارات المحمدية.

وذكر أبو الحسن المدايني عن أم الهيثم بنت يزيد قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف بالبيت فعرض لها أسود فعانقته وقبلته فقلت لها ما هذا منك قالت هذا ابني من يوم الحرة وقع عليّ أبوه فولدته.

وذكر أيضاً المدايني عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان ولدت الف امرأة بعد

الحرة من غير زوج، وغير المدايني يقول عشرة آلاف امرأة.

وقال الشعبي: أليس قد رضي يزيد بذلك وأمر به وشكر مروان بن الحكم على فعله ثم سار مسلم بن عقبة من المدينة الى مكة فمات في الطريق فأوصى الى الحصين ابن نمير فضرب الكعبة بالمجانيق وهدمها واحرقها وجاء نعي يزيد لعنه الله في ربيع

وقال جدي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر وحمل الرؤوس اليه وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على ان يدفع فاطمة بنت الحسين الى الرجل الذي طلبها وانشاده أبيات ابن الزبعرى: (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ورده الرأس الى المدينة وقد ظنّ أنه تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة واظهار رائحة الرأس أفيجوز ان يفعل هذا بالخوارج اليس با جماع المسلمين ان الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون؛ وكذا قول يزيد لي ان اسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولا يقنع لقايله وفاعله باللعنة ولو لم يكن في قلبه احقاد جاهلية واضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل اليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن الى آل رسول الله.

قلت والذي يدل على هذا انه استدعى ابن زياد اليه واعطاه أموالا كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وادخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغني غن ثم قال يزيد بديهيا:

اسقني شربة تروي فؤادي	ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي	ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً	ومبيد الأعداء والحساد

وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته فضلا عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد. فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

عليـة هاتي واعلني وترنمي	بذلك أني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمى بها	الى أحد حتى أقام البواكيا

الاهات فاسقيني على ذاك قهوة — تخيرها العنسي كرماً شآميا
اذا ما نظرنا في أمور قديمة — وجدنا حلالا شربها متواليا
وان مت يا أم الاحيمر فانكحي — ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فان الذي حدثت عن يوم بعثنا — أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بد لي من أن أزور محمداً — بمشمولة صفراء تروي عظاميا

قلت ومنها قوله:

ولو لم يمس الأرض فاضل بردها — لما كان عندي مسحة في التيمم

ومنها: (لما بدت الحمول واشرقت) وقد ذكرناها. ومنها قوله:

معشر الندمان قوموا — واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كاس مدام — واتركوا ذكر المغاني
اشغلتني نغمة العيدان — عن صوت الأذان
وتعوضت عن الحور — خموراً في الدنان

الى غير ذلك مما نقلته من ديوانه، ولهذا تطرق الى هذه الأمة العار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعري يشير بالشنار اليها:

أرى الأيام تفعل كل نكر — فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسينا — وكان على خلافتكم يزيد

قلت: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر واكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدي (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود).

وحكى لي بعض اشياخنا عن ذلك اليوم: ان جماعة سألوا جدي عن يزيد فقال ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين في السنة الأولى قتل الحسين في الثانية أخاف المدينة واباحها وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها، فقالوا نلعن فقال فالعنوه.

وقال جدي في كتاب (الرد على المتعصب العنيد) قد جاء في الحديث: لعن من فعل ما لا يقارب عشر معشار فعل يزيد، وذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري،

ومسلم في (الصحيحين) مثل حديث ابن مسعود عن النبي (ص) انه لعن الواشمات والمتوشمات، وحديث ابن عمر لعن الله الواشمة والمتوشمة ولعن الله المصورين، وحديث جابر لعن رسول الله (ص) اكل الربا وموكله، الحديث وحديث ابن عمر في مسند أحمد لعنت الخمر على عشرة وجوه الحديث، وأورد أخباراً كثيرة في هذا الباب هذه الأشياء دونْ فعل يزيد في قتله الحسين واخوته وأهله ونهب المدينة وهدم الكعبة وضربها بالمجانيق واشعاره الدالة على فساد عقيدته ومن رام الزيادة على هذا فليقف على كتابه المسمى (بالرد على المتعصب العنيد).



الباب العاشر

في ذكر محمد بن الحنفية

وكنيته: أبو القاسم، وقيل أبو عبد الله، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، ولد بعد وفاة رسول الله (ص).

وقال احمد في المسند: حدثنا وكيع حدثنا مطر بن منذر حدثنا محمد بن الحنفية عن أبيه علي (ع) قال: قلت يا رسول الله أرأيت ان ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال نعم.

قال الزهري: فكانت رخصة من رسول الله (ص) لعلي (ع)، فان قيل: فقد روى يولد لك ابن قد نحلته اسمي وكنيتي.

قلت: حدثتنا رواة أحمد في المسند ولم يتكلم فيه احد وانما الحديث الذي رواه اخرجه مشايخنا عن القزاز عن الخطيب ولفظه عن علي (ع) قال قال لي رسول الله (ص) يولد لك ولد قد نحلته اسمي وكنيتي في اسناده الحسن بن بشير احاديثه منكرة، أما الحديث الذي رويناه فلا مطعن فيه.

قلت: وقد تسمى بهذا الاسم وتكنى بهذه الكنية جماعة في الإسلام، محمد بن أبي بكر الصديق فان كنيته أبو القاسم، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن أبي وقاص، ومحمد بن عبد الرحمان بن عوف، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة، ومحمد بن الأشعث بن قيس في آخرين، وأم محمد خولة بنت جعفر بن قيس الحنفي، وكانت أم ولد من سبي اليمامة.

قال الزهري: كان محمد من اعقل الناس واشجعهم معتزلا عن الفتن وما كان فيه الناس.

وقال ابن سعد في (الطبقات) لما استولى ابن الزبير على الحجاز وقتل الحسين بعث

ابن الزبير الى ابن الحنفية يقول له بايعني وبعث اليه عبد الملك بن مروان يقول له كذلك فقال لهما انما أنا رجل من المسلمين اذا اجتمع الناس على امام بايعته فلما قتل ابن الزبير بايع عبد الملك.

وقال وهب بن منبه: كانت القلوب مائلة الى محمد ابن الحنفية، وكان المختار بن أبي عبيدة يدعو اليه بالكوفة ويراسله ويقول انه المهدي وهذا مذهب الكيسانية وهم طائفة من الامامية أصحاب المختار بن أبي عبيدة؛ وكان المختار يلقب بكيسان؛ وجماعة من الكيسانية يزعمون ان محمد ابن الحنفية لم يمت وانه مقيم بجبل رضوى في شعب منه ومعه أربعون من أصحابه دخلوا ذلك الشعب فلم يوقف لهم على اثر وانهم أحياء يرزقون، وفيهم يقول كثير عزة (وكان من الكيسانية):

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الأمر أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس لهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

وقوله: سبط مجازاً، وانما أراد الولد، ولو قال ابن لا يذوق الموت كان أولى. ومن الكيسانية السيد الحميري واسمه اسماعيل بن محمد وهو القائل:

ألا قل للإمام فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعدوا أهل هذا الأرض طراً ... مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ... ولا وارت له أرض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله إذ حزنا لأمر ... به ولديه نلتمس التماما

وقال السيد أيضاً:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى ... وبنا اليه من الصبابة أشوق
حتى متى وإلى متى وكم الذي ... يا بن الوصي وأنت حي ترزق

قال الواقدي ولما علم ابن الزبير بقصة محمد مع المختار وطلب منه ان يبايعه حبسه

في مكان يقال له حبس عارم وفيه يقول كثير يخاطب ابن الزبير:

يخبر من لاقيت أنك عابد	بل العابد المظلوم في حبس عارم
ومن ير هذا الشيخ في الخيف والمنى	من الناس يعلم انه غير ظالم
سمي نبي الله وابن وصيه	وفكاك اغلال وقاضي المغارم

وقال هشام: وانما حبسه في قبة زمزم وحبس معه عشرين من وجوه عشيرته وجماعة من بني هاشم لم يبايعوه وضرب لهم اجلا إن لم يبايعوه فيه وإلا حرقهم بالنار وأشار بعض من كان مع محمد ان يبعث الى المختار فيعرفه حديثهم وما توعدهم به ابن الزبير.

وقال في كتابه: يا أهل الكوفة لا تخذلونا كما خذلتم الحسين فلما قرأ المختار كتابه بكى وجمع الأشراف وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديكم وسيد أهل بيت نبيكم وقد تركهم الرسول ينتظرون القتل والحريق ولست أبا اسحاق إن لم انصرهم وأسرب الخيل في اثر الخيل كالسيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ثم سرح اليهم عبدالله الجدلي في الف فارس واتبعه بالف ثم بالف والف فساروا حتى هجموا على مكة ونادوا يا ثارات الحسين ووافوا الحطب على باب القبة ولم يبق من الأجل سوى يومين فكسروا باب القبة واخرجوا محمداً ومن معه وسلموا عليه وقالوا خل بيننا وبين عدو الله المحل ابن الزبير فقال محمد لا استحل القتال في حرم الله ثم تتابع عدد المختار حتى خرج محمد في أربعة آلاف فخرج الى ايلة فاقام بها مدة سنتين وكان ابن الزبير قد احرق داره وقيل بل اقام بالطايف وهو الأشهر.

﴿ذكر نبذة من كلامه (رض)﴾

أخبرنا غير واحد عن اسماعيل بن احمد السمرقندي أنبأنا عمرو بن عبيد الله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا هارون بن معروف عن عبد الله بن المبارك حدثنا الحسين بن عمر الفقيمي عن منذر الثوري، قال كان محمد بن الحنفية يقول ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدأ حتى يجعل الله له من امره فرجاً ومخرجاً؛ وبه قال الثوري قال محمد من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا في عينيه. وبه قال الثوري، قال

محمد ان الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال أيضاً: كل ما لا ينبغي به وجه الله فهو مضمحل.

وذكر أبو نعيم في كتاب (الحلية) وقال حدثنا احمد بن محمد بن سنان حدثنا محمد ابن اسحاق السراج الثقفي حدثنا عمر بن محمد بن الحسن حدثنا أبي عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين (ع) قال: كتب ملك الروم الى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليبعثن اليه مائة الف في البر ومائة الف في البحر أو يؤدي اليه الجزية فكتب عبد الملك الى الحجاج وكان بالحجاز توعد محمد بن الحنفية بالقتل وأخبرني بجوابه وكان عبد الملك قد خاف خوفاً عظيماً فلما وصل كتابه الى الحجاج كتب الى محمد يتواعده فكتب محمد الى الحجاج، أما بعد فان لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة الى خلقه وأنا أرجو أن ينظر اليّ نظرة يمنعني منك.

فكتب الحجاج بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى ملك الروم بذلك فكتب اليه ملك الروم مالك ولهذا الكلام ما خرج منك ولا من أهل بيتك وانما خرج من بيت النبوة.

وفي رواية ان الحجاج لما قدم والياً على الحجاز كتب محمد الى عبد الملك يقول الحجاج من قد علمت فلا تجعل له علي سلطاناً بيد ولا لسان، فكتب عبد الملك الى الحجاج ينهاه عنه فالتقاه في الطواف فعض على شفته ثم قال لولا أمير المؤمنين لفعلت وفعلت فقال له محمد ويحك يا حجاج ان لله تعالى في كل يوم وذكره.

وقال الثوري بالأسناد المتقدم قال محمد يوماً لبعض ولده اذا شئت ان تكون اديباً فخذ من كل شيء أحسنه وان شئت أن تكون عالماً فاقتصر على فن من الفنون وبه قال الثوري عن علي بن الحسين قال: قال الاشتر النخعي لمحمد بن الحنفية يوماً من أيام صفين قم بين الصفين وامدح أمير المؤمنين واذكر بعض مناقبه فبرز محمد بين الصفين وأومى الى عسكر معاوية وقال يا أهل الشام اخسئوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم عن البدر الزاهر والقمر الباهر والنجم الثاقب والسنان النافذ والشهاب المنير والحسام المبير والصراط المستقيم والبحر الخضم العليم من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله

مفعولا أو ما ترون أي عقبة تقتحمون وأي هضبة تتسنمون واني تؤفكون بل ينظرون اليك وهم لا يبصرون أصنو رسول الله تستهدفون ويعسوب دين الله تلمزون فأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون وأي خرق بعد ذلك ترقعون هيهات هيهات برز والله في السبق وفاز بالخصل واستولى على الغاية واحرز فصل الخطاب فانحسرت عنه الأبصار وانقطعت دونه الرقاب وفرع الذروة العليا وبلغ الغاية القصوى فعجز من رام سعيه وعناه الطلب وفاته المأمول والأرب ووقف عند شجاعته الشجاع الهمام وبطل سعي البطل الضرغام وانى لهم التناوش من مكان بعيد فخفضاً خفضاً ومهلا مهلا افلصديق رسول الله تنكشون أم لأخيه تسبون وهو شقيق نسبه اذا نسبوا ونديد هارون اذا مثلوا وذو قوى كبرها اذا امتحنوا والمصلي الى القبلتين اذا انحرفوا والمشهور له بالإيمان اذا فكروا والمدعو بخيبر اذا انكلوا والمندوب لنبذ عهد المشركين اذا نكثوا والمخلوف على الفراش ليلة الهجرة اذا جبنوا والثابت يوم احد إذ هربوا والمستودع للأسرار ساعة الوداع إذ حجبوا

هـذي المكـارم لا قعبـان من لبن شيـبا بمـاء فعـادا بعـد أبـوالا

وكيف يكون بعيداً من كل سناء وسمو وثناء وعلو وقد نحله ابوه ورسول الله وأبوه انجبت بينهما جدود ورضعا بلبان ودرجا في سنن وتفيئا بشجرة وتفرعا من أكرم اصل فرسول الله للرسالة وأمير المؤمنين للخلافة رتق الله به فتق الإسلام حتى انجابت طخية الريب وقمع نخوة النفاق حتى ارفأن جيشانه وطمس رسم الجاهلية وخلع ربقة الصغار والذلة وكفت الملة العوجاء ورنق شربها وحلأها عن وردها واطئا كواهلها آخذاً باكظامها يقرع هاماتها ويرحضها عن مال الله حتى كلها الخشاش وعضها الثقاف ونالها فرض الكتاب فجرجرت جرجرة العود الموقع فرادها وقرأ فلفظته أفواهها وأزلقته بابصارها ونبت عن ذكره اسماعها فكان لها كالسم المقر والزعاف المزعف لا يأخذه في الله لومة لائم ولا يزيله عن الحق تهيب متهدد ولا يحيله عن الصدق ترهب متوعد فلم يزل كذلك حتى اقشعت غيابة الشرك وخنع طيخ الإفك وزالت قحم الاشراك فيه حتى تنسمتم روح النصفة وقطعتم قسم السوء بعد ان كنتم لوكة الآكل ومذقة الشارب وقبسة العجلان بسياسة مأمون الحرفة مكتهل الحنكة طب بأدوائكم قمنا بدوائكم مثقفا لأودكم كالئاً لحوزتكم حامياً لقاصيكم ودانيكم يقتات بالجبنة ويرد الخميس ويلبس الهدم ثم اذا سبرت الرجال وطاح

الوشيظ واستسلم المشيح وغمغمت الاصوات وقلصت الشفاه وقامت الحرب على ساق وخطر فينقها وهدرت شقاشقها وجمعت قطريها وسالت بابراق الفي أمير المؤمنين هنالك مثبتاً لقطبها مديراً لرحاها قادحا بزندها مورياً لهبها مذكياً جمرها دلاقاً الى البهم ضراباً للقلل غصاباً للمهج تراكاً للسلب خواضاً لغمرات الموت مثكل امهات موتم أطفال مشتت آلاف قطاع اقران طافيا عن الجولة راكداً في الغمرة يهتف باولاها فتنكف اخراها فتارة يطويها كطي الصحيفة وآونة يفرقها تفرق الوفرة فبأي الآء أمير المؤمنين تمترون وعلى أي أمر ثمل حديثه تاثرون وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون؛ فلم يبق في الفريقين إلا من اعترف بفضل محمد.

﴿تفسير غريبه﴾

الحصب ما رمي به في النار، والطمس ذهاب الاثر؛ والصنوان تخرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صنو؛ والجمع صنوان ويستهدفون يجعلونه هدفاً، والخصل ان يقع السهم بلزق القرطاس في المناضلة والتناوش التناول وقوله ﴿هذي المكارم لا قعبان﴾ قلت ولو كنت حاضراً هذا الكلام لقلت هذه الفصاحة لا سحبان، ونحلته أعطيته، وانجبت من النجابة ورتق لأم، والطخية شدة الظلمة، وارفان نفر ثم سكن، وجيشانه غليانه والكف ضم بعض الشيء الى بعض، ورنق بالنون أي كدر شربها؛ واقطام مجرى النفس؛ والثقاف ما يسوي به الرماح، والموقع الموقر الظهر، والمقر الصبر، وسم ذعاف قاتل سريعاً وهو بالذال المعجمة؛ وارعفه قتله، والغيابة ما اظلك، واخنع أي أخضع، والطيخ التكبر، والانهماك في الباطل، والقحم التقحم، والجبنة عامة الشجر ويقال للبن الحامض جبنة؛ وتهدم الثوب بلى وطاح سقط ،والوشيظ الخسيس؛ والمشيح المجد، وفينقها فحلها والجمع فنق وافناق» وقد ذكرنا الشقشقية فيما تقدم؛ وقطرها جانباها، والرفرة الشعر إلى شحمة الأذن.

﴿ذكر وفاته﴾

اختلفوا في أي مكان توفي على ثلاثة أقوال احدهما بأيلة، والثاني بالمدينة وصلى عليه ابان بن عثمان باذن ابنه أبي هاشم ودفن بالبقيع؛ والثالث بالطائف وذلك في سنة أحدى وثمانين في أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة.

﴿ذكر أولاده﴾

أبو هاشم واسمه عبد الله وهو أكبر ولده وكان من العلماء الاشراف قدم على سليمان بن عبد الملك فاكرمه ثم سار الى فلسطين فبعث اليه سليمان من قعد له على الطريق بلبن مسموم فلما شرب منه احس بالموت فعدل الى الحميمة واجتمع بمحمد ابن علي بن عبد الله بن عباس واعلمه ان الأمر في ولده وسلم اليه كتب الدعاة واوقفه على ما يفعل ثم مات عنده بالحميمة من ارض الشراة بناحية البلقاء وكان لأبي هاشم من الولد هاشم وبه كان يكنى ومحمد الأصغر لا بقية له وامهما بنت جلد كنانية ومحمد الأكبر؛ ولبابة وامهما فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عباس وعلي وأمه أم عثمان بنت أبي جدير قضاعية، وطالب، وعون، وعبيد الله لامهات أولاد شتى، وريطة وهي أم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأم سلمة لأم ولد.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال كان أبو هاشم ثقة وكانت الشيعة يتوالونه وكان بالشام مع بني هاشم وعندهم توفي رحمه الله.

وكان لمحمد بن الحنفية من الولد، جعفر الأكبر، وعلي، وحمزة، وجعفر الأصغر، والحسن لامهات أولاد شتى، وكان الحسن، هذا من ظرفاء بني هاشم وهو أول من تكلم في الارجاء وكان يقدم على أخيه أبي هاشم.

وقال ابن اسحاق أمه جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وتوفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وليس له عقب، وابراهيم وأمه مسرعة بنت عباد بن شيبان ابن جابر عوفية، والقاسم، وأم أبيها، وعبد الرحمان وأمهم أم عبد الرحمان وأمها برة بنت عبد الرحمان بن الحرث بن نوفل، وجعفر الأصغر وعون، وعبد الله الاصغر وامهم أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله، ورقية، ومحمد وأمهم أم ولد، وقال الزبير بن بكار وكان عبد الله أكبر ولد محمد وكنيته أبو هاشم وهو الذي سقاه سليمان بن عبد الملك اللبن مسموماً فأوصى الى ابن عمه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومات عنده بالحميمة أرض الشراة بناحية البلقاء.

اسند محمد بن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة ومعظم حديثه عن أبيه علي (ع).

قال أبو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي حدثنا احمد بن يحيى بن زهير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال انكر على مارية أم ابراهيم في قبطى ابن عم لها كان يزورها ويختلف اليها فقال لي رسول الله (ص) خذ هذا السيف وانطلق فان وجدته عندها فاقتله قال فقلت يارسول الله(ص) أكون في أمرك اذا ارسلتني كالسبيكة المحماة لا يثنيني شيء حتى امضي لما أمرتني به والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فقال نعم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال فاقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف واقبلت نحوه فعرف اني أريده فأتى نخلة فصعد فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ورفس برجليه فاذا هو أجب ممسوح ليس له قليل ولا كثير فاغمدت السيف وأتيت رسول الله (ص) فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت الحزن.



الباب الحادي عشر

﴿في ذكر خديجة وفاطمة (ع)﴾

أما خديجة فهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي ويقال بالهمزة الى ان ينتهي نسبها الى عدنان وأمها فاطمة بنت زايدة من الأصم من ولد فهر بن مالك، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف وام هالة العرقة وهي قلابة بنت سعيد من بني لوي بن غالب.

قال الواقدي وكانت خديجة وهي بكر قد ذكرت لورقة بن نوفل وكان ابن عمها فلم يقض بينهما نكاح فتزوجها أبو هالة واسمه هند بن النباس التميمي فولدت له هنداً وهالة اسم رجلين ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وكانت خديجة تدعى أم هند.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال كانت أسن من رسول الله (ص) بخمسة عشر سنة.

قال الواقدي وكانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث الى الشام فيكون عيرها كعير عامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة فلما بلغ رسول الله (ص) خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين أرسلت اليه تسأله الخروج الى الشام مع عيرها مع مولاها ميسرة فسافر رسول الله (ص) بعيرها الى الشام فرأى غلامها ميسرة منه في الطريق العجائب ورأى الغمامة تظله فلما قدم مكة رأت الغمامة على رأسه وحكى لها ميسرة ما شاهد فتزوجته بعد قدومه من الشام بيومين[1] زوجه اياها أبوها وقيل أخوها عمر بن خويلد وقيل انما زوجها عمها عمرو وهي بنت أربعين سنة وهو الاصح لأنها ولدت قبل الفيل بخمسة عشر سنة والاصح ان الذي زوجها عمرو.

---

(١) وفي نسخة بشهرين.

قال الواقدي مات أبو خديجة قبل الفجار الأول.

﴿ذكر خطبة النكاح وعقد العقد﴾

قال علماء السير حضر أبو طالب العقد ووجوه بني هاشم والاشراف وعمومة رسول الله فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الارجح به وان كان في المال قل فالمال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم فضله ونسبه وقرابته وصدقه وامانته وقد خطب خديجة بنت خويلد ويذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي ومبلغه كذا وكذا وهو والله له بعد خطب جسيم وخطر جليل.

وقيل انه اصدقها عشرين بكرة وعشر أواقي من الذكر وعبداً وأمة.

﴿ذكر نبذة من فضائلها﴾

قال هشام بن محمد: كان رسول الله (ص) يودها ويحترمها ويشاورها في أموره كلها وكانت وزير صدق وهي أول امرأة آمنت به ولم يتزوج في حياتها احداً وجميع أولاده منها إلا ابراهيم بن مارية لما نذكر.

قال احمد في المسند حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي (ع) قال: سمعت رسول الله (ص) يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد متفق عليه والمراد بالأول نساء بني اسرائيل وبالثاني نساء هذه الأمة.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة قال أتى جبرئيل (ع) رسول الله (ص) فقال يا محمد هذه خديجة قد اتتك فاقرأها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب؛ القصب الدر المجوف والصخب الاصوات المختلفة، والنصب التعب ومعناه انه لا بد لكل بيت من تعب واصلاح إلا قصور الجنة فانه لا تعب في بنائها.

وقيل: لما تعبت في تربية الاولاد حصلت لها الراحة بالمناسبة.

وفي الصحيحين أيضاً: ان عائشة (رض) قالت ما عزت علي احد من نساء رسول الله ما عزت علي خديجة وما رأيتها قط ولكن كان رسول الله يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطع اعضائها ويبعث بها الى صدايق خديجة.

فاقول كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول انها كانت، وكانت وكان لي منها الاولاد الصدايق الحلايل.

وفي رواية عن عائشة قالت فادركتني الغيرة يوماً فقلت وهل كانت إلا عجوزاً قد اخلف الله لك خيراً منها قالت فغضب حتى اهتز مقدم شعره وقال والله ما اخلف لي خيراً منها لقد آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وانفقتني بما لها إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء؛ قالت: فقلت في نفسي والله لا اذكرها بسوء أبداً.

وفي رواية عن عائشة قالت أغضبت رسول الله (ص) يوماً وقلت خديجة بالتصغير فزجرني وقال: اني رزقت حبها واستأذنت عليه يوماً هالة أخت خديجة فارتاع لذلك وقال اللهم هالة بنت خويلد، قالت فغرت وقلت وما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر فزجرني وقال بمعنى ما تقدم؛ ومعنى حمراء الشدقين ان المرأة اذا كبرت احمر شدقاها، وقيل أنه أرادت بالأحمر الابيض ومتى كبرت المرأة ابيض شدقاها وهو الاصح.

وكل هذه الروايات في الصحيحين.

وقال الزهري: بلغنا ان خديجة انفقت على رسول الله (ص) أربعين الفاً وأربعين الفاً.

﴿ذكر وفاتها (رض)﴾

قال الواقدي توفيت خديجة بعد أن مضى من النبوة عشر سنين وهي بنت خمس وستين سنة قبل وفاة أبي طالب بثلاثة أيام وقيل بعد وفاته بشهر.

قال حكيم بن حزام دفناها بالحجون ونزل رسول الله (ص) في قبرها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها.

وقال هشام توفيت ورسول الله (ص) ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر.

وقال مجاهد: كانت وفاتها قبل ان تفرض الصلوات الخمس وهذا صحيح لأن الصلوات فرضت سنة اثني عشر من النبوة ليلة المعراج.

وقال هشام كانت وفاتها لعشر خلون من رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين.

﴿ذكر أولادها من رسول الله (ص)﴾

وقال ابن اسحاق كان له من الذكور: القاسم وبه كان يكنى مات بمكة قبل المبعث وله سنتان، وعبد الله ويسمى الطيب؛ مات أيضاً قبل النبوة وقيل بعدها بسنة والطاهر ولد في الإسلام ولهذا سمي الطاهر وتوفي بعد المبعث وقيل الطيب والطاهر لقبان والأول أصح.

وقال احمد في المسند حدثنا عثمان بن شيبة عن محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن أبي زادان عن علي (ع) قال: قالت خديجة يا رسول الله أين ولدي منك فقال في الجنة.

وقال ابن سعد كان بين كل ولدين سنة وقيل سنتان؛ وأما البنات :زينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهن السلام.

فاما زينب فتزوجها أبو العاص بن الربيع واسمه مقسم بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة ولدت منه ولداً سماه علياً فتوفي وهو صغير.

وقال هشام تزوج أبو العاص زينب وهو مشرك واسر يوم بدر فمن عليه رسول الله (ص) على ان يجهز اليه زينب فجهزها اليه فلما خرجت من مكة لحقها هبار بن الأسود فطعن بعيرها فصرعها فأسقطت وردها وبقيت عند هند بنت زمعة، وبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فتلطف له حتى ورد بها المدينة ففرح بها رسول الله (ص).

قال الواقدي: وذلك بعد غزاة خيبر وليس بصحيح وانما هو عقيب غزاة بدر ثم قدم زوجها أبو العاص على رسول الله (ص) فاستجار بزينب فاجارته فامضى رسول الله (ص) ذاك ورد زينب عليه رسول الله (ص) بالنكاح الأول وقيل انما ردها بنكاح جديد وقيل انما اسلم قبل انقضاء عدتها وقيل كان هذا ثم نسخ يعني النكاح الأول وكان لابي العاص من زينب ابنة يقال لها امامة تزوجها المغيرة بن نوفل وفارقها

فتزوجها علي (ع) بعد موت فاطمة وقيل انما تزوجها بوصية فاطمة وهذه امامة هي التي كان رسول الله (ص) يحملها على كتفه وهي طفلة حتى في الصلاة فاذا سجد وضعها على الارض واذا قام علا فحملها وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة.

وأما رقية فكان رسول الله (ص) زوجها عتبة بن أبي لهب[1] وزوج أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب فلما نصب أبو لهب العداوة لرسول الله (ص) أمر ابنيه عتبة وعقبة بطلاقهما فطلقاهما قبل الدخول فتزوجها عثمان تزوج في الجاهلية رقية زوجه رسول الله (ص) اياها أولا فولدت له عبد الله وهاجرت معه الى الحبشة ثم عادت معه الى المدينة وتوفيت سنة اثنتين من الهجرة والنبي (ص) ببدر وكان لها من عثمان بن عفان عبد الله نقره ديك في عينه فمات سنة أربع من الهجرة وله ست سنين فزوجه رسول الله (ص) أم كلثوم فتوفيت عنده سنة سبع من الهجرة وكان تزويجها من عثمان سنة ثلاث من الهجرة.

فصــــل

وأما فاطمة (ع) قال علماء السير ولدتها خديجة وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين وهي أصغر بنات رسول الله وتزوجها علي (ع) في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة أو رجب وقيل في صفر والأول أشهر.

﴿ذكر تزويجها وفضلها﴾

قال هشام: واهديت اليه في بردين وفي يديها دملوجان من فضة ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوها ليف وقربة ومنخل وجراب.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد البصري حدثنا ابراهيم ابن يسار حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه قال اخبرني من سمع علي ابن أبي طالب يقول على منبر الكوفة لما أردت ان اخطب فاطمة الى رسول الله (ص) ذكرت انه لاشيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها فقال وهل عندك شيء قلت لا قال فأين درعك الحطمية فقلت عندي وكان رسول الله (ص) قد وهبها لي فاتيته بها فأنكحني إياها على الدرع فلما ان دخلت علي قال لا تحدثن حدثاً حتى آتيكما فاستاذن

---

(١) وفي نسخة: عقبة بن أبي كثير.

رسول الله (ص) علينا وعلينا كساء أو قطيفة قال فتخشخشنا فقال مكانكما على حالكما فدخل علينا فجلس عند رؤوسنا ودعا بماء فدعى فيه بالبركة ورشه علينا قال علي فقلت يا رسول الله ايما أحب اليك أنا أم هي فقال هي أحب الي منك وأنت أعز علي منها.

قال الشعبي: وكان قيمة درعه خمسة دراهم وغيره يقول خمسمائة درهم.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا أبو عمر محمد بن محمود الأصبهاني حدثنا علي بن خشرم المروزي أنبأنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال خطب أبو بكر رضي الله عنه فاطمة (ع) فقال رسول الله (ص) انها صغيرة واني انتظر بها القضاء فلقيه عمر فاخبره فقال ردك ثم خطبها عمر فرده ثم خطبها علي (ع) فزوجه إياها وقال ان الله أمرني أن أزوج علياً فاطمة فباع علي (ع) بعيراً وبعض متاعه وتزوجها.

وذكره ابن سعد في (الطبقات) وقال فيه كان رسول الله (ص) قد وعد علياً بها قبل ان يخطبها أبو بكر وعمر.

وذكر ابن سعد أيضاً عن محمد بن علي قال تزوج علي فاطمة على اهاب شاة وذلك في رجب بعد الهجرة بخمسة اشهر وبنى بها بعد مرجعه من بدر وفاطمة يومئذ بنت ثمان عشرة سنة.

وقال ابن سعد حدثنا أبو اسامة عن مجالد عن عامر قال: قال علي (ع) لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن أبي زيد المدني قال لما اهديت فاطمة الى علي (ع) لم تجد عنده إلا رملا مبسوطاً ووسادة وكوزاً وجرة فارسل اليه رسول الله (ص) لا تقرب زوجتك حتى آتيك فجاء رسول الله (ص) فدعى بماء فقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم نضح به صدر علي (ع) ووجهه ثم دعى بفاطمة فقامت اليه في مرطها وهي تصعد عرقاً من الحياء فنضح عليها من الماء وقال لها اما اني لم انكحك إلا أحب أهلي الي واعزهم علي أو عندي ثم خرج وقال

دونك أهلك وما زال يدعو لنا حتى دخل الحجرة فرأى سواداً من وراء الباب فقال من هذا فقالت اسماء قال بنت عميس قالت نعم قال امع بنت رسول الله جئت كرامة لرسول الله قالت نعم فدعى لها وفي رواية انه جهز رسول الله (ص) فاطمة في خميلة وهي القطيفة.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) ان رسول الله (ص) لما دخل علي (ع) على فاطمة جاء فطرق الباب وقال أين أخي فجاءت أم أيمن فقالت يا رسول الله كيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك قال هو ذاك ثم دخل عليهما فدعى لهما ووقاهما قال وانما فعل رسول الله (ص) ذلك لأن اليهود كانوا يأخذون الرجل عن أهله.

وفي رواية جهزها رسول الله (ص) ومعها قربة من ادم ووسادة من ادم حشوها ليف وجلد كبش ينامان عليه بالليل ويعلفان الناضح عليه في النهار ورحا وجرة.

وذكر ابن سعد قال لما خطب علي (ع) فاطمة دنى رسول الله (ص) من خدرها وقال ان علياً يذكر فاطمة فسكتت فزوجها منه قلت فصار ذلك اصلا في كل بكر إنها تستأمر سواء كان لها أب أوغيره عند أبي حنيفة ولا تجز أصلا وعند الشافعي واحمد تخير لما عرف في موضعه.

وفي رواية: لما خطبها خرج الى الانصار فقالوا له ما قال لك؟ فقال: قال لي مرحباً واهلا فقالوا له ابشر فقد اعطاك الرحب والأهل.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا حميد بن عبد الرحمان الرواسي حدثنا أبي عن عبد الكريم بن سليط عن أبي بريدة عن أبيه قال: لما أراد النبي (ص) أن يجهز فاطمة الى علي (ع) قال لأصحابه لا بد للعرس من وليمة فقال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله عندي كبش، وقال آخر عندي فرق من ذرة.

وأخبرنا جدي أبو الفرج رحمه الله قال أنبأنا أبو منصور القزاز أنبأنا أبو بكر الخطيب أنبأنا محمد بن احمد بن الشاكر المؤذن أنبأنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حسان أنبأنا عبد الرحمان بن سالم الرازي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا احمد بن صالح المصري عن ابراهيم الحجاج عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوج رسول الله (ص) فاطمة من علي (ع) قالت يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له مال؟ فقال لها رسول الله (ص) أما ترضين

ان الله تعالى اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك.

وفي رواية: زوجتني من عائل لاشيء له فقال لها رسول الله (ص) أما ترضين أن يكون الله اطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك.

وقد تكلموا في هذا الحديث وقالوا رواه عبد الرزاق؛ وقالوا كان منسوباً الى التشيع ،وقد ذكرناأن عبد الرزاق من كبار العلماء وانه شيخ احمد بن حنبل وقد اخرج عنه في الصحيحين فلا يلتفت الى من تكلم فيه لغرض فاسد.

قلت: وقد ذكر جدي أبو الفرج في كتاب (المنتخب) في فضائل فاطمة وقال أمر الله تعالى الجنان ليلة عرسها فحملت حللا وحلياً فنثرته على الملائكة ثم قال جدي عقيب هذا يا عجبا يكون الحلل والحلي لمن يكون فراشها جلد كبش هلا حلت لها منها حلة ثم قال كلا مركب الملك أجل من أن يحلى، ثم ذكر حديث نثر الحلل والحلي في الموضوعات فرواه عن القزاز عن الخطيب باسناده الى ابن مسعود رفعه ثم قال المتهم بوضع هذا الحديث خلد بن عمر الحمصي.

قلت: فما الذي دعاه الى ذكر حديث على وجه المدح ثم يضعفه في مكان آخر على ان يقوله والمتهم به خلد بن عمر ولا يسقط الحديث لأنه لم يقطع به.

وقال احمد في المسند حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا زكريا بن أبي زائد عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة (رض) قالت: أقبلت فاطمة كأن مشيتها مشية رسول الله (ص) فقال مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم اسر اليها حديثاً فبكت فقلت استخصك رسول الله (ص) وأنت تبكين ثم انه اسر اليها فضحكت؛ قالت فقلت لها ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن ما أسر اليك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله حتى اذا قبض سألتها فقالت انه أسر اليّ وقال: كان جبرئيل يعارضني بالقرآن في كل عام مرة وانه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وانك أول أهلي لحوقا بي ولنعم السلف انا لك فبكيت لذلك فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة فذلك الذي اضحكني، متفق عليه ولم يخرج البخاري ومسلم لفاطمة في الصحيحين سواه.

.قالوا: وقد روت عن رسول الله (ص) ثمانية عشر حديثاً، وقيل ثمانين حديثاً وانما يسيرة بالنسبة اليها.

وقد أخرج مسلم عن المسور بن مخرمة ان رسول الله (ص) قال: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها فمن أغضبها فقد اغضبني.

واخرجه الترمذي أيضاً فقال: حدثنا قتيبة عن الليث عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك على المنبر واخرجه البخاري أيضاً عن أبي الوليد عن ابن عتيبة عن عمر بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة.

وقال أبو احمد بن محمد بن الغطريف الجرجاني، وقد تقدم اسنادنا اليه في آخر فضائل علي (ع) في الباب الثاني من الكتاب حدثنا عمرو بن محمد الكاغذي حدثنا ابن أبي الصقر حدثنا عبد الله بن محمد بن سالم حدثنا الحسين بن زيد عن عمرو بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ص) لفاطمة (ع) ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

وأخبرنا غير واحد عن اسماعيل بن احمد السمرقندي أنبأنا عمرو بن عبد الله البقال أنبأنا أبو الحسين بن بشران حدثنا عثمان بن احمد الدقاق حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا هارون بن معروف عن عبد الله بن المبارك حدثنا الحسن ابن عمرو بن القفيمي عن منذر الثوري عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الموقف غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم لتجوز فاطمة بنت محمد على الصراط.

فإن قيل: فقد ذكره جدك في الأخبار الواهية؟ والجواب انما ذكره هناك عن علي وأبي سعيد وأبي هريرة وأبي أيوب وعائشة وضعف طرقهم، وقال في طريق علي عباس ابن الوليد بن بكار وعبد الحميد بن يحيى، وأما حديث أبي سعيد ففيه العباس بن بكار، وفي حديث الى هريرة الغرومي، وفي حديث أبي أيوب سعد بن طريف وفي حديث عائشة شاد بن فياض وكلهم ضعفاء؛ اما حديثنا فاسناده صحيح ورجاله ثقات وطريق ابن عمر لم يذكر في الواهية على ان جدي رحمه الله قد قال في (المنتخب): ويبعث رسول الله (ص) بين يديها وصايف غضوا أبصاركم.

وقال أبو نعيم في (الحلية): حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن

احمد بن حنبل حدثنا عباس بن الوليد حدثنا عبد الواحد بن زياد عن سعيد الحريري عن أبي الورد عن ابن اعيد قال: قال لي علي (ع) ألا أخبرك عني وعن فاطمة كانت ابنة رسول الله (ص) وأكرم أهله عليه وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وقامت بالبيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى أصابها من ذلك ضر ولقد كانت تعجن وان قصها ليضرب الجفنة أو يكاد يضربها.

وقد أخرج احمد في الفضائل بمعناه فقال: حدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن عطا ابن السايب عن أبيه عن علي (ع) قال لم يكن لنا خادم فقلت لفاطمة والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه خادماً فقالت والله وأنا قد طحنت حتى مجلت يداي ثم اتت النبي (ص) فاستحيت ان تطلب منه شيئاً فرجعت فاخذها علي (ع) وجاء الى رسول الله (ص) فذكرا له ما لقيا فقال ألا تحبان ان أعطيكما ما هو أفضل مما سئلتما قلنا بلى قال تسبحان الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران أربعاً وثلاثين دبر كل صلاة واذا اويتما الى فراشكما تسبحان.

وذكره وفي رواية تسبحان دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً قلت: وهذا حديث طويل وقد أخرجه مسلم في الصحيح بمعناه مفرقا، فأخرج مسلم عن أبي هريرة بعضه فقال أتت فاطمة تسأل النبي (ص) خادماً فقال لها قولي (اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم ربنا وسعت كل شيء وذكره واخرجه البخاري أيضاً.

وفي المسند فقال علي: فوالله ما تركتهن منذ علمني رسول الله (ص) اياهن فقال ابن الكوا ولا ليلة صفين فقال قاتلكم الله يا أهل العراق ولا ليلة صفين والقص الصدر ومجلت قطعت.

واخرجه أحمد أيضاً في المسند بهذا الاسناد وقال فيه: فجاءت فاطمة الى رسول الله (ص) فقال لها ما جاء بك يا بنية فقالت جئت لأسلم عليك واستحيت ان تسأله ورجعت فقال لها ما فعلت قالت استحييت ان أسأله فأتيا جميعاً فقال علي يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي فاخدمنا خادماً فقال والله لا اعطيكما وادع أهل الصفة يطوى بطونهم من الجوع

ولكن أبيعهم وانفق عليهم اثمانهم ثم قال محمدان عشراً وذكره وسنوت استقيت بالسانية.

وقال ابن سعد في (الطبقات) حدثنا علي بن محمد عن حباب بن موسى العبيدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال (ع) بتنا ليلة بغير عشاء واصبحنا كذلك فخرجت التمس ما اشتري به لحمًا فالتمست فاشتريت لحمًا ثم أتيت به فاطمة فطبخته ودعونا رسول الله (ص) فجاء فقال اغرفي لنسائي فغرفت للتسع ثم قال اغرفي لأبيك ولبعلك فغرفت ثم رفعت القدر وانها لتفيض فاكلنا منها ما شاء الله تعالى.

﴿ذكر إيثارهم بالطعام﴾

قال علماء التأويل: فيهم نزل قوله تعالى ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا﴾ الآيات.

أنبأنا أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق سنة اثنتين وعشرين وستمائة قال أنبأنا أبو منصور محمد بن اسعد بن محمد العطاري أنبأنا الحسين بن مسعود البغوي أنبأنا احمد بن ابراهيم الخوارزمي أنبأنا أبو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنبأنا عبد الله بن حامد أنبأنا أبو محمد احمد بن عبد الله المزني حدثنا محمد بن احمد بن سهيل الباهلي حدثنا عبد الرحمان بن محمد بن هلال حدثني القاسم بن يحيى عن أبي علي العزي عن محمد بن السايب عن أبي صالح عن ابن عباس؛ ورواه أيضاً مجاهد عن ابن عباس قال في قوله تعالى ﴿يوفون بالنذر﴾ الآية قال مرض الحسن والحسين (ع) فعادهما رسول الله (ص) ومعه أبو بكر وعمر (رض) وعادهما عامة العرب فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فكل نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء فقال علي (ع) لله ان برأ والداي مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً وقالت فاطمة كذلك وقالت الجارية يقال لها فضة كذلك فالبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي (ع) الى سمعون بن حانا اليهودي فاستقرض منه ثلاثة اصواع من شعير فجاء به الى فاطمة فقامت إلى صاع فطحنته وخبزته خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص وصلى علي (ع) المغرب مع النبي (ص) ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فجاء سائل او مسكين فوقف على الباب وقال السلام

عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي (ع) فقال:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس اجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو الينا جائع حزين
كل امرىء بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعده جنة عليين ... حرمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى به النار الى سجين
شرابه الحميم والغسلين

فقالت فاطمة (ع):

أطعمه ولا ابالي الساعة ... ارجو إذا أشبعت ذا مجاعة
ان الحق الاخيار والجماعة ... واسكن الخلد ولي شفاعة

قال فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء القراح، ولما كان اليوم الثاني طحنت فاطمة من الشعير وصنعت منه خمسة اقراص وصلى علي (ع) المغرب وجاء الى المنزل فجاء يتيم فوقف على الباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي اطعموني مما رزقكم الله اطعمكم الله من موائد الجنة؟ فقال علي (ع):

فاطم بنت السيد الكريم ... بنت نبي ليس بالذميم
قد جاءنا الله بذا اليتيم ... قد حرم الخلد على اللئيم
يحمل في الحشر الى الجحيم ... شرابه الصديد والحميم
ومن يجود اليوم في النعيم ... شرابه الرحيق والتسنيم

فقالت فاطمة (ع):

اني اطعمه ولا ابالي ... وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم اشبالي

فرفعوا الطعام وناولوه اياه، ثم أصبحوا وأمسوا في اليوم الثاني كذلك كما كانوا في

الاول فلما كان في اليوم الثالث طحنت فاطمة باقي الشعير وضعته فجاء علي (ع) بعد المغرب فجاء أسير فوقف على الباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أسير محتاج تأسرونا ولا تطعمونا اطعمونا من فضل ما رزقكم الله فسمعه علي (ع) فقال:

فاطم يا بنت النبي أحمد — بنت نبي سيد مسود
مني على أسيرنا المقيد — من يطعم اليوم يجده في الغد
عند العلي الماجد الممجد — من يزرع الخيرات سوف يحصد

فقالت فاطمة (ع):

لم يبق عندي اليوم غير صاع — قد مجلت كفي مع الذراع
ابناي والله من الجياع — أبوهما للخير ذو اصطناع

ثم رفعوا الطعام واعطوه للأسير، فلما كان اليوم الرابع دخل علي (ع) على النبي (ص) يحمل ابنيه كالفرخين فلما رآهما رسول الله (ص) قال واين ابنتي؟ قال في محرابها فقام رسول الله (ص) فدخل عليها ولقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فقال النبي (ص) واغوثاه بالله آل محمد يموتون جوعاً فهبط جبرئيل وهو يقرأ ﴿يوفون بالنذر﴾ الآية فان قيل فقد أخرج هذا الحديث جدك في الموضوعات.

وقال: أخبرنا به ابن ناصر عن محمد بن أبي نصر الحميدي عن الحسن بن عبد الرحمان عن أبي القاسم السقطي عن عثمان بن احمد الدقاق عن عبد الله بن ثابت عن أبي الهذيل عن عبد الله السمرقندي عن عبد الله بن كثير عن الأصبغ بن نباتة قال مرض الحسن والحسين وذكره ثم قال جدك قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك. ونزههما عن منع الطفلين عن أكل الطعام، وفي اسناده الأصبغ بن نباتة: متروك الحديث، والجواب أما قوله قد نزه الله ذنيك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك فهذا على عادة العرب في الرجز والجنب كقول القائل: (والله لولا الله ما اهتدينا) ونحو ذلك وقد تمثل به النبي (ص) وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة فنحن ما رويناه عن الأصبغ ولا له ذكر في اسناد حديثنا، وانما أخذوا على الأصبغ زيادة زادوها في الحديث وهي أن رسول الله (ص) قال في آخره اللهم انزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت عمران فاذا (جفنة) تفور مملوة ثريداً مكللة بالجواهر وذكر الفاظاً من هذا الجنس.

والعجب من قول جدي وانكاره وقد قال في كتاب (المنتخب) يا علماء الشرع أعلمتم لم آثرا وتركا الطفلين عليهما اثر الجوع آثراهما خفي عنهما سر ابداء بمن تعول ما ذاك إلا لأنهما علما قوة صبر الطفلين وانهما غصنان من شجرة أظل عند ربي وبعض جملة فاطمة بضعة مني وفرخ البط سابح.

فصـــل

وقد اشتملت سورة ﴿هل أتى﴾ من فضائل أهل البيت على معاني، منها قوله ﴿يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾ لم ذكر الكافور وهو لا يشرب؟ فالجواب من وجوه أحدها: انه أراد بياض الكافور في حسنه وطيب ريحه وبرده كقوله حتى اذا جعله ناراً أي كنار، والثاني: ان الكافور اسم لعين في الجنة، والثالث: انه لما غلبت عليهم حرارة الخوف في الدنيا مزج لهم الكافور في الجنة، ومنها ان الهاء في قوله ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ تعود على الله تعالى وقيل على حب الثواب؛ وقيل على حب الطعام لفاقتهم اليه ومنها قوله ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ المراد بالزمهرير القمر قال الشاعر:

وليلة ظـلامـهـا قـد اعـتـكـر ... قطعتها والـزمـهـريـر مـا ظـهـر

ومنها قوله: ﴿اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا﴾ فان قيل فالمنظوم احسن فالجواب ان المراد به الإنتشار في الخدمة لما تعبوا في الدنيا اقام الحق لهم خداماً في الآخرة، ومنها ان الله تعالى ذكر في هذه السورة جميع ما يتعلق بنعيم الجنة ولذاتها كالأشجار والأنهار والولدان والطعام والقصور وجميع ما يتعلق بهذا الباب إلا الحور حتى عجب العلماء من شرح هذه الأمور واستطرفوا عدم ذكرهن في هذا النعيم المذكور فقيل لهم ما ذاك إلا غيرة على زهراء الانس من ذكر الضراير أو لأن الحور مملوكات والمملوكات لا يذكرن مع الحراير.

وسمعت جدي ينشد في مجالس وعظه ببغداد في سنة ست وتسعين وخمسمائة بيتين ذكرهما في كتاب (تبصرة المبتدي) وهما:

أهـوى عـلـيـاً وإيمـاني محـبـتـه ... كم مشرك دمه من سيفه وكفا
إن كنت ويحك لم تسمع فضـائله ... فاسمع مناقبه من (هل أتى) وكفى

﴿ذكر ندبها لرسول الله (ص) وفصاحتها﴾

روى السدي عن أشياخه قال: لما توفي رسول الله (ص) قامت تندبه وتقول:

أبي وا أبتاه أجاب رباً دعاه
جنة الفردوس مأواه من ربه ما أدناه
الى جبرئيل نعاه

ولما قال (ص) عند الموت واكرباه قالت واكرب ابتاه وقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم.

ولما دفن قالت يا انس: كيف طابت قلوبكم ان تحثوا التراب على رسول الله.

وقال الشعبي: لما منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها أي عصبت يقال لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً ـ أي عصبها ـ وقيل اللوث الإسترخاء، فعلى هذا يكون معنى لاثت ـ أي أرخت ـ وحمدت الله تعالى واثنت عليه ووصفت رسول الله (ص) بأوصاف فكان مما قالت: كان كلما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشياطين وطىء صماخها باخمصه واخمد لهيبها بسيفه وكسر قرنها بعزمته حتى اذا اختار الله له دار أنبيائه ومقر أصفيائه واحبائه اطلعت الدنيا رأسها اليكم فوجدتكم لها مستجيبين ولغرورها ملاحظين هذا والعهد قريب والمدى غير بعيد والجرح لم يندمل فاني تؤفكون وكتاب الله بين اظهركم؛ يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي، ودونكها مرحولة مذمومة، فنعم الحاكم الحق؛ والموعد القيامة، ﴿ولكل بناء مستقر وسوف تعلمون﴾ ثم أومأت الى قبر رسول الله (ص) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكبر النوب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واغتيل أهلك لما اغتالك التراب
وقد رزينا بما لم يرزه أحد من البرية لاعجم ولا عرب

ثم انها اعتزلت القوم ولم تزل تندب رسول الله (ص) وتبكيه حتى لحقت به.

﴿ذكر مرضها ووفاتها﴾

قال علماء السير: لم تزل مريضة منذ توفي رسول الله (ص)؛ وروي انها لما احست بالموت كتبت وصية وأشهدت عليها الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود

وأوصت الى علي (ع) ثم الى أكبر ولده من بعده، وكان فيما أوصت به حوايط سبعة: الحسنى والصافية والدلال والعواف والبرمة والميثم ومال أم ابراهيم.

والاصح: انها لم تخلف شيئاً بل خرجت من الدنيا كما خرج رسول الله (ص).

واختلفوا في غسلها، فقال احمد في (الفضائل) حدثنا محمد بن يونس حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أم سلمة قالت اشتكت فاطمة فمرّضتها فاصبحت يوماً كأمثل ما كانت فخرج علي (ع) فقالت يا امتاه اسكبي لي غسلا ففعلت فقامت واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها إياها فلبستها ثم قالت قدمي الفراش الى وسط البيت فقدمته فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت نحرها وقالت اني مقبوضة وقد اغتسلت فلا يكشفني احد وقبضت فجاء علي (ع) فأخبرته فبكى وقال والله لا يكشفها احد ثم حملها بغسلها ذلك وصلى عليها ودفنها وقال لا تخبري الحسن والحسين قلت لا.

فان قيل الحديث ضعيف في اسناده ابن اسحاق، كذبه مالك وفيه أيضاً علي بن عاصم متروك، ثم الغسل إنما يكون لحدث الموت فكيف يصح قبله والجواب قد اخرجه احمد في (الفضائل) وأما ابن اسحاق فقد قال احمد يقبل قوله في (المغازي والسير) وأثنى عليه جماعة من العلماء وكان اماماً كبيراً وانما طعن مالك لأنه صنف الموطأ قال اروني إياه فانا بيطاره، فبلغ ذلك مالكاً فشق عليه وقال ذاك دجال من الدجاجلة، وقد اخذوا على مالك في هذا فانه لا يقال من الدجاجلة بل من الدجالين.

وأما قولهم الغسل لحدوث الموت؛ قلنا يحتمل ان تكون مخصوصة بذلك.

وقد ذكر هذا الحديث ابن سعد في (الطبقات) عن يزيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق.

وروي ان الملائكة غسلتها، وروي ان اسماء بنت عميس غسلتها والاصح ان علياً (ع) غسلها وكانت اسماء تصب عليه.

فان قيل فعند أبي حنيفة لا يجوز للرجل ان يغسل زوجته؟ فالجواب ان علياً (ع)

كان مخصوصا بذلك، ولما انكر عليه ابن مسعود وقال له أما سمعت رسول الله (ص) يقول: هي زوجتك في الدنيا والآخرة فلم ينقطع السبب بينهما وصلى عليها علي (ع) وقيل العباس، ودفنها ليلا بالبقيع ولما دفنها علي (ع) أنشد:

لكل اجتماع من خليلين فرقة — وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطماً بعد احمد — دليل على أن لا يدوم خليل

وقال أيضاً:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي — أرحني فقد افنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين احبهم — كأنك تنحو نحوهم بدليل

ثم جاء الى قبر رسول الله (ص) وقال: السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النازلة في جوارك السريعة اللحاق بك قل تصبري عنها وضعف تجلدي على فراقها، ألا ان في التأسي لي بعظيم فرقتك وقادح مصيبتك مقنع فانا لله وإنا اليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة، أما حزني عليكما فسرمد وأما ليلي فمسهد؛ الى ان يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وينقلني من دار التكدير والتأثيم وستخبرك ابنتك بما لقينا بعدك فأحفها بالسؤال واستعلم منها الأمور والاحوال، هذا ولم يطل العهد ولم يمتد الزمان فعليكما مني السلام سلام مودع لا قال ولا سئم. فان إنصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين واعد للمجرمين.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا محمد بن يونس حدثنا حماد بن عيسى الجهني حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص) يا أبا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك فلما توفي رسول الله (ص) قال عليّ هذا احد الركنين، فلما توفيت فاطمة قال وهذا الركن الآخر.

وقد ذكرنا انها دفنت بالبقيع؛ وقيل انها دفنت في زاوية دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة اذرع، قال عبد الله بن جعفر ما ادركت أحداً يشك ان قبرها في ذلك الموضع، واختلفوا كم كان بين وفاتها ووفاة رسول الله (ص) على اقوال أحدها: ستة أشهر إلا عشرة أيام لأنها توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشر ورسول الله (ص) توفي في ربيع الأول في الثاني عشر منه، في هذه السنة، والثاني في ثلاثة اشهر قاله عمر بن دينار والثالث شهران وعشرة ايام قاله أبو الزبير،

والرابع أربعون يوماً والاول اصح.

واختلفوا في مبلغ سنها على اقوال احدها: ثمان وعشرون سنة وستة اشهر والثاني: تسع وعشرون سنة والثالث: ثلاثون سنة.

قلت: ورأيت في كتاب مواليد أهل البيت (ع) وعليه خط محمد بن الخشاب، وقد رواه عن أبي منصور محمد بن عبد الملك بن حيزون عن الحسن بن عرفة عن الحسن ابن دوماعن احمد بن نصر بن عبد الله الذراع النهرواني عن حرب بن محمد المؤدب عن الحسن بن محمد العمي البصري عن محمد بن سنان عن محمد بن مسكان عن أبي نصر عن جعفر بن محمد الصادق قال: ولدت فاطمة بعد النبوة بخمس سنين أقامت مع أبيها ثمان سنين بمكة واقامت بالمدينة عشر سنين واقامت مع علي (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) سبعين يوماً؛ وفي رواية أربعين يوماً، وتوفيت وهي بنت ثمان عشرة سنة.

قلت: هذه الرواية ليست بشيء لاجماع المؤرخين انها ولدت قبل النبوة بخمس سنين واقامت بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر او ستة أشهر على ما ذكرناه ويحتمل ان الغلط من الناسخ أراد أن يكتب قبل النبوة فكتب بعد النبوة أو أراد ان يكتب ثمان وعشرين فكتب ثمان عشرة.

﴿ذكر أولادها (ع)﴾

كان لها من الولد: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم؛ ولدت حسناً أولا ثم حسيناً ثم زينب ثم أم كلثوم، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عوناً وعبد الله وماتت عنده، وأما أم كلثوم فخطبها عمر بن الخطاب في خلافته فامتنع علي (ع) من تزويجها منه، وقال هي صغيرة واني ارصدها لابن أخي جعفر فشق ذلك على عمر، فقال العباس زوجها منه فقد بلغني عنه كلام فزوجه إياها فقال عمر (رض) ما أردت إلا الجمع بين السبب والنسب عن رسول الله.

وذكر جدي في كتاب (المنتظم) ان علياً بعثها الى عمر لينظرها وان عمر كشف ساقها ولمسها بيده.

قلت: وهذا قبيح والله لو كانت أمة لما فعل بها هذا، ثم باجماع المسلمين لا يجوز

لمس الأجنبية فكيف ينسب عمر الى هذا، والذي روى لنا أن علياً لما قال لعمر انها صغيرة قال ابعث بها إليّ فبعثها وبعث معها بثوب وقال لها قولي له أبي يقول لك أيصلح لك هذا الثوب فلما جاءت الى عمر صوب النظر اليها وقال قولي له نعم فلما عادت الى علي قالت له يا أبة لقد ارسلتني الى شيخ سوء لقد صوب النظر في حتى كدت اضرب بالثوب انفه.

ثم ولدت أم كلثوم من عمر زيداً فلما قتل عمر تزوجها عون بن جعفر فلم تلد له وتوفي عنها فتزوجها بعده أخوه محمد بن جعفر ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وقد زاد ابن اسحاق في أولاد فاطمة من علي (ع) محسناً مات صغيراً وزاد الليث بن سعد رقية ماتت صغيرة أيضاً.



الباب الثاني عشر
في ذكر الأئمـة (ع)

قال احمد في (الفضائل): حدثنا أسود بن عامر حدثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة، قال لقيت زيد بن ارقم فقلت له هل سمعت رسول الله (ص) يقول تركت فيكم الثقلين واحد منهما أكبر من الآخر؟ قال نعم سمعته يقول: تركت فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي ألا انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ألا فانظروا كيف تخلفوني فيهما فان قيل فقد قال جدك في كتاب (الواهية) أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي عن محمد ابن المظفر عن محمد العتيقي عن يوسف بن الدخيل عن جعفر العقيلي عن احمد الحلواني عن عبد الله بن داهر حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد عن النبي (ص) بمعناه ثم قال جدك ضعيف وابن عبد القدوس رافضي وابن داهر ليس بشيء.

قلت: الحديث الذي رويناه أخرجه احمد في (الفضائل) وليس في اسناده احد ممن ضعفه جدي، وقد أخرجه أبو داود في سننه والترمذي أيضاً وعامة المحدثين.

وذكره ابن رزين في (الجمع) بين الصحاح والعجب كيف خفي عن جدي ما روى مسلم في (صحيحه) من حديث زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله (ص) خطيباً بماء يقال له (خم) أو يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد أيها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي قالها مرتين.

فقال حصين بن سبرة لزيد بن أرقم ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال نعم نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده.

وفي رواية: فقال زيد لا وأيم الله ان المرأة قد تكون مع الرجل العصر أو الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ولكن أهل بيته عصبته الذين يحرم عليهم الصدقة فقال حصين من هم؟ قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس والثقلان الخطران العظيمان.

وقال احمد في المسند حدثنا عبد الرزاق بالأسناد المتقدم الى علي (ع) بمعناه.

وقال احمد في (الفضائل) حدثنا محمد بن يونس حدثنا عبد الله بن عائشة أنبأنا اسماعيل بن عمر عن عمر بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين بن علي (ع) عن أبيه عن جده قال: شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس اياي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وامهما وذريتنا من خلفنا وشيعتنا من ورائنا.

وفي رواية: النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب (مرج البحرين) باسناده الى أبي ذر قال: قال رسول الله (ص) مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح (ع) من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

فصل في ذكر علي بن الحسين

﴿ابن علي بن أبي طالب (ع)﴾

وهو أبو الأئمة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسماه رسول الله (ص) سيد العابدين لما نذكره في سير ولد محمد (ع)، والسجاد، وذي الثفنات، والزكي والأمين، والثفنات (ما يقع على الارض من اعضاء البعير اذا استناخ وغلظ كالركبتين ونحوهما الواحدة ثفنة فكان طول السجود قد اثر في ثفناته) وأمه أم ولد اسمها غزالة، وقيل السلافة، وقيل أم سلمة، وقيل شاه زنان خلف عليها بعد الحسين زبيدة؛ وقيل زيد ذكرنا قصته مع عبد الملك بن مروان ومولد علي سنة ثمان وثلاثين من الهجرة؛ وقيل سنة سبع وثلاثين وقيل سنة ثلاث وثلاثين ذكره ابن عساكر، وعلي من الطبقة الثانية من التابعين وحضر يوم الطفوف مع أبيه؛ وانما لم يقتل لأنه كان مريضاً وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة.

وقال ابن عباس كان علي (ع) يخاف انقطاع النسل؛ فقال يوم صفين وقد رأى الحسن والحسين يتسارعان الى القتال، وقيل انما رأى الحسين لا غير فقال املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فاني انفس به عن الموت لئلا ينقطع نسل رسول الله (ص).

وذكر ابن سعد في (الطبقات) وقال: كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعا عابداً خايفاً. قال كان ابن عباس اذا رآه قال مرحباً بالحبيب بن الحبيب.

قال ابن سعد: كان يخضب بالحناء والكتم، وقيل بالسواد.

وذكر ابن حمدون في كتاب (التذكرة) عن الزهري قال: حمل عبد الملك بن مروان علي بن الحسين مقيداً من المدينة فأثقله حديداً ووكل به حفظة قال فاستاذنتهم في وداعه فاذنوا فدخلت عليه والقيود في رجليه والغل في يديه وهو في قبة فبكيت وقلت وددت اني مكانك وأنت سالم فقال يا زهري اتظن ان ما ترى علي وفي عنقي يكرثني اما لو شئت لما كان وانه ليذكرني عذاب الله ثم اخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال لاجزت معهم على ذا ميلين من المدينة قال فما مضت إلا أربع ليال، واذا قد قدم الموكلون الذين كانوا معه الى المدينة يطلبونه فما وجدوه فسألت بعضهم فقالوا إنا نراه متبوعاً انه لنازل ونحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده ووجدنا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عنه فاخبرته فقال قد جاءني يوم فقده الاعوان فدخل علي فقال ما أنا وأنت فقلت اقم عندي قال لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة.

وقال ابن أبي الدنيا بالأسناد المتقدم حدثني محمد بن الحسين عن عبد الله بن محمد عن عبد الرحمان بن حفص القرشي قال: علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقال ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال اتدرون بين يدي من أريد أن أقف.

وذكر ابن سعد في (الطبقات) قال: كان علي اذا مشى لا يخطر بيديه واذا قام الى الصلاة اخذته رعدة فيقال له مالك؟ فيقول ما تدرون لمن أريد أن أناجي.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن أبي معشر حدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: وقع حريق في دار علي بن الحسين وهو ساجد فقالوا النار النار يا بن رسول الله فما رفع

رأسه حتى طفيت فقيل له ما الذي الهاك عنها فقال النار الأخرى.

وبه قال القرشي جاء رجل الى علي بن الحسين فقال له ان فلاناً يقع فيك فقال قم بنا اليه فقام معه وهو يظن انه ينتصر لنفسه فلما وصل اليه قال له يا فلان إن كان ما قلت فيّ حقاً فيغفر الله لي وإن كان باطلا فغفر الله لك.

وبه قال القرشي حدثنا احمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبي يعقوب المدني قال كان بين علي بن الحسين وبين حسن بن حسن بعض الأمر فجاء حسن بن حسن الى علي بن الحسين وهو جالس في المسجد مع أصحابه فما ترك شيئاً إلا قاله له وعلي ساكت وانصرف حسن فجاء علي في الليل الى بابه يعتذر اليه فخرج اليه حسن فالتزمه وجعلا يبكيان حتى رحمهما من كان حاضراً ثم قال حسن والله لا عدت في امر تكرهه ابداً فقال علي وأنت في حل مما قلت لي.

ذكر أبو نعيم في (الحلية) فقال أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر الانباري حدثنا احمد بن الصلت حدثنا قاسم بن ابراهيم العلوي عن أبيه عن جعفر ابن محمد عن أبيه علي بن الحسين انه كان يقول فقد الاحبة غربة.

قال محمد وسمعته يقول اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لوامع العيون علانيتي ويقبح سريرتي اللهم كما أسأت وأحسنت الي فاذا عدت فعد علي.

قال: وقال ان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار.

قال محمد وكان يسقي الماء لطهوره ولا يمكن احداً أن يعينه على طهوره فاذا أقام بالليل بدأ بالسواك ثم توضأ ويقضي ما فاته من ورده بالنهار في الليل وكان ورده في الليل والنهار الف ركعة[1].

وأخبرنا عمر بن معمر الكاتب أنبأنا عبد الرحمان بن محمد حدثنا محمد بن علي

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٥/١ وتاريخ الإسلام ٣٧/٤ وتهذيب التهذيب ٣٠٦/٧ ومرآة الجنان لليافعي ص ١٩١ وينابيع المودة للقندوزي ص ٣٧٧ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١١٩ والإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٤٩ وإسعاف الراغبين هامش نور الأبصار ص ٢٣٩ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٣٢٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٨.

الخياط حدثنا احمد بن محمد بن يوسف العلاف حدثنا عمر بن الحصين القاضي حدثنا محمد بن علي بن حمزة عن أبيه عن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان يقول عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة وهو غداً جيفة وعجبت لمن شك في الله وهو يرى عجايب مخلوقاته؛ وعجبت لمن يشك في النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

قال وكان اذا أتاه سائل يقول مرحباً بمن يحمل زادي الى الآخرة.

وقال أبو نعيم في (الحلية) حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبو معمر حدثنا جرير عن شيبة بن نعامة قال: كان علي بن الحسين ينحل فلما مات وجدوه يعول مائة من أهل بيت بالمدينة، وفي رواية لا يدرون من يأتيهم بالرزق لأنه كان يبعث به اليهم في الليل فلما مات علي فقدوه وفي رواية كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول صدقة السرتطفىء غضب الرب، وفي رواية كان أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين عن الحميدي عن سفيان الثوري قال أراد علي بن الحسين الخروج الى الحج أو العمرة فاتخذت له أخته سكينة بنت الحسين سفرة انفقت عليها الف درهم وأرسلت بها اليه فلما كان بظهر الحرة أمر بها ففرقت في الفقراء والمساكين.

وقال ابن سعد في (الطبقات) بعث المختار بن أبي عبيدة الى علي بن الحسين بمائة الف درهم فكره أن يقبلها وخاف أن يردها فتركها في بيت فلما قتل المختار كتب علي الى عبد الملك يخبره بها فكتب اليه خذها طيبة هنيئة وكان علي يلعن المختار ويقول كذب على الله وعلينا لأن المختار كان يزعم أنه يوحى اليه.

وقال ابن سعد أنبأنا عبد العزيز بن الخطاب أنبأنا موسى بن أبي حبيب الطايفي عن علي بن الحسين أنه قال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره الا أن يتقي تقاة، فقيل له وما يتقي تقاة قال يخاف جباراً عنيداً ان يفرط عليه أو ان يطغى.

وقال ابن سعد: كان علي يقول أيها الناس احبونا حب الإسلام فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً. وفي رواية حتى بغضتمونا الى الناس.

وقال ابن سعد دخل علي الكنيف فرأى ذباباً صغاراً يقع على الثياب وأراد أن يتخذ ثوباً للخلاء على حدة ثم قال كيف اصنع شيئاً لم يصنعه رسول الله (ص) والناس بعده فتركه قال وقاسم الله ماله مرتين وقال أيضاً قال رجل كيف أصبحت فقال أصبحنا في قومنا بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويلعنون سيدنا وشيخنا على المنابر ويمنعونا حقنا.

وقال ابن سعد أيضا كان هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة وكان يؤذي علي بن الحسين ويشتم علياً على المنبر وينال منه فلما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة عزله وأمر به أن يوقف للناس.

قال هشام والله ما اخاف الا من علي بن الحسين انه رجل صالح يسمع قوله فأوصى علي بن الحسين أصحابه ومواليه وخاصته ان لا يتعرضوا لهشام ثم مر علي في حاجته فما عرض له فناداه هشام وهو واقف للناس الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقال احمد في المسند: حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن هند عن اسماعيل بن أبي الحكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة انه قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله (ص) من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل أرب منها أربا منه من النار حتى انه يعتق اليد باليد والرجل بالرجل والفرج بالفرج.

فقال علي بن الحسين لسعيد بن مرجانة أنت سمعت هذا من أبي هريرة قال نعم فقال علي ادع لي مطرفاً لغلام له لم يكن له مثله فقال أنت حر لوجه الله أخرجاه في الصحيحين.

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى علياً في هذا الغلام عشرة آلاف درهم أو الف دينار ولفظ الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله وذكره.

قال ابن مرجانة فانطلقت به الى علي بن الحسين يعني بالحديث فعمد الى عبد له قد أعطاه عبد الله بن جعفر فيه وذكره.

قلت ولهذا الحديث استحب العلماء ان يعتق الذكر والانثى الانثى.

وذكر أبو نعيم في (الحلية) وقال كان علي يذهب الى زيد بن اسلم فيجلس اليه

فقيل له أنت سيد الناس وافضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه، فقال العلم يتبع حيث كان.

وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان عن محمد بن اسحاق الثقفي عن محمد بن زكريا أنبأنا ابن عائشة عن أبيه قال حج هشام بن عبد الملك قبل ان يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه من الزحام فجاء علي بن الحسين فوقف الناس له وتنحوا عن الحجر حتى استلمه ولم يبق عند الحجر سواه، فقال هشام من هذا؟ فقالوا: لا نعرفه! فقال الفرزدق الشاعر: لكني أعرفه ثم اندفع فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهل التقى كانوا ذوي عدد ... أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف ما انكرت والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا وهو يبتسم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
الله شرفه قدماً وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والكظم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... رحب الفضاء أريب حين يعتزم
عم البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها العماية والإملاق والظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم ملجئ ومعتصم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والرأي محتدم[1]
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترق به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بر ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خيم كريم وأيد بالندى هضم
من يعرف الله يعرف أولية ذا الدين من بيت هذا ناله الامم

هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبعث اليه علي بالف دينار فردها وقال انما قلت ما قلت غضباً لله ورسوله فما آخذ عليه اجراً فقال علي نحن أهل بيت لا يعود الينا ما خرج منا فقبلها الفرزدق وهجى هشاماً فقال:

ايحبسني بين المدينة والتي اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

قلت لم يذكر أبو نعيم في (الحلية) إلا بعض هذه الابيات الميمية والباقي أخذته من ديوان الفرزدق.

وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن عبد الله الكاتب حدثنا الحسن بن علي بن نصر الطوسي حدثنا محمد بن عبد الكريم حدثنا الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب ما رأيت احداً أورع من فلان قال فهل رأيت علي ابن الحسين؟ قال لا قال ما رأيت احداً أورع منه.

وحكى أبو نعيم أيضاً عن الزهري قال: ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين، وكذا قال أبو حازم وقال: ما رأيت أفقه منه.

وحكى الزهري، عن عائشة (رض) قالت: رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحجر وهو يقول: عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فما دعوت بها في كرب إلا وفرج عني.

وقال الزهري: كانت الريح اذا هبت سقط علي مغشيا عليه من الخوف.

---

(١) المحتدم: بالحاء المهملة الملتهب.

وقال أيضاً خرج يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبه فلحقته العبيد والموالي فهموا بالرجل فقال دعوه ثم قال له ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه واعطاه الف درهم فكان الرجل بعد ذلك اذا رآه يقول أشهد انك من أولاد الرسول.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو الحسين الشيباني حدثنا رجل من ولد عمار بن ياسر قال كان عند علي بن الحسين قوم فاستعجل خادماً له فأخرج شواء من التنور واقبل الخادم عجلا وبيده السفود وبين يدي علي ولد صغير له فسقط السفود على الصغير فنش ومات فبهت الخادم فنظر اليه علي وقال أنت لم تتعمد هذا؛ أنت حر لوجه الله تعالى ثم أمر بمواراة الولد.

وقال أبو نعيم حدثنا ابن كيسان حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا عبد الله بن هارون عن أبيه عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمر بن دينار قال دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه يعوده فجعل محمد يبكي ويقلق فقال له علي ما شأنك فقال علي دين قال كم هو؟ قال خمسة عشر الف دينار فقال هو علي.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري عن أبي حمزة الثمالي قال حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: قال لي أبي يا بني لا تصحبن خمسة ولا ترافقهم في طريق لا تصحبن فاسقاً فانه يبيعك باكلة فما دونها، ولا بخيلا فانه يقطع بك عن ماله احوج ما كنت اليه ولا كذاباً فإنّه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد؛ ولا احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فاني وجدته ملعوناً في مواضع من كتاب الله، وبه قال الثمالي حدثني ابراهيم بن محمد قال سمعت علي ابن الحسين يقول ليلة في مناجاته (الهنا وسيدنا ومولانا لو بكينا حتى تسقط اشفارنا وانتحبنا حتى تنقطع أصواتنا وقمنا حتى تيبس أقدامنا وركعنا حتى تنخلع أوصالنا وسجدنا حتى تتفقأ أحداقنا واكلنا تراب الأرض طول أعمارنا وذكرناك حتى تكل السنتنا ما استوخينا بذلك محو سيئة من سيآتنا.

﴿ذكر وفاته﴾

اختلفوا في وفاته على أقوال أحدها: انه توفي سنة أربع وتسعين، والثاني سنة اثنين

وتسعين، والثالث سنة خمس وتسعين والأول أصح، لأنها تسمى سنة الفقهاء لكثرة من مات بها من العلماء، وكان سيد الفقهاء مات في أولها وتتابع الناس بعده.

اسند عنه سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، وعامة فقهاء المدينة اسند علي الحديث عن أبيه وعمه الحسن وابن عباس وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وصفية وعائشة في اخرين، وعاش سبعاً وخمسين سنة، وقيل ثمان وخمسين وهو الاصح ودفن (بالبقيع).

﴿ذكر أولاده﴾

قال ابن سعد في (الطبقات) ولد له أولاد: الحسن درج؛ والحسين الاكبر درج؛ ومحمد الباقر وهو أبو جعفر الفقيه والنسل له وسنذكره، وعبد الله أمهم أم عبد الله بنت الحسن بن علي (ع)؛ وعمر، وزيد المقتول بالكوفة وسنذكره وعلي، وخديجة أمهم أم ولد؛ وحسين الاصغر وأم علي وتسمى علية وأمهم أم ولد، وكلثم وسليمان، ومليكة لأم ولد أيضاً، والقاسم، وأم الحسين وام البنين وفاطمة لامهات أولاد شتى، وقيل وعبيد الله.

﴿ذكر مقتل زيد﴾

واختلفوا في سبب خروجه، فذكر السدي عن أشياخه قال: قدم زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس على خالد ابن عبد الله بن القسري وهو وال على العراق فاكرمهم واجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولي يوسف بن عمر العراق وعزل خالد القسري كتب هشام بن عبد الملك يخبره بقدومهم على خالد وانه احسن جوايزهم وابتاع من زيد بن علي أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم رد الارض اليه فكتب هشام الى واليه بالمدينة ان يسرحهم اليه ففعل فلما دخلوا عليه سألهم عن القصة فقالوا أما الجوائز فنعم وأما الأرض فلا فاحلفهم فحلفوا له فصدقهم وردهم مكرمين.

وذكر هشام بن محمد بن يوسف بن عمر لما عذب خالداً أقر بذلك ثم انكر فقيل له لم فعلت هذا؟ قال رجوت الفرج فيما بين ذلك.

وقال وهب بن منبه وبعض أرباب السير جرت بين زيد بن علي وبين عبد الله بن

حسن بن حسن خشونة تسابا فيها وذكر أمهات الاولاد فقدم زيد على هشام بهذا السبب فقال له هشام بلغني انك تذكر الخلافة ولست هناك قال ولم قال لأنك ابن أمة فقال قد كان اسماعيل (ع) ابن أمة فضربه هشام ثمانين سوطاً وذكر ابن سعد عن الواقدي: ان زيد بن علي قدم على هشام فرفع اليه ديناً كثيراً وحوايج فلم يقض منها شيئاً واسمعه هشام كلاماً غليظاً قال فخرج من عند هشام فاخذ بيده شاربه وفتله وقال ما أحب احد الحياة إلا ذل ثم مضى الى الكوفة وبها يوسف بن عمر عامل لهشام.

قال الواقدي: وكان دينه خمسمائة الف درهم، فلما قتل قال هشام: ليتنا قضيناها، وكان أهون مما صار اليه.

قال الواقدي: وبلغ هشام بن عبد الملك مقام زيد بالكوفة فكتب الى يوسف بن عمر اشخص زيداً الى المدينة فاني أخاف ان يخرجه أهل الكوفة لأنه حلو الكلام مع ما يدل به من قرابة رسول الله فبعث يوسف بن عمر الى زيد يأمره بالخروج الى المدينة وهو يتعلل عليه والشيعة تتردد اليه فاقام زيد بالكوفة خمسة أشهر ويوسف بن عمر مقيم بالحيرة فبعث اليه يقول لا بد من إشخاصك فخرج يريد المدينة وتبعه الشيعة يقولون أين تذهب ومعك منا مائة الف يضربون دونك ولم يزالوا به حتى رجع الى الكوفة فبايعه جماعة منهم؛ سلمة بن كهيل ومنصور بن خزيمة في آخرين فقال له داود ابن علي بن عبد الله بن عباس يا بن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك أتم العبر وفي خذلانهم اياهم كفاية ولم يزل به حتى شخص الى القادسية فتبعه جماعة يقولون له ارجع فانت المهدي وداود يقول لا تفعل فهؤلاء قتلوا أباك واخوتك وفعلوا ما فعلوا فبايعه منهم خمسة عشر الفاً على كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين ونصر المظلومين واعطاء المحرومين ونصرة أهل البيت على عدوهم فأقام مختفياً على هذا سبعة عشر شهراً والناس يتتابونه من القرى والامصار ثم اذن للناس بالخروج فتقاعد عنه جماعة ممن بايعه، وقالوا ان الإمام جعفر بن محمد بن علي فواعد من وافقه على الخروج في أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة فخرج فوافى اليه مائتا رجل وعشرين رجلا فقال سبحان الله أين القوم؟ فقالوا في المسجد محصورون.

وجاء عمر بن يوسف في جموع أهل الشام فاقتتلوا فهزم زيد ومن معه فجاءه سهم في جبهته فوقع فادخلوه بيتاً ونزعوا السهم من وجهه فمات وجاؤوا به الى نهر

فاسكروا الماء وحفروا له ودفنوه واجروا الماء عليه وتفرق الناس وتوارى ولده يحيى بن زيد فلما سكن الطلب خرج في نفر من الزيدية الى خراسان وجاؤوا بأحد ممن حضر دفن زيد الى يوسف بن عمر فدله على قبره فنبشه وقطع رأسه وبعث به الى هشام فنصبه على باب دمشق ثم اعاده الى المدينة فنصبه بها وصلب يوسف بن عمر بدنه بالكوفة حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد فامر به فاحرق، وقيل ان هشاماً احرقه، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية نبش عبد الصمد بن علي، وقيل عبد الله ابن علي قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحاً فضربه ثمانين سوطاً وحرقه بالنار كما حرق زيد، وقيل ان يوسف بن عمر هو الذي احرق زيداً ونسفه في الفرات والاول أصح، وكان سنه يوم قتل اثنتان وأربعون سنة.

وقال ابن سعد: زيد في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، وسمع الحديث من أبيه وجماعة، وأمه أم ولد.

وقال الواقدي: لقد شق على هشام قتل زيد وما كان احد من الخلفاء أكره اليه الدماء من هشام بن عبد الملك.

وقد ذكرنا: ان مقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة؛ والواقدي يقول: سنة احدى وعشرين ومائة يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر، وقيل خرج سنة احدى وعشرين، وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة.

﴿ذكر خروج ولده يحيى بن زيد﴾

قال هشام بن محمد: لما قتل زيد بن علي هرب ولده يحيى بن زيد الى هشام بدمشق فاقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار وكان والياً على خراسان بحديث يحيى بن زيد وانه عند الجريش عمرو بن داود بن صالح فابعث اليه فخذه منه فبعث نصر بن سيار فاخذه من الجريش بعد ان انكر الجريش قصته فجلد نصر الجريش ستمائة سوط ثم ان نصر بن سيار كتب الى الوليد بخبره فكتب اليه ان يطلقه وأصحابه ويؤمنه فدعاه نصر فاخبره الخبر وحذره الفتنة واطلقه فخرج الى سرخس ثم الجوزجان واجتمع اليه جماعة مقدار سبعين رجلا وقيل سبعمائة فخرج فبعث اليه نصر بن سيار عمر بن زرارة في عشرة آلاف فالتقوا فهزمهم يحيى بن زيد وقتل عمر

ابن زرارة ثم خرج سورة بن محمد الكندي في جمع الى يحيى فالتقوا فرماه مولى لعيسى ابن سليمان الغزي بسهم في وجهه فوقع فجزوا رأسه وصلبوا جسده وكتبوا الى الوليد بخبره فكتب اليهم احرقوا عجل العراق وانسفوه في اليم نسفاً فانزلوا جسده واحرقوه ثم ذروه في الماء والريح.

وقيل: ان نصر بن سيار بعث الى يحيى بن سالم بن احرز المازني فحاربه فقتل يحيى في المعركة.

وقال الواقدي: أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب (ع)؛ وكان لزيد بن علي، عيسى. وحسين واسم حسين المكفوف، وكان لزيد أيضاً محمد وامهم أم ولد، قتل يحيى بن زيد في سنة خمس وعشرين ومائة.

فصل في ذكر محمد الباقر (ع)

هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن حسن بن علي (ع)، وانما سمي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته؛ أي فتحها ووسعها، وقيل لغزارة علمه.

قال الجوهري في (الصحاح) التبقر التوسع في العلم. قال وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الباقر لتبقره في العلم ويسمى الشاكر والهادي.

وقال ابن سعد: محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عالماً عابداً ثقة.

روى عنه الأئمة: أبو حنيفة، وغيره.

قال أبو يوسف؛ قلت لأبي حنيفة لقيت محمد بن علي الباقر فقال نعم وسألته يوماً فقلت له أراد الله المعاصي؟ فقال أفيعصى قهراً، قال أبو حنيفة فما رأيت جواباً أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ويعني بالحكم الحكم بن عيينة وكان عالماً نبيلا جليلا في زمانه.

وذكر المدايني: عن جابر بن عبد الله انه أتى أبا جعفر محمد بن علي الى الكتاب وهو صغير فقال له رسول الله يسلم عليك فقيل لجابر وكيف هذا؟ فقال كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد مولود إسمه علي اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد فان أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام[1].

وروى: ان أبا جعفر دخل على جابر بعد ما أضر فسلم عليه فقال من أنت؟ فقال محمد بن علي بن الحسين فقال ادن مني فدنى منه فقبل يديه ورجليه، ثم قال له رسول الله يسلم عليك وذكره.

توفي جابر بن عبد الله سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وهو آخر من مات من أهل العقبة فقد كان محمد الباقر في زمانه كبيراً لما نذكر في وفاته.

﴿ذكر نبذة من كلامه﴾

قال أبو نعيم في (الحلية) حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا محمد بن علي بن سليمان حدثنا محمد بن عباد حدثنا عبد السلام بن حرب عن زياد بن خيثمة عن محمد بن علي انه قال: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر.

وقال أبو نعيم حدثنا عثمان بن العثماني حدثنا أبو علي الروزباري قال سمعت أبا العباس الشرقي يقول سمعت بشر بن الحرث الحافي يقول سمعت ابن داود يقول سمعت سفيان الثوري يقول سمعت منصور يقول سمعت محمد بن علي يقول الغنا والعز يجولان في قلب المؤمن فاذا وصلا الى مكان فيه التوكل أوطناه.

وقال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا أبو الربيع الرشديني حدثنا عبد الله بن وهب عن ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة عن محمد بن علي انه قال ما دخل قلب امرء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل قل أو كثر.

وقال أبو نعيم: حدثني أبي حدثنا الحسن بن احمد بن محمد بن أبان حدثنا عبد الله

---

(١) أخرجه في مطالب السؤول عن طريق أبي الزبير ص ٨١ وكذا ابن الأثير في المختار من مناقب الأخيار ص ٣٠ مصورة عن مخطوطة الظاهرية وراجع لسان الميزان ١٩٨/٥ وكفاية الطالب ص ٢٩٩ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩٩ ومشارق الأنوار ص ٢١ والفصول المهمة ١٩٧ وينابيع المودة ص ٣٣٣ والكواكب الدرية للمناوي ١٦٤/١ ونور الأبصار للشبلنجي ص ١٩٢.

ابن محمدحدثنا سلمة بن شبيب عن عبد الله بن عمر عن أبي الربيع عن شريك عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي يا جابر اني لمحزون واني لمشتغل القلب قلت وما سبب ذلك فقال يا جابر انه من دخل قلبه صافي دين الله شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى ان يكون هل هو إلا ثوب لبسته أو لقمة أكلتها أو مركب ركبته أو امرأة اصبتها، يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ولم يعمهم من نور الله ما رؤوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الابرار ان أهل التقوى ايسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم لك معونة ان نسيت ذكروك وان ذكرت اعانوك قوالين بحق الله قوامين بأمر الله فأنزل الدنيا منزلة منزل نزلت به وارتحلت عنه أو كمال اصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء واحفظ الله تعالى فيما استرعاك من دينه وحكمته.

وقال أبو نعيم حدثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي حدثنا محمد بن زكريا حدثنا قيس بن حفص حدثنا حسن بن حسن قال كان محمد بن علي يقول سلاح اللئام قبح الكلام.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن أبي بكر بن عباس عن سعد الأسكاف عن محمد بن علي انه قال والله لموت عالم أحب الى ابليس من موت سبعين عابداً.

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب الحافظ أخبرنا عبد المبارك بن عبد الجبار أنبأنا علي بن احمد الملطي عن احمد بن محمد بن يوسف عن ابن صفوان عن أبي بكر القرشي حدثني ابراهيم بن راشد حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا مروان بن معاوية عن خالد بن أبي الهيثم عن محمد بن علي انه قال: ما اغرورقت عين بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت عن الخدين لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة يوم القيامة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ولو ان باكياً بكى في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار.

وقد روي هذا المعنى مرفوعاً الى رسول الله (ص) وقال أبو نعيم حدثنا احمد بن محمد بن القاسم حدثنا محمد بن دريد حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قال محمد

ابن علي لابنه يا بني اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح لكل شر انك ان كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق.

قال في (الحلية) وسئل محمد عن حلية السيف فقال يجوز قد حلت الصحابة سيوفهم.

وقال القرشي بالأسناد المذكور آنفاً حدثني محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن اسحاق عن العلا بن ميمون عن افلح مولى محمد بن علي قال خرجت مع مولاي حاجاً فلما دخل المسجد نظر الى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت بأبي وأمي ان الناس ينظرون اليك فلو رفعت بصوتك قليلا فبكى وقال ويحك لم لا أبكي لعل الله ان ينظر اليّ برحمة منه فافوز بها عنده، ثم طاف بالبيت وركع عند المقام ورفع رأسه من سجوده فاذا موضعه مبتل من دموعه قال وكان اذا ضحك يقول اللهم لا تمقتني.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبي احمد بن محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثنا احمد بن يحيى قال: قال محمد بن علي كان لي أخ في عيني عظيم والذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

وقال القرشي: فقد محمد بن علي بغلة له فقال اللهم لئن رددتها علي لأحمدنك بمحامد ترضاها.

قال ولده جعفر فوجدها. فقال الحمد لله لم يزد عليها فقلت له في ذلك فقال وهل أبقيت شيئاً جعلت الحمد كله لله تعالى.

وذكر أبو نعيم عن أبي حمزة قال: قال محمد بن علي ما من عبادة عند الله تعالى أفضل من عفة بطن أو فرج وما من شيء أحب الى الله تعالى من أن يسأل وما يدفع القضاء إلا الدعاء وان اسرع الخير ثواباً البر والعدل واسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه ان يأمرهم بما لا يستطيع التحول عنه وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

وقال أبو حمزة: قال لنا عبد الله بن الوليد قال لنا محمد بن علي يدخل أحدكم يده كم صاحبه فيأخذ منه ما يريد قلنا لا فقال اذهبوا فلستم اخواناً كما تزعمون.

قال: وكان يحضر اخوانه فيطعمهم اطيب الطعام ويكسوهم احسن الكسوة

ويهب لهم الدراهم الكثيرة ويجيز بالخمسمائة الى الألف ولا يمل من مجالسة الإخوان وكان يقول بئس الاخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيراً.

وقال القرشي حدثنا محمد بن الحسين عن سعيد بن سليمان عن اسحاق بن كثير عن عبيد الله بن الوليد قال: قال محمد بن علي، من عبد المعنى دون الأسم فانه يخبر عن غايب، ومن عبد الأسم دون المعنى فانه يعبد المسمى. ومن عبد الأسم والمعنى فانه يعبد إلهين، ومن عبد المعنى بتقريب الأسم الى حقيقة المعرفة فهو موحد.

﴿ذكر وفاته﴾

اختلفوا فيها على ثلاثة اقوال: احدها: انه توفي سنة سبع عشرة ومائة ذكره الواقدي والثاني: سنة اربع عشرة ومائة قاله الفضل بن دكين، والثالث: سنة ثمان عشرة ومائة، واختلفوا في سنه أيضاً على ثلاثة أقوال، أحدها: ثمان وخمسون، والثاني: سبع وخمسون؛ والثالث: ثلاث وسبعون والأول أشهر، لما روينا في سن أمير المؤمنين علي (ع) فان محمداً هذا روى ان علياً قتل وهو ابن ثمان وخمسين قال: ومات لها الحسن وقتل لها الحسين ومات لها علي بن الحسين.

قال جعفر بن محمد هذا وسمعت أبي يقول لعمته فاطمة بنت الحسين أم عبد الله ابن حسن قد أتت علي ثمان وخمسين فتوفي لها وأوصى ان يكفن في قميصه الذي كان يتعبد فيه ودفن بالبقيع عند أبيه.

اسند محمد الحديث عن جماعة من الصحابة جابر بن عبد الله وابي سعيد وابن عباس وأنس وأبي هريرة والحسن والحسين، وروى عن خلق من التابعين منهم سعيد ابن المسيب والأئمة.

من العجائب ثلاثة انفس كانوا في زمن واحد وهم علماء اشراف بنوا أعمام كل واحد منهم اسمه علي وله ابن اسمه محمد فعلي بن الحسين زين العابدين ولده محمد هذا المذكور وعلي بن عبد الله بن عباس ولده محمد أبو الخلفاء؛ وعلي بن عبد الله بن جعفر ولده محمد.

﴿ذكر أولاد محمد الباقر﴾

كان له جعفر وعبد الله امهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق،

وابراهيم وأمه أم حكيم بنت أسد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق وعلي، وزينب وامهما أم ولد وأم سلمة لأم ولد أيضاً والنسل لجعفر.

فصل في ذكر ولده جعفر

وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وكنيته: أبو عبد الله، وقيل أبو اسماعيل، ويلقب: بالصادق؛ والصابر؛ والفاضل؛ والطاهر. واشهر القابه الصادق، وقد ذكرنا أن أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

قال علماء السير: كان قد اشتغل بالعبادة عن طلب الرياسة.

وذكر أبو نعيم في (الحلية) فقال حدثنا علي بن محمد بن محمود حدثنا احمد بن محمد ابن سعيد حدثني جعفر بن محمد بن هشام حدثنا محمد بن حفص بن راشد عن أبيه عن عمرو بن المقدام قال: كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين.

وذكر أبو نعيم أيضاً عن سفيان الثوري قال: قال جعفر بن محمد يا سفيان اذا انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقاءها ودوامها فاكثر من الحمد لله والشكر لله عليها فان الله تعالى يقول ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ واذا استبطأت الرزق فاكثر من الإستغفار فان الله يقول ﴿استغفروا ربكم﴾ الآية ﴿ويجعل لكم جنات في الآخرة ويجعل لكم انهاراً﴾ يا سفيان اذا احزنك أمر من سلطان أو غيره فاكثر من قول ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم﴾ فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وقد روى هذا المعنى مرفوعاً أنبأنا أبو اليمن اللغوي أنبأنا الفرار أنبأنا الخطيب أنبأنا أبو بكر الرماني أنبأنا احمد بن ابراهيم الأسماعيلي عن محمد بن أبي القاسم السمناني عن الخليل بن محمد الثقفي عن عيسى بن جعفر القاضي عن أبي حازم المدني قال: كنت عند جعفر بن محمد فجاء سفيان الثوري فقال له جعفر أنت رجل يطلبك السلطان وأنا اتقي السلطان فقال سفيان حدثني حتى اقوم فقال حدثني أبي عن جدي عن أبيه علي (ع) قال: قال رسول الله (ع) من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن حزنه أمر فليقل ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم﴾.

وفي (الحلية) باسناده الى الهياج بن بسطام قال: كان جعفر يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.

قال: وسئل عن العلة في تحريم الربا فقال لئلا يتمانع الناس المعروف.

وقال في (الحلية) أيضاً أوصى جعفر بعض ولده فقال يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها عشت سعيداً ومت شهيداً أو حميداً يا بني انه من قنع بما قسم له استغنى ومن مد عينيه الى مال غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ومن كشف حجاب عورة غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ومن احتفر لأخيه المؤمن قليباً أوقعه الله فيه قريباً ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم؛ يا بني قل الحق وان كان مراً لك وعليك، واياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال واذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

وذكر أبو نعيم في (الحلية) أيضاً قال: وقع الذباب على وجه أبي جعفر المنصور وكان جعفر حاضراً عنده فلم يزل يقع عليه حتى ضجر فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب فقال جعفر ليذل به الجبابرة فوجم لها أبو جعفر.

وقال سفيان الثوري بالأسناد المتقدم قال جعفر من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

قال وكان يتردد اليه رجل من السواد فانقطع عنه فسأل عنه فقال بعض القوم انه نبطي يريد أن يضع منه فقال جعفر أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون.

وبه قال الثوري، سمعت جعفر يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فان تكن في شيء فيوشك ان تكون في الخمول فان لم يوجد الخمول ففي التخلي وليس كالخمول وان لم يوجد في التخلي ففي الصمت، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها.

وأخبرنا غير واحد عن عبد الوهاب بن المبارك أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار أنبأنا

علي بن عمر القزويني أنبأنا احمد بن ابراهيم بن ماذان أنبأنا القاسم بن داود الكاتب أنبأنا أبو بكر القرشي حدثنا عيسى بن أبي حرب والمغيرة بن محمد قالا حدثنا عبد الاعلى بن حماد بن الحسين بن فضل بن الربيع قال حدثني عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج أبو جعفر أربع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال لي ابعث الى جعفر بن محمد من يأتيني به متعتناً قتلني الله إن لم اقتله، قال فتغافل عنه الربيع لينساه فأعاد عليه القول ثانياً فتغافل عنه فاعاد عليه ثالثاً واغلظ له في الكلام فارسل الى جعفر فجاء قال الربيع فقلت له يا أبا عبد الله اذكر الله فقد ارسل اليك لأمر عظيم وما اظنك بناج فقال جعفر (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ثم دخل على أبي جعفر فسلم فلم يرد السلام وقال أي عدو الله اتخذك أهل العراق اماماً يجيئون اليك بزكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوايل قتلني الله إن لم اقتلك؟ فقال يا أمير المؤمنين: ان سليمان (ع) اعطى فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ فاطرق أبو جعفر مليا ثم رفع رأسه وقال: اليّ اليّ وعندي يا أباعبدالله البري الساحة السليم الناحية القليل الغايلة جزاك الله من ذي رحم خيراً أو افضل ما جازى به ذوي الأرحام عن ارحامها ثم تناول يده فاجلسه معه على السدة وغلفه بالغالية حتى ظلت لحيته تقطر ثم اجلسه معه على فراشه وادناه اليه ثم قال في حفظ الله وكلائته يا ربيع الحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وكنفه فانصرف، قال الربيع فلحقته وقلت له رأيت عجباً قبل مجيئك وبعده اعجب منه فاخبرني بما قلت حين دخلت اليه فقال دعوت الله بدعوات علمني إياها أبي عن جدي عن أبيه؛ قلت وما هي؟ قال: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام أو يضام واغفر لي بقدرتك علي ولا اهلك وأنت رجائي اللهم انك اكبر واجل ممن أخاف واحذر اللهم بك ادفع في نحره واستعيذ بك من شره.

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي الصوفي أنبأنا سعد الله ومحمد بن عبد الباقي قالا أنبأنا احمد بن علي الطرنيثي أنبأنا هبة الله بن حسن الطبري أنبأنا علي بن محمد بن عيسى بن موسى أنبأنا علي بن محمد بن احمد المصري حدثنا محمد بن عمرو بن خالد أنبأنا عياض بن أبي طيبة حدثنا ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس فاذا

رجل جالس يدعو فيقول يا رب يا رب حتى انقطع نفسه ثم قال رب رب رب حتى انقطع نفسه ثم قال: يا حي يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال: يا رحيم حتى انقطع نفسه ثم قال: يا ارحم الراحمين حتى انقطع نفسه ثم قال: الهي اني اشتهي العنب فاطعمنيه اللهم ان بردي قد اخلق فالبسني.

قال الليث؛ فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوة عنباً وليس على الارض يومئذ عنب واذا ببردين موضوعين لم ار مثلهما في الدنيا فاراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم قلت لانك دعوت وكنت أومن فقال تقدم فكل فتقدمت فاكلت عنباً لم آكل مثله قط ما كان له عجم. فاكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة فقال لا تدخر ولا تخبيء منه شيئاً ثم اخذ احد البردين ودفع الي الآخر فقلت أنا في غنى عنه فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر ثم اخذ البردين اللذين كانا عليه ونزل وهما في يده فلقيه رجل بالمسعى فقال أكسني يا ابن رسول الله كساك الله فانني عريان فدفعهما اليه فقلت للذي اعطاه البردين من هذا؟ فقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الليث فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم اقدر عليه.

ومن مكارم اخلاقه: ما ذكره الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) عن الشقران مولى رسول الله (ص) قال خرج العطا ايام المنصور ومالي شفيع فوقفت على الباب متحيراً واذا بجعفر بن محمد قد اقبل فذكرت له حاجتي فدخل وخرج واذا بعطائي في كمه فناولني اياه وقال ان الحسن من كل احد حسن وانه منك احسن لمكانك منا وان القبيح من كل احد قبيح وأنه منك اقبح لمكانك منا، وانما قال له جعفر ذلك لأن الشقراني كان يشرب الشراب.

فمن مكارم اخلاق جعفر: انه رحب به وقضى حاجته مع علمه بحاله ووعظه على وجه التعريض وهذا من اخلاق الأنبياء.

وقال الثوري بالأسناد المتقدم، قلت لجعفر يا بن رسول الله اعتزلت الناس فقال يا سفيان فسد الزمان وتغير الاخوان فرأيت الإنفراد اسكن للفؤاد ثم قال:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب	فالناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا	وقلوبهم محشوة بعقارب

وقال الواقدي: جعفر من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل المدينة.

﴿ذكر وفاته﴾

قال الواقدي: توفي في خلافة أبي جعفر المنصور بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعلى قبورهم رخامة مكتوب عليها ﴿بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم﴾ هذا قبر فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين، وقبر علي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع).

واختلفوا في مبلغ سنه على أقوال، أحدها: خمس وستون، والثاني: خمس وخمسون.

وقال الواقدي: احدى وسبعون، اسند جعفر الحديث عن أبيه محمد ولقي جماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح وعكرمة في آخرين، وروى عنه الأئمة سفيان الثوري ومالك؛ وشعبة، وأبو أيوب السجستاني، وغيرهم، وقيل انه مات مسموماً.

﴿ذكر أولاده﴾

موسى الكاظم وله النسل، ومحمد ويعرف بالديباج لحسنه، واسحاق وهو أخو الديباج لأمه وأبيه، وعلي ظهر بمكة في ايام المأمون سنة ثلاث ومأتين وظفر به المأمون وعفى عنه وحمله الى خراسان فاقام عنده حتى مات سنة ثلاث ومأتين وقيل سنة أربع ومأتين وحمل المأمون سريره على عاتقه مسافة كثيرة الى قبره فتعب فقيل له يا أمير المؤمنين لو صليت عليه ورجعت فانك قد تعبت فقال هذه رحم قطعت منذ مأتي سنة ووصلناها اليوم ثم صلى عليه ودفنه.

وقال الواقدي: كان قد بايعه أهل الحجاز وتهامة واستفحل أمره فحج المعتصم في هذه السنة فاخذه وبعث به الى المأمون فاحسن اليه وكان متعبداً يصوم يوماً ويفطر يوماً وما خرج قط في ثوب فعاد وهو عليه.

قال هشام: فلما خرجوا بجنازته كان المأمون راكباً فلما رآه ترجل عن دابته ودخل بين العمودين فحمله.

ومن أولاد جعفر اسماعيل وهو الذي ينسب اليه الأسماعيلية وكان اعرج ومحمد هذا أعبد أهل زمانه وهو جدهم الاعلى الذي اليه ينتهي نسبهم وعلي، وعبد الله، واسحاق وأم فروة.

وقد رتب محمد بن سعد في (الطبقات) أولاد جعفر من غير هذا الترتيب فقال: كان له من الولد اسماعيل الاعرج، وعبد الله وأم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين الاثرم بن حسن بن علي بن أبي طالب، وموسى حبسه هارون ببغداد عند السندي مولى هارون، فمات في حبسه،واسحاق، وعلي، ومحمد، وفاطمة تزوجها محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وامها أم ولد ويحيى، والعباس وفاطمة الصغرى لامهات أولاد شتى والنسل لموسى الكاظم.

قال الواقدي: وكان لجعفر بن محمد مولى يقال له معتب يبعثه الى مالك بن أنس يسأله عن مسائل فلما حج المنصور بلغه خبر متعب فضربه الف سوط حتى مات.

قال: ولما خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة هرب جعفر بن محمد الى ماله بالفرع فاقام معتزلا للقوم حتى قتل محمد وعاد الى المدينة فتوفي بها في التاريخ الذي ذكرناه.

فصل في ذكر ولده موسى

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)؛ ويلقب (بالكاظم) والمأمون، والطيب والسيد، وكنيته أبو الحسن ويدعى بالعبد الصالح لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وأمه أم ولد أندلسية؛ وقيل بربرية اسمها حميدة.

وكان موسى جواداً حليمًا وانماسمي الكاظم لأنه كان اذا بلغه عن أحدشيءبعث اليه بمال، ومولده بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة؛ وقيل سنة تسع وعشرين ومائة، وهو من الطبقة السابعة من أهل المدينة من التابعين.

أخبرنا أبو محمد البزاز أنبأنا أبو الفضل بن ناصر أنبأنا محمد بن عبد الملك والمبارك ابن عبد الجبار الصيرفي قالا أنبأنا عبد الله بن احمد بن عثمان أنبأنا محمد بن عبد الرحمان الشيباني ان علي بن محمد بن الزبير البجلي حدثهم قال حدثنا هشام بن حاتم الاصم عن ابيه قال حدثني شقيق البلخي قال خرجت حاجاً في سنة تسع واربعين ومائة فنزلت القادسية واذا بشاب حسن الوجه شديد السمرة عليه ثوب صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً عن الناس فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كلا على الناس والله لأمضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآني مقبلا قال يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن الآية فقلت في نفسي هذا عبد

صالح قد نطق على ما في خاطري لالحقنه ولاسألنه ان يحالني فغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فقلت أمضي اليه واعتذر فاوجز في صلاته وقال يا شقيق (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) فقلت هذا من الابدال قد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا زبالا اذا به قائم على البئر وبيده ركوة يريد ان يستقي الماء فسقطت الركوة في البئر فرفع طرفه الى السماء وقال:

أنت ربي اذا ظمئت الى الماء وقوتي اذا أردت الطعاما
يا سيدي مالي سواها

قال فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤ ها فاخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال الى كثيب رمل هناك فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويشرب فقلت اطعمني من فضل ما رزقك الله وما انعم الله عليك؛ فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا اشتهي طعاماً ولا شراباً ثم لم أره حتى دخلت مكة فرأيته ليلة الى جانب قبة الشراب نصف الليل يصلي بخشوع وانين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما طلع الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام الى صلاة الفجر وطاف بالبيت اسبوعاً وخرج فتبعته واذا له غاشية واموال وغلمان وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس يسلمون عليه ويتبركون به فقلت لبعضهم من هذا فقال موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) فقلت قد عجبت ان تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

قال أهل السير: كان مقام موسى بالمدينة لأنه ولد بها فاقدمه محمد المهدي بغداد فحبسه بها ثم رده الى المدينة لمنام رآه.

ذكره الخطيب في تاريخ بغداد عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي علياً (ع) في المنام فقال له يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الآية قال الربيع فارسل اليَّ المهدي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذاهويقرأ الآية وكان من أحسن الناس صوتاً فقال عليَّ بموسى بن جعفر قال فجئته به فعانقه وأجلسه الى جنبه وقال يا أبا الحسن رأيت الساعة

أمير المؤمنين وهو يقرأ علي هذه الآية أفتومنني ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي بعدي. فقال والله لا فعلت ذلك أبداً ولا هو من شيمتي فقال صدقت؛ ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله.

قال الربيع: فاحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو على الطريق مخافة العوايق.

وقال المدايني: اقام موسى بالمدينة حتى توفي المهدي والهادي وحج هارون الرشيد فاجتمع بموسى بن جعفر عند قبر رسول الله (ص) فقال هارون للنبي (ص) السلام عليك يا بن العم افتخاراً على من حوله فدنى موسى من القبر وقال السلام عليك يا ابة فتغير وجه هارون ثم قال والله يا أبا الحسن هذا هو الفخر والشرف حقاً ثم حمله معه الى بغداد فحبسه بها سنة سبع وسبعين ومائة فاقام في حبسه الى سنة ثمان وثمانين ومائة في رجب فتوفي بها.

وذكر الزمخشري في (ربيع الابرار) ان هارون كان يقول لموسى خذ (فدكاً) وهو يمتنع فلما الح عليه قال ما آخذها إلا بحدودها. قال وما حدودها قال الحد الأول عدن فتغير وجه الرشيد، قال والحد الثاني؟ قال سمرقند فاربد وجهه، قال والحد الثالث؟ قال افريقية فاسود وجهه، قال والحد الرابع؟ قال سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينة، فقال هارون فلم يبق لنا شيء فتحول في مجلسي فقال موسى قد أعلمتك اني ان حددتها لم تردها فعند ذلك عزم على قتله واستكفى أمره.

وذكر الخطيب في تاريخه قال: بعث موسى من الحبس رسالة الى هارون يقول له ان ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء حتى نفضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

واختلفوا في سنه على أقوال، أحدها: خمس وخمسون سنة، والثاني: أربع وخمسون؛ والثالث: سبع وخمسون، والرابع: ثمان وخمسون، والخامس: ستون. ودفن بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار؛ وقيل مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

﴿ذكر اولاده﴾

قال علماء السير: وله عشرون ذكراً وعشرون انثى: علي الإمام، وزيد وهذا زيد كان قد خرج على المأمون فظفر به فبعث به الى أخيه علي بن موسى الرضا فوبخه

وجرى بينهما كلام، ذكره القاضي المعافي في (الجليس والانيس) فيه أن علياً قال له سوأة لك يا زيد ما أنت قائل لرسول الله (ص) إذ سفكت الدماء واخفت السبل واخذت المال من غير حله غرك حمقاء أهل الكوفة، وقول رسول الله (ص) ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك والله ما نالوا بذلك إلا بطاعة الله فان أردت ان تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعته انك اذن لاكرم على الله منهم. وابراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، وعبد الله، وعبيد الله، واسماعيل، وعمر، واحمد، وجعفر، ويحيى، واسحاق، والعباس، وحمزة، وعبد الرحمان، والقاسم، وجعفر الاصغر وقيل محمد، وخديجة، وام فروة، واسماء، وعلية، وفاطمة الكبرى، والصغرى، والوسطى، وفاطمة أخرى فالفواطم أربع، وأم كلثوم، وآمنة، وزينب، وأم عبد الله، وزينب الصغرى، وأم القاسم، وحكيمة، واسماء الصغرى، ومحمودة، وأمامة، وميمونة لامهات شتى.

فصل في ذكر ولده علي

هو أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقب بالولي والوفي، وأمه أم ولد تسمى الخيزران.

قال الواقدي: سمع علي الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة.

وذكر عبد الله بن احمد المقدسي في كتاب (انساب القرشيين) نسخة يرويها علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي (ع) عن النبي (ص) اسناد لو قرىء على مجنون برىء.

قال الواقدي: ولما كان سنة مأتين بعث اليه المأمون فاشخصه من المدينة الى خراسان ليوليه العهد بعده والذي اشخصه فرناس الخادم وابن أبي الضحاك فلما وصل الى نيسابور خرج اليه علماؤها مثل يحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه ومحمد ابن رافع واحمد بن حرب وغيرهم لطلب الحديث والرواية والتبرك به فاقام بنيسابور مدة والمأمون بمرو، ثم استدعاه وولاه العهد بعد وفاته وسماه الرضا من آل محمد

وضرب اسمه على الدراهم والدنانير وكتب الى الآفاق ببيعته وطرح السواد ولبس الخضرة، وزوجه المأمون ابنته أم حبيب وتزوج المأمون أيضاً ابنته أم الفضل من محمد ابن علي الرضا وتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل في وقت واحد، ذكره الصولي وغيره يقول في عقود مختلفة.

﴿نسخة العهد الذي كتبه المأمون له بيده وانشائه﴾

وهو عهد طويل ذكره عامة المؤرخين في تواريخهم اختصرته ﴿بسم الله الرحمان الرحيم﴾: هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين لأبي الحسن علي بن موسى الرضا من آل محمد ولي عهده من بعده، أما بعد: فان الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلا دالين عليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت النبوة الى محمد (ص) على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي والحجة واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً على الامم للمرسلين وانزل عليه كتابه العزيز المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بالحلال والحرام والنوازل والاحكام وعد فيه وأوعد وخوف وهدد وزجر وحذر وبالغ وانذر لتكون له الحجة البالغة على خلقه الصحيح منهم والسقيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم فبلغ عن الله رسالاته ودعى الى سبيل نجاته بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ثم بالجهاد والغلظة حتى اذا قبضه الله اليه واختار له ما عنده ولديه جعل قوام الدين بالخلافة كما ختم به الرسالة فنظام أمور عباده بالخلافة واتمامها واعزازها والقيام بامر الله فيها بالطاعة التي بها تقام فرايض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه ويجاهد بها عدوه وجعل لها خلفاء على رعيته فيما استحفظهم من أمر دينه وعبادته وعلى المسلمين الطاعة لهم والمعاونة على اقامة حق الله في عباده واظهار العدل في بلاده وامن السبل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وفي خلاف ذلك اضطراب أمر المسلمين وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفريق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة فحق على من استخلفه الله في أرضه وائتمنه على خلقه ان يجهد الله نفسه ويؤثر ما فيه رضاه عنه ويعمل بالعدل والاحسان فيما حكمه الله فيه وقلده اياه قال تعالى ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض﴾ الآية وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب (رض) أنه قال: لو ضاعت سخلة بشاطىء الفرات لخفت ان

أوخذ بها، في أخبار وآثار كثيرة ولم أزل منذ افضت إليّ الخلافة أنظر فيمن اقلده أمرها واجتهد فيمن اوليه عهدها فلم أجد من يصلح لها إلا أبا الحسن علي بن موسى الرضا لما رأيت من فضله البارع وعلمه النافع وورعه الباطن والظاهر وتخليه عن الدنيا واهلها وميله الى الآخرة وايثاره لها وقد تحقق عندي وتيقنت فيه ما الأخبار عليه متواطئة والالسن عليه متفقة فعقدت له العهد واثقاً بخيرة الله في ذلك نظراً للمسلمين وايثاراً لأقامة شعائر الدين وطلباً للنجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين وكتب عبد الله بخطه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى ومائتين وقد بايع أهل بيتي وخاصتي وولدي وأهلي وجندي وعبيدي اللهم صل على سيدنا محمد وآله والسلام.

وفي رواية: لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت الخلافة اليه ينظر فيمن يقلده أمرها وذكر هذا المعنى.

وكتب على خلفه (بسم الله الرحمان الرحيم: والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين أقول: وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره ووصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحياها بعد ما تلفت مبتغيا رضى رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وانه جعل إليّ عهده والامر بعده أطال الله بقاه وما أمكنني مخالفته ولله علي أن لا أسفك دماً حراماً وابيح فرجاً ولا مالا وان اتخير الكفاة جهدي وطاقتي ولا اغير على نفسي حالة من أحوال الآخرة فيما كنت عليه من قبل ولا انال من الدنيا إلا ما تدعو الضرورة اليه وقد جعلت الله عليّ كفيلا فان احدثت أو غيرت أو بدلت كنت للتغير مستحقاً وللنكال متعرضاً واعوذ بالله من سخط الله واليه أرغب في التوفيق لطاعته والمباعدة بيني وبين معصيته والسلام.

ثم قرأ العهد في جميع الآفاق وعند الكعبة وبين قبر رسول الله ومنبره وشهد فيه خواص المأمون واعيان العلماء فمن ذلك شهادة الفضل بن سهل كتب بخطه شهدت على أمير المؤمنين عبد الله المأمون وعلى أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر بما أوجبا به الحجة عليهما للمسلمين وابطلا به شبهة الجاهلين؛ وكتب فضل بن سهل

في التاريخ المذكور، وشهد عبد الله بن طاهر بمثل ذلك، وشهد بمثله يحيى بن أكثم القاضي، وحماد بن أبي حنيفة، وأبو بكر الصولي؛ والوزير المغربي؛ وبشر بن المعتمر في خلق كثير.

وحكى الصولي: ان المأمون لما بايع علي بن موسى اجلسه الى جانبه فقام العباسي الخطيب فتكلم فاحسن وأنشد:

لا بد للناس من شمس ومن قمر فأنت شمس وهذا ذلك القمر

قال علماء السير: فلما فعل المأمون ذلك شغبت بنو العباس ببغداد عليه وخلعوه من الخلافة وولوا ابراهيم بن المهدي والمأمون بمرو وتفرقت قلوب شيعة بني العباس عنه فقال له علي بن موسى الرضا يا أمير المؤمنين النصح لك واجب والغش لا يحل لمؤمن ان العامة تكره ما فعلت معي والخاصة تكره الفضل بن سهل فالرأي ان تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامة فيستقيم أمرك.

وذكر أبو بكر الصولي في كتاب (الاوراق) ان هارون كان يجري على موسى بن جعفر وهو في حبسه كل سنة ثلاثمائة الف درهم وانزله عشرين الفاً فقال المأمون لعلي ابن موسى لأزيدنك على مرتبة أبيك وجدك فاجرى له ذلك ووصله بالف الف درهم ولما فصل المأمون عن مرو طالباً بغداد ووصل الى سرخس وثب قوم على الفضل بن سهل في الحمام فقتلوه ومرض علي بن موسى فلما وصل المأمون الى طوس توفي علي ابن موسى بطوس في سنة ثلاث ومائتين وقيل انه دخل الحمام ثم خرج فقدم اليه طبق فيه عنب مسموم قد ادخلت فيه الابر المسمومة من غير ان يظهر أثرها فاكله فمات وله خمس وخمسون سنة، وقيل تسع وأربعون ودفن الى جانب هارون الرشيد.

وزعم قوم ان المأمون سمه وليس بصحيح فانه لما مات علي توجع له المأمون وأظهر الحزن عليه وبقي اياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات ثم أتى بغداد فدخلها في صفر سنة أربع ومائتين ولباسه ولباس أصحابه جميعاً الخضرة وكذا أعلامهم وكان قد بعث المأمون الحسن بن سهل الى بغداد فهزمهم واختفى ابراهيم ابن المهدي ونزل المأمون بقصر الرصافة.

قال الصولي: فاجتمع بنو العباس الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكانت في القعدد والسؤدد مثل المنصور فسألوها ان تدخل على المأمون وتسأله

الرجوع الى لبس السواد وترك الخضرة والاضراب مثل ما كان عليه لأنه عزم بعد موت علي بن موسى ان يعهد الى محمد بن علي بن موسى الرضا وانما منعه من ذلك شغب بني العباس عليه لأنه كان قد أصر على ذلك حتى دخلت عليه زينب فلما دخلت عليه قام لها ورحب بها وأكرمها فقالت له يا أمير المؤمنين انك على بر اهلك من ولد أبي طالب والامر في يدك اقدر منك على برهم والأمر في يد غيرك أو في ايديهم فدع لباس الخضرة وعد الى لباس أهلك ولا تطعن احداً فيما كان منك فعجب المأمون بكلامها وقال لها والله يا عمة ما كلمني احد بكلام أوقع من كلامك في قلبي ولا اقصد لما اردت وانا احاكمهم الى عقلك فقالت وما ذاك فقال الست تعلمين ان أبا بكر (رض) ولي الخلافة بعد رسول الله (ص) فلم يول احداً من بني هاشم شيئاً قالت بلى قال ثم ولي عمر فكان كذلك ثم ولي عثمان فاقبل على أهله من بني عبد الشمس فولاهم الامصار ولم يول احداً من بني هاشم ثم ولي علي (ع) فاقبل على بني هاشم فولى عبد الله بن عباس البصرة، وعبيد الله بن عباس اليمن وولى معبداً مكة وولى قثم بن العباس البحرين وما ترك احداً ممن ينتمي الى العباس إلا ولاه فكانت له هذه في اعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت فقالت لله درك يا بني ولكن المصلحة لبني عمك من ولد أبي طالب ما قلت لك فقال ما يكون إلا ما تحبون ثم فكر في أمره وولاية محمد ابن علي العهد فرأى أن القواعد تنخرم عليه وربما خرج الأمر من يد بني العباس وبني علي لسبب الاختلاف وان في الارض بقايا من بني أمية فربما وجدوا الفرصة في تفريق الكلمة واثارة الفتنة فجلس لبني العباس وجمعهم ودعى بحلة سوداء فلبسها وترك الخضرة ولبس الناس كذلك فلم تلبس الخضرة ببغداد سوى ثمانية ايام.

قال الصولي وغيره: كان المأمون يحب علياً (ع) كتب الى الآفاق بأن علي بن أبي طالب أفضل الخلق بعد رسول الله وان لا يذكر معاوية بخير ومن ذكره بخير يباح دمه وماله. قال الصولي ومن أشعار المأمون في علي (ع):

الام على حب الوصي أبي الحسن	وذلك عندي من عجائب ذي الزمن
خليفة خير الناس والأول الذي	اعان رسول الله في السر والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم امرة	وكانت على الأيام تقصى وتمتهن
فولى بني العباس ما اختص غيرهم	ومن منه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى	وفاض عبيد الله جوداً على اليمن

وقسم أعمال الخلافة بينهم فلا زال مربوطاً بذا الشكر مرتهن

وقال أيضاً، وقيل انها للسيد الحميري:

احلف بالله وآلائه والمرء عما قال مسؤول
ان علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول
وانه كان الإمام الذي له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويختاره ولا تعانيه الاباطيل
كان اذا الحرب مراها القنا وقصرت عنها البهاليل
يمشي الى القرن وفي كفه ابيض ماضي الحد مصقول
مشي العفرنا بين اشباله اقبل لا تغتاله الغول

ومن اشعار المأمون:

لا تقبل التوبة من تائب إلا بحب ابن أبي طالب
أخو رسول الله حلف الهدى والأخ فوق الخل والصاحب
ان جمعا في الفضل يوماً فقد فاق أخوه رغبة الراغب
فقدم الهادي في فضله تسلم من اللائم والعائب
ان مال ذو النصب الى جانب ملت مع الشيعي في جانب
أكون في آل نبي الهدى خير نبي من بني غالب
حبهم فرض نؤدي به كمثل حج لازم واجب

وذكر الصولي في كتاب الاوراق أيضاً قال كان مكتوباً على سارية من سواري جامع البصرة:

رحم الله علياً انه كان تقياً

وكان يجلس الى تلك السارية أبو عمر الخطابي واسمه حفص وكان أعور فأمر به فمحي فكتب الى المأمون بذلك فشق عليه وامر باشخاصه اليه فلما دخل عليه قال لم محوت اسم أمير المؤمنين على السارية فقال وما كان عليها فقال:

رحم الله علياً انه كان تقياً

فقال: بلغني انه كان نبياً؛ فقال كذبت بل كانت القاف اصح من عينك

الصحيحة ولولا ان ازيدك عند العامة نفاقاً لادبتك ثم أمر باخراجه.

قد ذكرنا وفاة علي بن موسى الرضا وكان من الفضلاء الاتقياء الاجواد وفيه يقول أبو نواس:

قيل لي أنت أوحد الناس طراً ... في كلام من المقال بديه

لك في جوهر الكلام فنون ... ينثر الدر في يدي مجتنيه

فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا اهتدي لمدح امام ... كان جبريل خادماً لابيه

﴿ذكر أولاده﴾

محمد الامام أبو جعفر الثاني وجعفر وأبو محمد الحسن وابراهيم وابنة واحدة.

فصل في ذكر ولده محمد الجواد

هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وكنيته: أبو عبد الله، وقيل أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة وتوفي سنة مائتين وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود ولما مات أبوه قدم على المأمون فاكرمه واعطاه ما كان يعطي اباه وكان قد زوجه المأمون بابنته أم الفضل كما ذكرنا.

واختلفوا هل زوجه قبل وفاة أبيه أو بعده فيه قولان، والامامية تروي خبراً طويلا فيه ان المأمون لما زوجه كان عمر محمد الجواد سبع سنين واشهر وانه هو الذي خطب خطبة النكاح وان العباسيين شغبوا على المأمون ورشوا القاضي يحيى بن اكثم حتى وضع مسائل ليخطىء بها محمد الجواد ويمتحنه وان الجواد خرج عن الجميع، وهو حديث طويل ذكره المفيد في كتاب (الارشاد) والله أعلم.

وكان يلقب بالمرتضى والقانع وكانت وفاته ببغداد خامس ذي الحجة ودفن الى جانب جده موسى بن جعفر بمقابر قريش وقبره ظاهر يزار وأمه سكينة وكان له أولاد المشهور منهم علي (الامام).

فصل في ذكر الهادي

هو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب وكنيته أبو الحسن العسكري وانما نسب الى العسكري لأن جعفر المتوكل اشخصه من المدينة الى بغداد الى سر من رأى فاقام بها عشرين سنة وتسعة اشهر ويلقب بالمتوكل النقي وأمه سمانة مغربية.

قال علماء السير: وانما اشخصه المتوكل من مدينة رسول الله الى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس اليه فخاف منه فدعى يحيى بن هرثمة وقال اذهب الى المدينة وانظر في حاله واشخصه الينا.

قال يحيى فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً اليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل الى الدنيا قال يحيى فجعلت اسكنهم واحلف لهم اني لم اؤمر فيه بمكروه وانه لا باس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وادعية وكتب العلم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي واحسنت عشرته فلما قدمت به بغداد بدأت باسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد فقال لي يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فان حرضته عليه قتله وكان رسول الله خصمك يوم القيامة فقلت له والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل ثم صرت به الى سر من رأى فبدأت بوصيف التركي فاخبرته بوصوله فقال والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك قال فعجبت كيف وافق قوله قول اسحاق، فلما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته واني فتشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وان أهل المدينة خافوا عليه فاكرمه المتوكل واحسن جايزته واجزل بره وانزله معه سر من رأى.

قال يحيى بن هرثمة فاتفق مرض المتوكل بعد ذلك بمدة فنذر ان عوفي ليتصدقن بدراهم كثيرة فعوفي فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم فرجاً فبعث الى علي فسأله فقال يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً فقال المتوكل من اين لك هذا؟ فقال من قوله تعالى ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة، وذلك لأن النبي (ص) غزى سبعاً وعشرين غزاة وبعث خمساً وستين سرية وآخر غزواته يوم حنين فعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب وبعث اليه بمال كثير فقال علي هذا الواجب فتصدق أنت بما أحببت.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب (مروج الذهب) قال نمي الى المتوكل بعلي بن محمد ان في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم وانه عازم على الوثوب بالدولة فبعث اليه جماعة من الاتراك فهاجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه؛ وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه الى الله تعالى يتلو آيات من القرآن فحمل على حاله تلك الى المتوكل وقالوا للمتوكل لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب فادخل عليه والكأس في يد المتوكل فلما رآه هابه وعظمه واجلسه الى جانبه وناوله الكأس التي كانت في يده فقال والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني فاعفاه فقال له انشدني شعراً فقال علي أنا قليل الرواية للشعر فقال لا بد فانشده علي (ع):

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... واسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم ... أين الاساور والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون ورفع الى علي أربعة آلاف دينار ثم رده الى منزله مكرماً.

وقال يحيى بن هبيرة تذاكر الفقهاء بحضرة المتوكل من حلق رأس آدم فلم يعرفوا من حلقه فقال المتوكل ارسلوا الى علي بن محمد بن علي الرضا فاحضروه فحضر فسألوه فقال حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده عن أبيه قال ان الله أمر جبرئيل ان ينزل بياقوتة من يواقيت الجنة فنزل بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرما، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى رسول الله (ص).

ذكر وفاته

توفي علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا في جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين بسر من رأى ومولده في رجب سنة أربع عشر ومائتين وكان سنه يوم مات

أربعين سنة وكانت وفاته في ايام المعتز بالله ودفن بسر من رأى وقيل انه مات مسموماً.

﴿ذكر أولاده منهم الحسن الامام﴾

فصل في ذكر العسكري

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم ولد اسمها سوسن، وكنيته: أبو محمد، ويقال له العسكري أيضاً، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين (بسر من رأى) وتوفي بها سنة ستين ومائتين في خلافة المعتمد على الله وكان سنه تسعاً وعشرين سنة، وكان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جده ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز.

ذكره جدي أبو الفرج في كتابه المسمى (بتحريم الخمر) ونقلته من خطه وسمعته يقول: اشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول اشهد بالله لقد سمعت عبد الله بن عطا الهروي يقول اشهد بالله لقد سمعت عبد الرحمان بن أبي عبيد البيهقي يقول اشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد الدينوري يقول اشهد بالله لقد سمعت محمد بن علي بن الحسين العلوي يقول أشهد بالله لقد سمعت احمد بن عبد الله السبيعي يقول أشهد بالله لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول اشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن محمد يقول اشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي بن موسى الرضا يقول اشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن موسى يقول اشهد بالله لقد سمعت أبي موسى يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي جعفر ابن محمد يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن أبي طالب (ع) يقول أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله (ص) يقول اشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول أشهد لله لقد سمعت اسرافيل يقول أشهد بالله على اللوح المحفوظ انه قال سمعت الله يقول شارب الخمر كعابد الوثن.

ولما روى جدي هذا الحديث في كتاب تحريم الخمر قال قال أبو نعيم الفضل بن دكين هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة الطاهرة ورواه جماعة عن

رسول الله (ص) منهم ابن عباس وأبو هريرة، وأنس، وعبد الله بن أبي أوفى الاسلمي في اخرين وقد ذكرنا وفاة الحسن بن علي وانها كانت سنة ستين ومائتين.

﴿ذكر أولاده منهم محمد الامام﴾

فصل في ذكر الحجة المهدي

هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم وهو الخلف الحجة صاحب الزمان، القائم والمنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمة أنبأنا عبد العزيز بن محمود بن البزاز عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً. فذلك هو المهدي، وهذا حديث مشهور.

وقد اخرج أبو داود والزهري عن علي بمعناه وفيه لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله من أهل بيتي من يملأ الأرض عدلاً، وذكره في روايات كثيرة ويقال له ذو الإسمين محمد وأبو القاسم قالوا أمهٌ أم ولد يقال لها صقيل.

وقال السدى يجتمع المهدي وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدي لعيسى تقدم فيقول عيسى أنت أولى بالصلاة فيصلي عيسى وراءه مأموماً.

قلت فلو صلى المهدي خلف عيسى لم يجز لوجهين احدهما لأنه يخرج عن الأمامة بصلاته مأموماً فيصير تبعاً، والثاني لأن النبي (ص) قال لا نبي بعدي وقد نسخ جميع الشرائع فلو صلى عيسى بالمهدي لتدنس وجه لا نبي بعدي بغبار الشبهة.

وعامة الامامية على ان الخلف الحجة موجود وانه حي يرزق ويحتجون على حياته بأدلة منها ان جماعة طالت اعمارهم كالخضر والياس فانه لا يدرى كم لهما من السنين وانهما يجتمعان كل سنة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا.

وفي التوراة ان ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون الفاً وخمسمائة.

وقال محمد بن اسحاق عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في حجر آدم وعناق أمه وقتله موسى بن عمران وأبوه سيحان وعاش الضحاك وهو بيورسب الف سنة وكذلك طهمورث.

واما من الأنبياء فخلق كثير بلغوا الألف وزادوا عليها كادم، ونوح وشيث ونحوهم وعاش قينان تسعمائة سنة وعاش مهلائيل ثمان مائة وعاش نفيل بن عبد الله سبعمائة سنة وعاش سطيح الكاهن واسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة وعاش عامر بن الضرب خمسمائة وكان حاكم العرب وكذا تيم الله بن ثعلبة وكذا سام بن نوح وعاش الحرث بن مضاض الجرهمي اربعمائة سنة وهو القائل (كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا) وكذا ارفخشد وعاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة وعاش كعب بن جمجمة الدوسي ثلاثمائة وتسعين سنة وعاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة في خلق يطول ذكرهم.

فصــــل

وقد جمع الأئمة(ع) أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي قصيدته المشهورة التي انشدنيها جماعة من مشايخنا ببغداد وكان الحصكفي قد ورد بغداد واجتمع بأبي زكريا التبريزي الخطيب وقرأ عليه شيئاً من كلامه وانشده هذه القصيدة وكتب عليها الخطيب وقرأ عليّ ما يدخل الاذن بلا اذن ومولد الحصكفي ببلاد ميافارقين ببلدة صغيرة يقال لها طبري ونشأ بحصن كيفا ثم انتقل الى ميا فارقين وكان عالماً فصيحاً في النظم والنثر وتوفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (والقصيدة):

أقوت مغانيهم فاقوى الجلد	ربعان كل بعد سكن فدفد
أسأل عن قلبي وعن احبابه	ومنهم كل مقر يجحد
وهل نجيب اعظما بالية	وارسما خالية من ينشد
صاح الغراب فكما تحملوا	أمسى بها كأنه مقيد
فقاسموا يوم الوداع كبدي	فليس لي منذ تولوا كبد
على الجفون رحلوا وفي الحشى	تقلبوا وماء عيني وردوا
وأدمعي مسفوحة وكبدي	مقروحة وغلتي ما تبرد
وعبرتي وافية ومقلتي	دامية ونومها مشرد
أيقنت لما أن حدا الحادي لهم	ولم أمت أن فؤادي جلمد
كنت على القرب كئيباً مغرما	ميتاً فما ظنك بي إذ ابعدوا
هم الحياة أعرقوا أم أشأموا	أم أتهموا أم أيمنوا أم انجدوا
ليهنهم طيب الكرى فانه	من حظهم وحظ عيني السهد

هم تولوا بالفؤاد والكرى   فأين صبري بعدهم والجلد

لولا الضنا جحدت وجدي بهم   لكن نحولي بالغرام يشهد

تلهفا يا جور حكام الهوى   وما لمن يظلم فيهم مسعد

ليس على المتلف غرم عندهم   ولا على القاتل ظلمًا قود

وسائل عن حب أهل البيت هل   اقر اعلاناً به أم أجحد

هيهات ممزوج بلحمي ودمي   حبهم وهو الهدى والرشد

حيدرة والحسنان بعده   ثم علي وابنه محمد

جعفر الصادق وابن جعفر   موسى ويتلوه علي السيد

اعني الرضا ثم ابنه محمد   ثم علي وابنه المسدد

الحسن التالي ويتلو تلوه   محمد بن الحسن المفتقد

فانهم أئمتي وسادتي   وان لحاني معشر وفندوا

أئمة اكرم بهم أئمة   أسماؤهم مسطورة تطرد

هم حجج الله على عباده   وهم اليه منهج ومقصد

كل النهار صوم لربهم   وفي الدياجي ركع وسجد

قوم أتى في هل أتى مديحهم   هل شك في ذلك إلا ملحد

قوم لهم في كل ارض مشهد   لا بل لهم في كل قلب مشهد

قوم منى والمشعران لهم   والمروتان لهم والمسجد

قوم لهم مكة والابطح والخيف   وجمع والبقيع الغرقد

قوم لهم فضل ومجد باذخ   يعرفه المشرك والموحد

ما صدق الناس ولا تصدقوا   ما نسكوا وافطروا وعيدوا

ولا غزوا او اوجبوا حجاً ولا   صلوا ولا صاموا ولا تعبدوا

لولا رسول الله وهو جدهم   يا حبذا الوالد ثم الولد

ومصرع الطف فلا أذكره   وفي الحشا منه لهيب يقد

يرى الفرات ابن الرسول ظامياً   يلقى الردى وابن الدعي يرد

حسبك يا هذا وحسب من بغى   عليهم يوم المعاد الصمد

يا أهل بيت المصطفى يا عدتي   ومن على حبهم أعتمد

أنتم الى الله غداً وسيلتي   فكيف أشقى وبكم اعتضد

وليكم في الخلد حي خالد والضد في نار لظى مخلد

وقال آخر:

بأربعة اسماء كل محمد وأربعة اسماء كلهم علي
وبالحسنين السيدين وجعفر وموسى اجرني انني لهم ولي

قلت ومن شرط الامام ان يكون معصوماً لئلا يقع في الخطأ او يحتاج الى مثقف فيتسلسل الى ما لا نهاية له وانه محال ولانهم حجج الله على عباده ومن شرط الحجة العصمة في كل وصمة انتهى ذكر الأئمة (ع) فنذكر ما انتهى الينا من اخبار ذريتهم ومحاسن شيمهم وصفاتهم.

(حكاية) أنبأنا عبد الملك مظفر بن غالب الحري باسناده قال كان عبد الله بن المبارك يحج سنة ويغزو سنة فعل ذلك خمسين سنة قال لما كانت السنة التي حج فيها اخذت في كمي خمسمائة دينار وخرجت الى موقف الجمال بالكوفة لاشتري جملا فرأيت امرأة على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة فتقدمت اليها وقلت لم تفعلين هذا؟ فقالت يا عبد الله لا تسأل عما لا يعنيك قال فوقع في خاطري من كلامها شيء فالححت عليها فقالت يا عبد الله قد الجأتني الى كشف سري اليك وأنا امرأة علوية ولي أربع بنات يتامى مات أبوهن من قريب وهذا اليوم أربع ما اكلنا شيئاً وقد حلت لنا الميتة فاخذت هذه البطة اصلحها واحملها الى بناتي فناكلها فقلت في نفسي ويحك يا ابن المبارك اين أنت عن هذه فقلت افتحي حجرك ففتحته فصببت الدنانير في طرف ازارها وهي مطرقة لا تلتفت اليّ قال ومضيت الى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام ثم تجهزت الى بلادي وأقمت حتى حج الناس وعادوا فخرجت اتلقى جيراني وأصحابي فجعلت كل من أقول له قبل الله حجك وشكر سعيك يقول وأنت كذلك أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا واكثر الناس علي في القول فبت مفكراً في ذلك فرأيت رسول الله (ص) في المنام وهو يقول لي يا عبد الله لا تعجب فانك اغثت ملهوفة من ولدي فسألت الله ان يخلق ملكاً على صورتك يحج عنك كل عام الى يوم القيامة فان شئت ان تحج وان شئت لم تحج.

وقد رويت لنا هذه الحكاية من طريق آخر، هو ان ولداً صغيراً لابن المبارك دخل بيت بعض الاشراف فوجدهم يأكلون لحماً فلم يطعموه فجاء الى ابن المبارك وهو

يبكي فسأله فقال دخلت بيت فلان وهم يأكلون طبيخاً فلم يطعموني وكانوا جيرانه فارسل اليهم عبد الله يعتتبهم فارسلت اليه العجوز تقول قد احوجتنا الى كشف أحوالنا قد مات صاحب الدار وخلف ايتاماً ولنا خمسة ايام ما أكلنا طعاماً وانني خرجت الى مزبلة فوجدت عليها بطة ميتة فاخذتها واصلحتها ودخل ابنك ونحن نأكل فما جاز لي ان اطعمه وهو يجد الحلال ويقدر عليه فبكى ابن المبارك وبعث اليهم بخمسمائة دينار ولم يحج في ذلك العام ورأى المنام.

(حكاية أخرى) حدثني أبو محمد عبد الوهاب المقري قال حدثني جار لي كان لي صاحب من أولاد الحسين (ع) وكان رقيق الحال فكنت ابره قال فحج في بعض السنين وعاد وقد حسنت حاله فسألته عن ذلك فقال حججت في هذه السنة وأنا فقير أمشي قال فبقيت ثلاثة ايام لم اجد طعاماً فبينما أنا امشي واذ قد علق في قدمي سير واذا هميان فاخذته وفتحته واذا فيه الف دينار فقالت نفسي تصرف فيه واشتر طعاماً واكثر قال فقلت لا والله حتى يظهر أمره فاذا بمناد ينادي عليه فقلت لصاحبه ما تعطي من لقيه قال ما اعطيه شيئاً قلت مائة دينار قال لا قلت فدينار قال فلا دينار فرميته اليه فنظر الي وقال من أين أنت قلت من بغداد قال وما تصنع قلت لا شيء وأنا رجل شريف ومالي حرفة فقال من أولاد من أنت؟ قلت من أولاد الحسين قال ومن يعرفك قلت الحاج فجاء جماعة فعرفوني فرمى الي الهميان فقال خذه فقلت له فانت ما هان عليك تعطيني منه ديناراً اتعطيني الجميع فقال اعلم انه عندي وديعة جاءت معي من خراسان وأوصاني صاحبه ان لا أعطيه إلا لشريف مستحق من أولاد الحسين وأنت ذاك فاخذته وحسنت حالي.

(حكاية أخرى) أخبرنا جدي أبو الفرج قال أنبأنا أبو بكر بن حبيب العمري أنبانا علي بن أبي صادق أنبأنا ابن باكويه أنبانا أبو الحسن الحنظلي أنبانا عثمان بن علي الحيري أخبرني أبو الحسن الدربندي قال رأيت ابراهيم بن سعد العلوي وعليه كساءاً فبسطه على البحر ووقف وصلى عليه.

قال جدي في كتاب (صفة الصفوة) ابراهيم بن سعد أبو اسحاق العلوي من أهل بغداد انتقل الى الشام واستوطنه.

وذكر أبو نعيم في (الحلية) وحكاه جدي أيضاً في (الصفوة) عن أبي الحارث الأولاسي قال خرجت من حصن اولاس اريد البحر فقال لي بعض اخواني لا تخرج

فقد هيأت لك عجة حتى تأكل ثم جاء بها فأكلت ثم جئت الى الساحل فاذا ابراهيم ابن سعد العلوي قائمًا يصلي على الماء فقلت في نفسي ما اشك انه يريد ان يقول لي أمش معي على الماء ولئن قال لي لأمشين معه قال فما استحكم الخاطر حتى سلم ثم قال لي هيه يا أبا الحارث أمشي على الخاطر فقلت بسم الله فمشى هو على الماء فذهبت أمشي فغاصت رجلي فالتفت اليّ فقال يا أبا الحارث العجة اخذت برجلك.

وعن أبي الحارث قال رأيته وهو يصلي على الماء فاوجز وسلم وحرك شفتيه واذا بحيتان كثيرة مصفوفة حوله فقلت في نفسي فأين الصيادون فتفرقت الحيتان فقال لي ابراهيم ما أنت بمطلوب في هذا الأمر ولكن عليك بهذه الرمال فتوارى فيها ما امكنك وتقلل في الدنيا حتى يأتيك أمر الله ثم غاب عني.

(حكاية أخرى) قرأت على عبد الله بن احمد المقدسي سنة أربع وستمائة وقال قرأت في (الملتقط) والملتقط كتاب جدي أبو الفرج قال كان ببلخ رجل من العلويين نازلا بها وكان له زوجة وبنات فتوفي الرجل قالت المرأة فخرجت بالبنات الى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء واتفق وصولي في شدة البرد فادخلت البنات مسجداً ومضيت لاحتال لهم في القوت فرأيت الناس مجتمعين على شيخ فسألت عنه فقالوا هذا شيخ البلد فتقدمت اليه وشرحت حالي له فقال اقيمي عندي البينة انك علوية ولم يلتفت علي فيئست منه وعدت الى المسجد فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكة وحوله جماعة فقلت من هذا؟ فقالوا ضامن البلد وهو مجوسي فقلت عسى ان يكون عنده فرج فتقدمت اليه وحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد وان بناتي في المسجد ما لهم شيء يقوتون به فصاح بخادم له فخرج فقال قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخل وخرجت امرأته معها جواري فقال اذهبي مع هذه المرأة الى المسجد الفلاني واحملي بناتها الى الدار فجاءت معي وحملت البنات وقد افرد لنا داراً في داره فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت واللواء على رأس محمد (ص) واذا قصر من الزمرد الأخضر فقال لمن هذا القصر؟ فقيل لرجل مسلم موحد فتقدم الى رسول الله (ص) فسلم عليه فاعرض عنه فقال يا رسول الله تعرض عني وأنا رجل مسلم فقال له اقم البينة عندي انك مسلم فتحير الرجل فقال له رسول الله (ص) نسيت ما قلت للعلوية وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره، فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي ويث غلمانه في البلد وخرج بنفسه يدور على العلوية فاخبر

أنها في دار المجوسي فجاء اليه فقال اين العلوية فقال عندي فقال اريدها (قال) ما الى هذا سبيل قال هذه الف دينار وسلمهن اليّ فقال لا والله ولا بمائة الف دينار فلما الح عليه قال له المنام الذي رأيته أنا أيضاً رأيته والقصر الذي رأيته لي خلق وأنت تدل عليّ باسلامك والله ما نمت ولا احد في داري إلا وقد اسلمنا كلنا على يد العلوية وعادت بركاتها علينا ورأيت رسول الله (ص) فقال لي القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة خلقكم الله مؤمنين في القدم.

(حكاية أخرى) قرأت على عبد الله بن احمد المقدسي بهذا التاريخ قال وجدت في كتاب الجوهري عن ابن أبي الدنيا ان رجلا رأى رسول الله (ص) في منامه وهو يقول امض الى فلان المجوسي وقل له قد اجيبت الدعوة فامتنع الرجل من اداء الرسالة لئلا يظن المجوسي انه يتعرض له وكان الرجل في الدنيا في سعة فرأى الرجل رسول الله (ص) ثانياً وثالثاً فاصبح فأتى المجوسي وقال له في خلوة من الناس أنا رسول رسول الله اليك وهو يقول لك قد اجيبت الدعوة فقال له اتعرفني؟ قال نعم قال فاني انكر دين الإسلام ونبوة محمد (ص) فقال أنا أعرف هذا وهو الذي ارسلني اليك مرة ومرة ومرة فقال أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ودعى أهله وأصحابه فقال لهم كنت على ضلال ورجعت الى الحق فاسلموا فمن اسلم فما في يده فهو له ومن أبى فلينتزع مالي عنده قال فأسلم القوم وأهله وكانت له ابنة مزوجة من ابن ابنه ثم قال لي اتدري ما الدعوة قلت لا وأنا اريد ان اسئلك الساعة فقال لما زوجت ابنتي صنعت طعاما ودعوت الناس اليه فاجابوا وكان الى جانبنا قوم اشراف فقراء لا مال لهم فأمرت غلماني ان يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار قال فسمعت صبية تقول لامها يا أماه قد آذانا المجوسي برائحة طعامه قال فارسلت اليهن بطعام كثير وكسوة ودراهم للجميع فلما نظروا الى ذلك قالت الصبية للباقيات والله ما نأكل حتى ندعو له فرفعن أيديهن وقلن حشرك الله مع جدنا رسول الله وأمن بعضهم فتلك الدعوة التي اجيبت.

(حكاية أخرى) أخبرنا جدي أبو الفرج باسناده الى ابن الخصيب قال كنت كاتبا للسيدة أم المتوكل فبينا أنا في الديوان اذا بخادم صغير قد خرج من عندها ومعه كيس فيه الف دينار فقال السيدة تقول لك فرق هذا في أهل الإستحقاق فهو من أطيب مالي واكتب لي اسامي الذين تفرقه فيهم حتى اذا جاءني من هذا الوجه شيء صرفته اليهم

قال فمضيت وجمعت أصحابي وسألتهم عن المستحقين فسموا الي أشخاصاً ففرقت فيهم ثلاثمائة دينار وبقي الباقي بين يدي الى نصف الليل واذا بطارق يطرق علي باب داري فقلت من؟ فقال فلان العلوي وكان جاري فقلت هذا جاري من مدة ولم يقصدني فاذنت له فدخل فرحبت به وقلت ما الذي عناك في هذه الساعة فقال طرقني الساعة طارق من ولد رسول الله ولم يكن عندي ما اطعمه فاعطيته ديناراً فاخذه وشكرني وانصرف فلما وصل الى الباب خرجت زوجتي وهي تبكي وتقول أما تستحي يقصدك هذا الرجل وتعطيه ديناراً وقد عرفت استحقاقه اعطه الكل قال فوقع كلامها في قلبي وقمت خلفه فناولته الكيس فاخذه وانصرف فلما عدت الى الدار ندمت وقلت الساعة يصل الخبر الى المتوكل وهو يمقت العلويين فيقتلني فقالت زوجتي لا تخف واتكل على الله وعلى جدهم فبينا نحن كذلك واذا بالباب يطرق والمشاعل والشموع بايدي الخدم وهم يقولون اجب السيدة قال فقمت مرعوبا وكلما مشيت قليلا والرسل تتواتر فادخلوني من دار الى دار حتى أوقفوني عند ستر السيدة وقال لي الخادم السيدة وراء هذا الستر قال فسمعت بكائها وهي تنتحب وتقول يا أحمد جزاك الله خيراً وجزى زوجتك خيراً كنت الساعة نائمة فجاءني رسول الله وقال لي جزاك الله خيراً وجزى زوجة الخصيب خيراً فما معنى هذا فحدثتها الحديث وهي تبكي فاعطتني دنانير وكسوة وقالت هذا للعلوي وهذا لزوجتك وهذا لك قال وكان ذلك يساوي مائة الف درهم فاخذت المال وجعلت طريقي على بيت العلوي فطرقت الباب فصاح من داخل المنزل هات ما معك يا احمد وخرج وهو يبكي فسألته عن بكائه فقال لما دخلت منزلي قالت لي زوجتي ما هذا معك فعرفتها فقالت قم بنا نصلي وندعو للسيدة ولأحمد وزوجته فصلينا ودعونا ثم نمت فرأيت رسول الله (ص) في المنام وهو يقول شكرتهم على ما فعلوا معك والساعة يأتونك بشيء فاقبله منهم.

(حكاية أخرى) ذكرها المسعودي في تاريخه عن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب وكان على شرطة بغداد انه رأى رسول الله (ص) في منامه وهو يقول له اطلق القاتل فانتبه مرعوباً وسأل أصحابه فقالوا اعندنا رجل اتهم بقتل فاحضروه وقال له اصدقني الحديث فقال اخبرك ونحن جماعة نجتمع على الشراب كل ليلة فلما كان بالامس جاءت عجوز كانت تختلف الينا تجلب لنا النساء فدخلت الدار ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الدار ورأت ما نحن عليه صاحت صيحة واغمي عليها

فادخلتها بيتاً فلما افاقت سألتها عن حالها فقالت يا فتيان الله الله فيّ فان هذه العجوزة غرتني فاخبرتني ان عندها خفاً ليس في الدنيا مثله فشوقتني الى النظر الى ما فيه فخرجت معها ثقة بقولها لانظر فيه فهجمت بي عليكم وأنا شريفة وجدي رسول الله وأمي فاطمة بنت رسول الله فاحفظوهم في قال فخرجت الى أصحابي وعرفتهم حالها وقلت لهم لا تعترضوا لها فكأني اغريتهم بها فقاموا اليها وقالوا لما قضيت حاجتك منها صرفتنا عنها قال فقمت دونها وقلت والله ما يصل احد منكم اليها وأنا حي فتفاقم الأمر بيننا الى ان نالتني جراح وعمدت إلى اشدهم حرصاً على هتكها فقتلته ثم حاميت عنها وتخلصت الجارية آمنة واخرجتها سالمة فسمعتها تقول مخاطبة لي سترك الله كما سترتني وكان لك كما كنت لي وسمع الجيران الضجة فدخلوا الينا والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه فرفعت اليك على هذه الحالة فقال اسحاق قد غفرت لك ما كان منك ووهبتك لله ولرسوله قال الرجل فوحق من وهبتني له لا عدت الى معصيته ابداً.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا كثيراً.

(حكاية أخرى) حدثني أبو الفرج عن عبيد الله قال حدثني أبي قال سمعت أبا عامر الواعظ يقول فبينما أنا جالس في مسجد رسول الله (ص) إذ جاءني غلام اسود ومعه رقعة فناولني اياها فاخذتها وفتحتها فاذا فيها مكتوب بسم الله الرحمان الرحيم متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بموانسة العبرة وافردك بحب الخلوة يا أبا عامر أنا رجل من اخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك واحببت زيارتك وبي من الشوق الى مجالستك والاستماع لمحادثتك ما لو كان فوقي لا ظلني ولو كان تحتي لاقلني فسألتك بالذي حباك بالبلاغة لما الحقتني جناح التوصل بزيارتك، وفي رواية فاحببت زيارتك فوجدت الله قد عذرني باعذار والسلام.

قال أبو عامر فقمت مع الرسول حتى أتى بي الى قبا فادخلني منزلا رحباً خرباً وقال قف حتى استأذن لك فوقفت فدخل وقد خرج فقال لي لج فدخلت فاذا بيت مفرد في الخربة بابه من جريد النخل واذا بكهل قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروباً ومن الخشية محزوناً قد ظهرت في وجهه احزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت اجفانه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم تحرك فاذا هو اعمى زمن مسقام فقال لي يا

أبا عامر غسل الله من درن الذنوب قلبك وانبع بالحكمة لبك لم يزل قلبي اليك تواقا والى استماع الموعظة مشتاقاً بعثك نورا أعيى الاطباء داؤه وأعجز الواعظين شفاؤه وقد بلغني نفع مراهمك للجراح فلا تال رحمك الله في ايقاع الدرياق وان كان مر المذاق فاني ممن يصبر على الم الدواء لما أرجو من الشفاء قال أبو عامر فنظرت الى منظر بهرني وسمعت كلاماً افظعني ففكرت طويلا ثم تأتى من كلامي ما تأتى وسهل من صعوبته ما سهل فقلت يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء واجل سمع معرفتك في سكان الارجاء ترى بحقيقة ايمانك جنة المأوى وتشاهد ما أعد الله فيها للأولياء ثم اشرف على لظى وما اعد الله فيها للأشقياء فشتان ما بين الدارين اليس الفريقان في الموت سواء قال أبو عامر فان انة وصاح صيحة وزفر زفرة والتوى وقال وقع والله دواؤك على دائي وأرجو ان يكون عندك شفائي زدني يرحمك الله فقلت له يا أخي ان الله عالم بسريرتك مطلع على خفيتك شاهدك في خلوتك بعينه عند استتارك من خلقه ومبارزته فصاح صيحة اعظم من الأولى ثم قال من لفقري وفاقتي من لذنبي وخطيئتي أنت لي يا مولائي واليك ملجائي ومثوائي ثم خر ميتاً.

قال أبو عامر: فاسقط في يدي وقلت ماذا جنيت على نفسي فخرجت جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من شعر قد ذهب السجود بانفها وجبهتها واصفر لطول القيام لونها وتورمت قدماها فقالت أحسنت والله يا هادي قلوب العارفين ومثير أشجان المحزونين لا أنسى لك هذا المقام رب العالمين يا أبا عامر هذا أبي ابتلى بالسقم منذ عشرين سنة صلى حتى اقعد وصام حتى انحنى وبكى حتى عمي وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبي عامر مرة فاحيا موات فكري وطرد وسن نومي وان سمعته ثانياً قتلني فجزاك الله من واعظ خيراً ومتعك من حكمتك بما اعطاك فلقد ارحته مما كان فيه ثم أكبت عليه تقبل عينيه وتبكي وتقول يا ابتاه يا من اعماه البكاء على ذنبه أبي يا ابتاه يا من قتله ذكر وعيد ربه أبي يا أبتاه يا من قتله ذكر ربه أبي يا ابتاه حليف الحرقة والبكاء وحليف الاستغفار والدعاء يا قتيل المذكرين والخطباء يا صريع الوعاظ والحكماء قال أبو عامر فقلت لها أيتها الباكية لحالك والبادية الثكل ان أباك نحبه قد قضى وورد دار الجزاء وعاين كلما عمل وعليه يحصى في كتاب عند رب لا ينسى فمحسن فله الزلفى أو مسيء فوارد دار من حزن وأسى فصاحت الجارية كصيحة

ابيها وجعلت تعرق عرقا وخرجت مبادرة الى مسجد المصطفى(ص) وفزعت الى الصلاة وعرفته الخادم، فقال هذا بصير عليه طعام اقتطعه.

ويروى ان اليهودي بطريق العام فلما صدقت... سأل عن رجل الاخلاص في التوكل. وأيضاً عن بلوغ المراد منه عن مولانا الصادق (ع) وفاء شقيق وقال ما معناه: انه صادق عليه، نذكر أن قال من عرضت له حاجة الى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل قال فدخلت المسجد فصليت ركعتين فلما قعدت للتشهد افرغ عليه النوم. قال فرأيت في منامي انه قال لي يا شقيق تدل العباد على الله ثم تنساه فاستيقظت وقمت في المسجد حتى صليت العشاء الآخرة وحضر لي كاره فرجل قد... جاءه من بعض اصدقائه ما كفاه واغناه.

ومنه دعاؤه وإكرامه لابراهيم بن ادهم وهو: يا رب قد علمت ما كان مني وذلك لجهلي وخطيئتي فان عاقبتني عليه فانا اهل لذلك وقد عرفت حاجتي فاقضها برحمتك فقضى حاجته في الحال.

ومنه دعاء سمعه مربوط من هاتف فقاله فخلص من كتافه وهو: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تأخذه سنة ولا نوم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً يا غياث المستغيثين يا ارحم الراحمين ثم كرر هذا الدعاء فخلصه الله برحمته.

وقال بعض رواة الحديث انه وقع في مثل ذلك فدعا به فخلص من الكتاف.

ومنه دعاء دعى به رجل كان في المركب فسقط في البحر فنجاه الله تعالى واعاده الى المركب وهو: يا حي لا إله إلا أنت ثلاث مرات فسمع أهل المركب منادياً ينادي لبيك نعم الرب ناديت. ثم اختطف من البحر حتى وضع في المركب ومنه دعاء في قضاء الدين عن المفضل بن فضالة كان قد ركبه دين وكان يدعو ويلح فيقول: يا ذا الجلال والاكرام بحرمة وجهك الكريم اقض عني ديني فرأى في المنام من يقول له كم تلح بحرمة وجه الله الكريم اذهب الى موضع كذا وكذا فخذ منه مقدار دينك ولا تزد ففعل وقضى بذلك دينه.

ومنه دعاء استجيب لصاحبه كما سأل: اللهم اني اسألك صحة في تقوى وطول عمر وحسن عمل ورزقاً واسعاً لا تعذبني عليه.

ومنه دعاء الطائر واظنه في هذا الكتاب لكن يمكن ان يكون على حدة وهو أنت يا الله قادر على تعثيره في سره وجهره وصيانتي عن الاستجارة في هتك ستره واظهار سره وكشف امره. يا اقدر القادرين واقوى الناصرين.

فصـــل

ورأيت في كتاب (العبر) تأليف عبد الله بن محمد بن علي حاجب النعمان قال ولقد حدثني اقضى القضاة الماوردي بحكاية عجيبة وصدقها ابن المهدهد وابن الصقر فراشاسلار الملقب بجلال الدولة ابن بويه ملك البصرة قبل بغداد وكان المعروف بكبوش قد وزر له واستولى على أمره فقبض على رجل من بناة البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت وكان يدعو عليه فلما كان في بعض الأيام ركب بكبوش في مركب عظيم فصادف الرجل فسبه فقال له الرجل الله بيني وبينك والله لأرمينك بسهام الليل فامر بالايقاع به فضرب حتى ترك ميتاً وقال له سهام الليل هذه سهام النهار قد اصابتك فلما كان بعد ثلاثة أيام من ذلك قبض جلال الدولة على بكبوش واجلس في حجره على حصير ووكل من به يسيء اليه فدخل الفراشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذي تحته فوجدت رقعة فاخذها الفراشون وسلموها الى ابن المهدهد فراش سلار فقال من طرحها فقالوا ما دخل أحد ولا خرج فقرأت فاذا فيها:

سهـام الليـل لا تخـطي ولكن لهـا امـد وللعهـد انقضـاء
اتهـزء[1] بـالـدعـاء وتـزدريـه تـأمـل فيـك مـا صنـع الـدعـاء

فاخبر جلال الدولة بحاله وشرح له القصة جميعها فامر الفراشين بضرب فكه حتى تقع اسنانه ففعل به ذلك وعذب بكل نوع حتى هلك.

فصـــل

يتضمن دعاء علي عدو اذا كان للانسان عدو داخل تحت تهديد الآيات ومستحق للنقمات فليقل اللهم انك قلت في الكتاب الكريم في وصف المستحقين

---

(١) وفي نسخة.
أتهـزء بـالـدعـاء وتـزدريـه تـأمـل فيـك مـا صنـع الـدعـاء
سهـام الليـل لا تخـطي ولكن لهـا أمـد ولـلأمـد انقضـاء

للعذاب الأليم ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض﴾ اللهم وان فلاناً قد سعى في الأرض بالفساد وقد منعنا من اقامة الحد عليه المانع له من ظلم نفسه وظلم العباد ومن تطهيره قبل يوم المعاد اللهم وأنت احق باقامة الحد عليه فعجل له ما يستحقه بالفساد الذي اصر عليه اللهم وقلت ومن بغي عليه لينصرنه الله وقلت ولا يحيق المكر السيء إلا باهله)



فهرست مواضيع الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
ذكر اولادها عليها السلام . . .	٢٨٨
الباب الثاني عشر في ذكر الأئمة (ع)	٢٩٠
فصل في ذكر علي بن الحسين (ع)	٢٩١
ذكر وفاته (ع)	٢٩٨
ذكر أولاده (ع)	٢٩٩
ذكر مقتل زيد (رض)	٢٩٩
فصل في ذكر محمد الباقر (ع) .	٣٠٢
ذكر نبذة من كلامه (ع)	٣٠٣
ذكر وفاته عليه السلام	٣٠٦
فصل في ذكر ولده جعفر	٣٠٧
ذكر وفاته (ع)	٣١١
فصل في ذكر ولده موسى (ع) .	٣١٢
ذكر أولاده (ع)	٣١٤
نسخة العهد الذي كتبه المأمون له بيده وانشاءه	٣١٦
فصل في ذكر ولده محمد الجواد	٣٢١
فصل في ذكر الهادي (ع) . . .	٣٢١
فصل في ذكر العسكري (ع) . .	٣٢٤
ذكر اولاده منهم محمد الإمام عليه السلام	٣٢٥
فصل في ذكر الحجة المهدي عليه السلام	٣٢٥
اشعار في مدح الأئمة عليهم السلام	٣٢٦
حكاية العلوية	٣٢٨
حكاية أخرى	٣٢٩

﴿خاتمة الكتاب﴾